

# بيان مشترك ضد الزمن

عرف القراء العرب «صلاح عيسى» كاتباً وباحثاً في التاريخ السياسي والاجتماعي، وصحفياً مشاغباً تثير كتاباته الزواجر، لكن قليلين منهم هم الذين عرفوه قصاصاً وروائياً. استلهم تجربة بيرل الستينيات العربية، في روايته «مجموعة شهادات ووثائق لخدمة تاريخ زماننا»، وفي هذه المجموعة من القصص والروايات القصيرة، التي كتبت بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧١، على مشارف - وفي أعقاب - هزيمة يونيو ١٩٦٧، شجعت بين «النبوة» و «المرثية» ، وجاءت - برشة ضد القهر الذي يطارد كل أبطالها : هي التسوارع والأزقة، وفي الزنازين وغرف النوم وفي الصحف والإذاعات، فهم متقيون في جلودهم، تحيط بهم - من داخلهم ومن حولهم - مشائخ متينة الصنع.

بين أبطال قصص هذه المجموعة ثوار خائنون، ويشر محاصرون، وجنرالات بلا جنود.

وقد يسأل القارئ: أي جنرالات؟! وأي زمن؟!

وهو سؤال نتركه له. قللمه يتعرف على هؤلاء الجنرالات، ويوقع

- مع المؤلف - على هذا البيان المشترك ضد الزمن.

هيمنيا  
للنشر



# بيلام مشترك ضد النرم

مسألة جديسة

قصص وروايات قصيرة



قصص وروايات قصيرة

صلاح عيسى

بإيم مشترك ضد النمر



الكتاب : بيان مشترك ضد الزمن  
(قصص وروايات قصيرة)  
الكتاب : صلاح عيسى  
الطبعة : الأولى ١٩٩٢

توزيع الحقوق : محمد طه

الناشر : مؤسسة النشر  
القاهرة : دار النشر : دار النشر

١٥ شارع مصر، القاهرة، مصر  
توزيع : دار النشر : دار النشر

الناشر : محمد طه  
الناشر : دار النشر : دار النشر  
الناشر : دار النشر : دار النشر

.. إلى أول نشرة. وآخر دسعة

«صلاح»

١٩٨٧

هنا زَمَنُ الحق الضائع

لا يُعْرِفُ فيه مَقْتُولٌ مَنْ قَاتَلَهُ، وَمَتَى قَتَلَهُ

وَرَفُوسُ النَّاسِ عَلَى جَسَدِ الْحَيَوَانَاتِ

وَرَفُوسُ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى جَسَدِ النَّاسِ

فَتَحَسِّنْ رَأْسَكَ أ

فَتَحَسِّنْ رَأْسَكَ أ

«صلاح عهد الصبوة»

١٩٦١



كنت أقول ضاحكاً أن أجهزة الأمن السياسي، هي المشتعلة عن تدهور مستوى الشعر والقص، وأشكال أخرى من الإبداع الأدبي والفني، ففي السجون - التي كانت تُساق إليها الناس على امتداد كل العهود - تتوقد عواطف، وتنتال ذكريات، سرعان ما تدفع كثيرين لكتابة رسائل شوق لتلك الدنيا التي لا تترك يديها إلا حين تصدك عنها أبواب الزنازين، ويصادق الحراس وأسوار السجون.. وعادة ما تنفذ هذه الرسائل أصحابها لنظم الشعر، وقص القصص، وأحياناً نحت النماثيل، وتلوين التصاميم

ولأن جيلنا من المشتغلين بالسياسة و الكتاب والأدباء والفنانين، كان يحصل إعلامه، كما يحصل صلباته، فقد التفتنا في الزنازين كثيراً، وتعارف أكثرنا بين جدرانها، خلف هذه الجدران، نشأت صداقات، ونبتت مودات، فلبس كالمجنون مكان يتكشف فيه الناس على حقيقتهم، وبقيا سمعت من الشعر أعذب، وكرأت من القصص أجملها، واكتشفت ألواناً من الفناء الشجي. وبين جدرانها غابيت من ذلك الفن الذي شعث بسيد على أهل الحب والحس، فأضحت إلى قائمة الاتهامات التاريخية الموجهة إلى اليساريين العاملين في أجهزة الأمن السياسي تهمة: إفساد مستوى الإبداع

فلولا أنهم ساقوا الناس إلى ظلام الزنازين أفواجاً، ما توقدت عواطف، توهم أصحابها أن ما يكتبونه من كلام ركيك، هو فن.

و ذات مرة، أقمنا احتفالية شجعت فيها على هذا الشعر، وذلك القصص، فالتقى صديقي المهندس «تيمور اللواني» - أحد القادة البارزين للحركة الطلابية في الستينيات والبعينيات - قصيدته الشهيرة، التي يقول في مطلعها «أحبك.. تلك مصيبة.. في حق البشرية» وأللت بالاشتراك مع «عبد الرحمن الأنودي» و «صبري حافظ» غزلية يقول مطلعها:

«حبيبتي

عيناك بلقثان

عيناك

كفرمتي منقار ليلتنا الحبيب.

ومن أشعر آياتها، بيت يقول:

دوحين سرت تحت صور الفاخلة العريض

حبيبي

قوت أن أبهى.

ولمّا بعد أدركت أن هذا الشرع من الفن، هو مقاومة مشروعة للفن، وتصعد بأسل للذين يودعون أصحاب الضمائر وراء الأسوار، ليقتلوا في قلوبهم - بالمحاصر والتكرار - قدرتهم على إحصاء الحلم..

وكنت قد بدأت مغامرة الكتابة بمحاولة للقص لم تكتمل، فبعد تهاريب، كان بعضها مبشراً، ملكت القصص، لأن أهل القص من جيلي - وفيهم مدحون طيبين - تحوّلوا متأخرة حقاء موضوعها: هل الإبداع الفني أكثر تأثيراً أم النضال السياسي المباشر. وفي مرحلة من الفناء تمسكوا للأول، فتصعبت - في مرحلة حياء مضاد - للفاني، وأحرقت ما أبدعته، وخاصمت المدحجين، وشجعت عليهم.

ولر أنك قلت: ليلتك لم تعد للقص.

فصوت أقول: هنالك حق..

ولكني - من سوء حظ علينا - عدت إليه

ولمّا عدت قصتين، كتبت الأولى - وهي «الحب والصمت» - عام ١٩٦٤، والثانية - وهي «جزالات بلا جنود» - عام ١٩٦٥، فإني لم أعد إلى القص، إلا في نهاية عقد الستينيات، حيث كتبت بقية قصص هذه المجموعة خلال عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ والشهور الأولى من عام ١٩٧١، في معتقل طرد السياسي، دون أن ألقى بالاً إلى المشتغلين - وتشرت بعضاً منها في بداية السبعينيات في عدد من الدوريات العربية، وظل مشروع جمعها في كتاب يتصرب مع الزمن حتى تسعد، ولعلني خشيت أن تستغل لتشجيع على أجهزة البهر والحس، مما يسق إلى علاقات «الفرقة» التي جعلها لي أهلها.

## الحب والصمت

«وقف رجل في أكبر ميادين المدينة ... وهتف  
بسرقة اللطجة»

مثل كل الناس، كان لي أبي.. ومثل بعضهم، كان أبي عسكري  
بوليس في أحد أقسام المدينة، وكان شارب ذة عضلات قوية، ولقد ظلت  
لفترة طويلة، أتوهم أنه شيء عظيم، عظيم جدا، هكذا كان اليابسون في  
حارتنا الضيقة يعتبرونه، فيخافون منه، وينافقونه.

ولقد حدث وأنا في السابعة أن أبي أطلع عن التدخين ثلثة دخله،  
كما أظلل أيضا عاداته اللطيفة في حملي. ولم يعد يسمح لي أن أضربه  
بالكف على صدغه كما كنت أفعل وأنا صغير. ولم يعد يدلني، بل أنه  
ضربني مرة عنفما بُلْتُ على المرتبة الصغيرة.

وحدث أنني في تلك السن هربت الطيارات الورقية، وكنت أتفنن في  
صنعها وألونها، وأصنع لها جيلا طويلا جدا وأتركها تطير... إلى حيث لا  
يمكن أن أراها.. إذ ذاك كنت أترك الحيط الذي في يدي، فتختفي الطائرة  
بين طبقات السحاب.

وفي صباح ١ يونيو من هذا العام - ١٩٩٢ - استيقظت فجأة ساعرا الندوة  
لاحتفال قومي بالعيد الخامس والعشرين للثورة، يختلط بخاطر الشروع في تجميع هذه  
القصاص، الذي ظل يلح عليّ حتى لم أعد أستطيع منه مهربا، وإذا بي أقام لأسبابه  
تردد في نشرها وأقول للنفس: لعلها لو لم تصلح أن تكون قصصا.. تصلح أن تكون  
وثائق عن الزمن الذي عشناه، بأفراحه وأتراحه.. وضحكاته ودموعه، فبها ظلال كثيرة  
من أوجاع عقد الستينات، التي انتهت ملامحه، وغرقت مسرته وأحزانه، حتى يبدو  
- في ضوء ما يجري الآن - وكأنه من عقود العصر الحبري.

أما وقد شامت الظروف أن تنشر هذه المجموعة من القصص، بعد حوالي عشرين  
عاماً من كتابتها، فتلك تذكرة ضرورية، اكتشفت ضرورتها وأنا أقرأها جملة - بعد كل  
هذا الزمن الذي تقضى - فلم تدعني القراءة لكتابة هذه المقدمة فحسب، بل قادتنى -  
كذلك - لتغيير العنوان الذي قدمتها به إلى المطبعة لأول مرة، - وهو «جزرالات بلا  
جنود» - فكان هذا «البیان المشترك ضد الزمن».

ولقد تسأل: أي زمن؟ وأي جزرالات؟

وذلك ما أسأله أنا أيضا!!

## صلاح عيسى

مدينة الصحفيين - ٢٠ يونيو ١٩٩٢

وكانت السماء تملأ أيامها بطائرات كثيرة، كذلك كانت شوارع المدينة تملأ بعلاميد المناريس يهتفون بأصوات مبهوطة بسقوط شخص لا أذكره، وكان أبي يخرج لكي يفرق المظاهرات؛ على رأسه خوذة جديدة بيضاء، وفي يده عصي خشبية غليظة، يضرب بها الأولاد طول النهار، ثم يعود في المساء منهكا متهدلا، وإذا ذاك كنت أراه غلبانا..

ومرة، كانت مظاهرات المدينة صاخبة أكثر مما ينبغي، وكان أبي يومها مرهقا، والأولاد يشعلون من ميدان وحسب نحو الشارع الذي يقود إلى حارتنا. صعدت النساء إلى أسطح البيوت، وأصوات المظاهرة الصاخبة تتسلل عبر جزئيات الهواء، وعندما انحسرت كثافتها في حارتنا الضيقة زغردت بعض الجارات تحية لأبنائهن، ورفع بعض الأولاد رؤوسهم إلى الأسطح حيث أطلت الأمهات في فرح علوي، والذي حدث - إن لم أكن قد نسيت - أن المظاهرة كانت تضم أغلب أولاد حارتنا، وكانت النساء تنفجن على أولادهن في فرحة بكرو، والجنود يضربون، وانتحي أبي ركنا قصبا في مكان ما من الشارع، ورفض أن يضرب الأولاد أمام أسهاتهن وهو شغى لم يصحب «زكى أفندي» - قائد القوة - فصاح فيه:

- اضرب يا عسكري..

- ما ألدش يا أفندي..

ثار «زكى أفندي»، وخشى أن يفلت زمام الأمر منه، والمظاهرة تتحول إلى غضب جنوني، وبغية المساكر قد تولفوا من الضرب وأخذوا يتابعون المناقشة بين قائدهم وبين أبي، وهوت كف «زكى أفندي» فوق صدغ أبي، وذأر:

- اضرب يا ابن الكلب

انفرت قدمه المجتونة في كرش أبي الكبير.

أكبر الرجال والنساء في حيننا أبي لأنه رفض أن يضرب أبنائهم، لكن أبي كان حزينا، وعندما عاد في الظهيرة دخل حجرته متخفيا. نسيت أنا الحكاية جفت الدموع القليلة التي ذرفت على أبي الطيب. وصنعت طيارة جديدة خضراء، وصنعت لها حبالا طويلا.. وأطلقتها، أخذت أغنى لها:

يا حمام.. يا مروح بلدك متعني!

خليني أتوِّح وأنت اللي تغنى!

سمعت صدى صوتي فأعجبتني حلاوته. وأخذت أغنى، وأغنى. ارتفع صوتي، ملأ الدنيا الصامتة حولي حياة وحركة. لساني كان يدور في فمي بسرعة، وشفتاي تتفرجان.. وتتفرجان. والصوت يهتف، ويعلو، والطيارة تطير، تطير. أنا وحدي، والنافذة والفضاء والحمام.

فجأة، سمعت صوتا لا علاقة له بأصوات الأدميين، شيء كزمجرة أسد أو عواء كلب، لم استطع أن أميز شيئا.. التفت في خوف متذعر، كان أبي فوق رأسي، وجهه قد انقلب. عيناه مكان فمه. أنفه في جبهته، وأذناه قد طائتا.

قبل أن يعود إلى إحساس بالآمان ويتحرك لساني الذي توقف فجأة، هوت يد أبي على صدغي.

كان كفه ضخما.. وثقيلًا!!

وصحيح أن شوارع المدينة ظلت مرتعا للمظاهرات بعد ذلك رغم أن الأولاد الذين كانوا يصتمون المظاهرات قد كبروا، وتوقفوا من زمن عن صنعها. إلا أن بطون النساء، كانت تثقل دواما أولادا جددًا، يدخلون المناريس، ويصرخون، ويشتمون دواما أشخاصا لا أذكرهم. ولكنني لم أصنع شيئا من هذا، فمثل اليوم الذي ضربني فيه أبي نيت دمل صغير فوق لساني. وبوما بعد يوم تضخم وتضخم، وعندما عالجته، كنت قد أصبحت لا أستطيع



الكلام بسهولة، وأصبحت أكرر الحرف الواحد مرات عشر قبل أن انطقه، وأصبحت الكلمة الواحدة تتطلب مني زمنا طويلا لكي أقولها، وهرب مني العيال يستمعون المظاهرات، ويتكلمون ويصرخون.

وكانت شوارع المدينة، ما تزال تله المظاهرات، وكان أبى ما يزال يلبي خروجه المديدة، ويأخذ عصا الخشبية القصيرة ليضرب العيال. وعندما زرتة نى مكان عمله يتسم الشرطة، اكتشفت بأبى قليل أنه لم يكن عظيمًا كما توهمت وأنه ليس إلهًا، وبدأت وقفته المتصلبة أمام باب حجرة المصاير، شيئا مزريًا وسفليًا، وكذلك اختلاصة الرقت ليدفن نصف سجارة بشيق ملهوف، ولم يستطيع خيالى الطفل أن يتصور الإله واقفًا كالتمثال البليد، يضرب كعبه فى الأرض، ويرفع يده إلى جبهته فى رعب كلما مر بعض الناس، وبعد وقت، اكتشفت أن أبى كان يعمل الياس شاريش «عرضين» فرق كتابيه، الذى كان هو الآخر يحمل الصول «محبوب» جالسًا على منكيه، ثم المصاير، قضابط المباحث، ورتبع الأمور كالزكية فوق أكتاف الجميع، وهكذا تحول أبى فى خيالى إلى ثور ذى قرنين، ولا أعنى أنه أصبح قوادا - فأبى كانت شريفة - ولكنه كان كذلك الثور الذى سمعت - وأنا - طفل أنه يحمل الدنيا فوق قرنيه، وهكذا أطلقت عليه اسم «صاير أفندي ذو القرنين».

ولفترة بدأ أبى كفيلسوف خطير يتساءل بالإنحاح :

- لماذا يضربون المال، أضرب لهم مائة ولد بعشرة جنبيات؟  
هرا..

على أن السؤال الذى ظل يلح عليه، هو الطريقة التى يتمكن من خلالها أن يشتد «زكى أفندي» معاون القسم الذى ضربه بالكف أمام أهل حارته، ليستعيد كرامته المبهضة، ومكانته الضائعة بين أهل الحارة.

وعندما لمعت النجمة بجوار الناج على كتف «زكى أفندي»، وأصبح

مأمورًا، كانت ذراع أبى تزدان بثلاثة شرائط، واحتل مكتبها فى القسم فى حجرة واسعة مزودة بمكاتب ناعلة، تنتشر فوق أسطحها دوائر من آثار أكواب الشاي الساخنة. وشخبطه أسماء الشاروشية، والصولات الذين عملوا عليها منذ زمن سحيق.

وعندما كنت أجول فى شوارع المدينة بحثًا عن منوم مضططبي، فرأت أنه يستطيع معالجة اللجاجة بطرق مجرية ومضمونة وسرية جدا، كان أبى يصرخ فى البيت:

- «زكى أفندي» كلب.. أبى كلب..

وكانت أمى توافق فى تسليم.. ولكن «ذا القرنين» كان مع ذلك ينفجر فيها:

- أنت مصيبة.. أنت لا تفهمين.. كان يوما أسود.. ذلك اليوم الذى زفونى إليك فيه..

وأبى طيبة.. و «ذا القرنين» لا يكف عن الصراخ :

- مائة ولد بعشرة جنبيات، يا أنا.. يا إنت.. يا كلب.. يا ابن الكلب!

وقد كان.. ذات صباح صرخ «ذا القرنين» لى وجه «زكى أفندي» صرخة صغيرة جدا.. وأحيل أبى إلى مجلس عسكري، ورفقته.. وعندما عاد بلا شرائط، ودون بدلة السوداء الأميرية، كان محبولا على الأيادى، وقال طبيب عجوز ناعل الشعر، أنه فقد القدرة على الحركة وعلى الكلام..

فى تلك الاثناء، توقفت المظاهرات التى كانت قلا المدينة، وانتشرت القاهى ووقف الأولاد على نواصى الشوارع يعلقون سلاسل من الذهب فى أعناقهم، وفشلت «الشيخة سعدة» فى علاجى من اللجاجة بعد أن سرقت منى نفودى، وسرق الباقي صاحب مكتبه عند ناصية الشارع كنت اشترى

منه الكتب والصحف لا أراها وأكلم صلحاتها بعبوتي، ولحول عدد كبير من زملائي إلى العمل في دوريات المساء، لأن المظاهرات قد توقفت، وحتى عندما سارت مظاهرة في شارع المدينة الرئيسي تهتف بحياة أحد لاعبي الكرة، اشتبك فيها العساكر. وحملهم الناس على أكتافهم، وكانت الحروف التي تصر على أن تتدلل في حنجرتي قد بلغت إذ ذاك ثلاثة عشر حرفاً كاملة، حسب الأحصاء الذي ظلت ليلة أجريه، وظهر في مقال في مجلة صغيرة، كان قراؤها يحدون على الأصابع، وأصبح أبي يتكلم بعبوته، وقد شاركه كل عضلاته، فاسترخى متدلياً - وطلب ذات يوم أن يحلقوه له.. وقد فعلوا!..

وعندما قبضوا على المذموم المغناطيسي الذي كنت أعالج على يديه علاجاً فاشلاً، قابلت «سعاد» وكان هنا في بوفيه الكلمة، ولقد ظلت صامتة، وإن كانت عيناى قد تكلمتا مع عينيها لحظات، كما تحدثت أيضاً حديثاً خاطفاً مع صدرها وفمها. وكانا لبيتين كورادة تشتاقيهما رأسى، كذلك فعل الهواء مع شعرها الأسود الطويل، وغنت مطربة في الراديو للحمام الذي يروح ليلته متجنباً، تاركاً إياها تتوح وهو يثنى، وسعت أثير طيارة في المساء، وتحدث طالب عن أهمية أن ينتظم مشجعو أحد أندية المدينة في رابطة حتى يردون على الرابطة المنافسة. وقال آخر أن أحلى شيء أن تغنى وأنت في الحمام حيث ينطلق صوتك كما تشاء.

ولم تتحدث «سعاد» كثيراً، ولكنها أبدت أعجابها بما كتبت، ولالت إتنى كاتب لا بأس به، وإن كانت كتابتي لم تعجب والدها.

وفي تلك السنة صبح والدها لحبته الشهاب، وتزوج بتاً بكراً لأن زواج الأبهكار مفضل على زواج الشيبات، وفصل طالبين من معهد الدينى لأن أحدهما غنى في الفصل أغنية، «كلمتى عن بكرك» بينما ضبط عسكري بوليس الآخر يقبل فتاة في إحدى الحدائق العامة.

ولقد حدث أنتى أحببت «سعاد» وبالطبع لم أقل لها ذلك، لأننى بعد عدة محارب أجريتها أمام المرأة اكتشفت أنتى عندما أقول لها كلمة: أحبك. فإن هذا يحتاج إلى سبع دقائق بالضبط تزيد إلى عشرة إذا أضفت قبلها كلمة أنا!..

وكان عساكر البوليس في شوارع المدينة الضخمة، يترصدون بالعشاق في تلك الأيام، ويقاضون الشفة فوق الشفة، ويتلذذون بتعذيبهم، ثم يبتزون منهم بعض النقود، ونشرت إحدى الصحف أنه قد ضبط عشرة أولاد، يقبلون عشر فتيات في شارع واحد من شوارع المدينة، وترصد عدد من الرجال في النواصي المظلمة من تلك الشوارع، وظهرت مهنة جديدة، هي الارتفاق من تهديد المحبين.. وسعت أن فتاة من أسرة كريمة أصيبت بالشلل في إحدى تلك الكيسات!..

وفي ذلك اليوم الذي أذاع فيه الراديو خبر صعود كلمة إلى الفضاء، كتبت رسالة ل«سعاد». قلت لها فيها أنتى كتبت أصنع طيارات من الورق وأنا صغير، وأنتى لو واصلت ذلك فلربما أصبحت مخترعة عظميا، ورويت في خطاب آخر، قصة الدمل الذي نبت في لساني، وقلت لها أنتى لن أحيها، وسأنسى هذا السخف، وكان جسد «سعاد» شهياً كرجلها، وقد جاءت به على أقدامها ساعياً إلى، وكانت شفتاها «سمتين يخرج الكلام منهما كاجنابتات مغناطيس، وفي أحد شوارع المدينة انفتحيت سرتا: اللراع منها في الذراع منى، وهى تتكلم.. وتتكلم.. وتتكلم.. وغنى رجل في الشوارع للجوارد أغنية «كلمة.. هى كل أمالى». وتحدثت خلانيا رأسى مع بعضها، وتكلم كفى مع كنها حديثاً سريعاً، ومر عسكري بوليس في الشارع، وتنتحج بصوت مسجوع، وسكت «سعاد» حتى مر ثم عادت تتكلم.. وتتكلما..

وفي شوارع المدينة الأمامية كثرت الحوادث، ذلك أن الناس كانوا يسرون في ذهول، وكتب عالم نفسى في صحيفة يقول أن الناس كانوا

- ولد شهم ، «أدهم».. متى أرى نيلك يوماً يازكى الكلب؟

واكتشف البوليس أن السراح قد حول بيوت المدينة كلها إلى معبأ كبير. وحلت الشوارع التحفة من رجال البوليس وأنطلق العشار يهوى بحرية. ولم يعد أبى يزعم طالها المرس وماكينة الخلالة، وإنما أصبح يطلب الجريدة.

وفى أحد أيام الربيع التفت «سعاد» وكان هذا فى الحديقة المجاورة للمكينة. رجعتها أمامى فجاءت كانت شبه كالربيع. منطلقة كفرحة بكر وهوى أن أقول شيئاً. انفرجت شفتها المتصمتان عن كلمة. يا حبيبى. وسارت بى فى بحر أخطر طويل. وتمتصت بكلمات قليلة، منها أنسى غبى وأنسى لم أفهم شيئاً، وأنها تحببى وهذا كفاية.

أنا لم طلب منك الزواج. من قال أن أبناها سيكربون مثلك صاعتين. لماذا لا يكونون مثلى. ثم من قال أنك ستظل صاعتا طول عمرك!

لم أتكلم. ففت خلأى إليها. كنت أمر معها تحت قوس طويل من الشجر الأخضر، عندما رفعت قائمتها القصيرة. أحاطت عنتى بدراعيها وأصقت شفتيها اللسنتين بشفتى المصومتين. فأنفجرتا تمصران شفتيها.. تفتحت خلأى. مر داخلها شئ كالهواء. إندس صدرها الرمانى الصلب فى صدرى. أحسست بشئ كالحيا. يتدفق فى خلأى. فى لحظة لغتنا المعبومة هبت وشفتاى بين شفتيها

«أحبك».

لدهشتى لم تستغرق الكلمة أكثر من ثوان.

فى اليوم التالى امتلات المدينة بأحبار غريبة، فى اللحظة التى كنت أقبل فيها «سعاد»، كان رجل آخر قد صعد إلى القمر فى صاروخ. ووقف

كما لو كانوا قد فتحوا نوافذ فى صدورهم يتأملون منها فى داخلم. وأن هذا هو السبب فى كثرة حوادث المواصلات. وحلتر العالم المذكور من أن تتقل العدوى إلى السابقين، لأن ذلك يعنى انتهاء المدينة بأكملها. وأكد أن على الدولة أن تقدم بعض المياهج والأقراخ. وأن تزين الشوارع، فى رؤية أن منظر الشوارع للبيح هو السبب فى أن الناس قد فتحت نوافذ فى صدورهم. وأدخلت رأسها تتأمل ما فى الداخل. وقد قرأت هذا الرأى وأنا مستلق على شاطئ البحر، ذلك أنسى هربت من المدينة. أو من «سعاد» بالغات، وكربت لسانى المتدلل، رأسها المنطلق، وصمت شفتى كالجليد؟

أما أبى. فكان يوجه عاية خاص، إلى شاربه، بعد أن عادت له قدرته على الكلام والحركة، كما يكاد يبت، حتى يصبح بهترياً

- ماكينة الخلالة باهوه.. الموس «يانوية»..

وهكذا كنت استيقظ صباح كل يوم على صرخته، فأطرد حبال «سعاد» من الخجرة، وأبهى حديث خلأى مع بعضها. وأبد يوماً ككل يوم.

وكان الرجل الذى عاد من القمر، يشعل أحاديث الناس فى كل مكان فقد اكتشف أن الناس هناك بلا شعاع وانهم يتكلمون بكثرة وشريرة. ويملأون الدنيا ضجيجاً، وأغلقت المدينة النوافذ التى فتحتها فى صدرها وبدأت تصبح أحبار سراح خطير. كان يضرب بالرصاص. زوجة خاتمه، وحديق طعنه من الظهر، واستدعيت قوات البوليس من الاحتياطى، لطردة المجرم. وحمل أبى جسده المتهك، واشترى صحيفة. وقرأ التفاصيل باهتمام شديد ثم هتف:

- «تهية»، «سعيد مهران» يا «تهية»

وهزت أس رأسها المكمل بالشيب، وبدأ أبى يردى لها الحكاية، ووجه حديثه إلى عندما دخلت:

رجل في أكبر ميادين المدينة هاتفا بصوت اللبلبة، وكان أبي قد اختفى  
كلص ملح ذاب، وبكت أمي وحزت رأسها الذي أبيض شعره كانت -  
- أبوك هرب ورا «سعيد مهران»، يا عالم هل أعيش حتى يرجع أم  
لا؟

## جنزالات .. بلا جنود

«.. وأما رأسك .. لنا أجملها .. ولكن أين  
جسدك؟»

يا «أم هاشم». يا بنت بنت رسول الله.. صهبركم آل البيت شف  
وجهي. امتص الصبر يا شمع كل دم عروق. صابر ما طال الزمن. واقف بلا  
كلال. أكلت المصيبة قلبه.. والروح خرابه.

لهفى عليك يا «خسيس»: طار رأسك من كربلاء إلى القاهرة، هاراً  
بأنحاء المصورة، فيكت الدنيا دما، ضحك الخواجا اللعين، قهقهة الأصدقاء  
بلا صوت، كأننا أضحكهم نكتة عدو، انداح داخل القلب حزناً أضر من  
المقيم. صاح صائح.

- أنا هنا.. أنا هنا يا مست، بالأحضان يا جنودي المهرومين في لا  
محرقة، أكلتكم أرض الرمال المتحركة

ضرس في المساء شمس لا أمرقه، صرخ داخل ولم تتحرك صفحة  
وجهي

هز ألبوها كرشه المتهدل بالزمن.

- تريد أن تتزوج «سهى» ٢٥. ٢٦؟

نقلتُ قديماً تحت المائدة.. عدت القدم أبحث عن أرض صلبة أثبتتُ بها رعشتي، الأرض رمال متحركة، غصت فيها حتى لقرار. صحب الصحاب في تلقى بملأ قلبي عزاء ملثاعاً

«محمود» يدق المائدة بصنف

- أنت تحب البيت، والبيت تحبك.. ما شأن أبيها؟

لم يرد أحد دق «الحواجا» على منصدة أمامه.

- أنا صاحب القهى ولست أنت..

كثيرة تشار غنى صوت أبيها، من تحت أصابعه العابضة بشارة  
البتلري، قال لسانه.

- كل ما يهمنى هو مستقبل «سهى». سألت عنك.. أنت رجل

طوب

جلجلت ضحكة في صحرا. فجأوبها بعيق برم.. وقالت أمى واللهم  
اجعله طيراً «أما كلامه فتعمقت بهجر أنفاسه».

- ناذا تريد أن تتزوجها.. بذلتك قديمة.. ولكنك أنيق..

غاص حذائى فى الرمال المتحركة. حرك «محمود» يده فوق باب  
الصريح، صرخ:

- نظره يا أم هاشم!!

دقات قدم الشرطى تأكل سُكَّرى. الكأس كانت ملائكة، كذلك  
أصبحت مثنائى. هُنت حلايا رأس أغتية نديمة، نقلتها إلى اللسان فتخرج

فتخرج بها وباحت. الروح تشمخ كأنها حملها الكحول انتطابر الظلمة  
مضى لها، وكذلك البرد مضى قال «محمود»: إهجم عليها. ذات مسيرة فى  
شارع من شوارع المعجورة. وقال شئ نقي من داخل:

- تبدو من بنات العائلات..

قالت مريجات الكحول المتطابرة من فيه :

- عائلات؟ يا أولئ.. إنها كياريهات كياريهات جداً!

تعلمنا يا أبا حنق منك ما لم يكن يعلم. وأما اقتحامك للحظر  
فشئ يدعو للإعجاب، ولكن أين أنت من هذه الليلة الثانية.. هذه البيت  
فى مدخل الطريق تنطبق عليها شروطك.. وأصبح أنها كياريهات. تعلقت  
دراعى بذراعها، لم تتكلم أرتفع شحير الشرطى ماراً بين أندامها، قالت:

- أين تسكن؟

السؤال طريف.. والليلة تشى بشوة غلاً القلب بالبران من الجحون،  
ولبالي المعجورة، كانت أمراً ثمة، ولكن لمن الله الزس، صعد الوجه  
بعوار الأذن اليسرى بها تشوة حقيق، لهذا اسفل الشعر فوقها عمداً، لعله  
وشم يؤكد أن يديها تلقت يوماً روث الماشية فى مخروب طريق قروى. فوق  
دقات الحناء ارتفع صوتها :

- الدنيا برد

- ولكن اسكربياك لذيذ.

أما المثناة فلمسة الله عليها. حُرَّت صبرة مسرعة. غنى داخلها صوت  
مذبذب يقول: يا حبيبى تعال.. تحركت رأس «محمود» فى حركة بتدولية.  
أسبل عينيه، وبرش جفنيه.

- لييك يا أم هاشم بحث ومضى هذا الرجل الطبيب، قلبك دعا قلبه،  
ولنا فى رحابك خير ملاذ.

تلفست الجبين عرقاً، رُ الكرنياك الرخيص من كل خلاياي.. قلت:  
نحاول مرة رابعة، ونحصر النظام شيئاً فشيئاً الفرائش تحتنا أعلن الفلاس،  
ضحكت وسأندد.. وقالت خلية في رأسي: لا بد . لعنة الله على الهرجة،  
استجسعت صورا طامنا استقرت دمائي.. ولكن شيئاً كالتصاعقة سحب مني  
كل نوتى.. أُنالتي إلى لا شيء، ففزت ليلة المعجزة إلى ذاكرتي فجأة، تم  
كل شيء لينتهي على ما يرام، وذكريات النسوة ابتعدت، أما أخيه  
فلتجرعها من تحت الفطاء، وعشتها العارية الآن ضيق بالبرد، لا طلياً  
لنسوة، وها نحن مرقد هامدين كما لو كنا تحت معركة.

سألتها فجأة من اسمها

- سهي ١١،

استقام الحديث رغم النكبة. قالت أن أبها كان شيخاً من شيوخ  
الأزهر، ضحكت في الظلام، فقد تزوج أبي من عامين..

- سئلهين عما قليل ١١،

- لا . تلك أشياء مضت من زمان.. الأمين بعة الله عليها

ألف لعنة على الكذب والخدعة . استرددت عريك، وفي رأسها  
حديث لا ريب عن المعنى الذي أفسس.

- لا . نظني بين الظنن.. محسبك فعل وله حركات وبكتها الرطوبة  
لعنة الله عليها..

طبعاً . ضمني أبي أمس. منع المطر الناس من الخروج.. وانعدم  
الأياد.

.. كلماتك كادية، كم جسد التصق بجسدك، وأما أن أبها شيخ من  
شيوخ الأزهر فشيء غير مستبعد، أنت نفسك خطبت الجمعة مراراً، وظالمت  
برجم الراتية وليس الغريب حقاً إلا هذا الصنف الطاريء حتى الموت.

- تصدق.. كنت يوماً من الإخوان المسلمين، وكأنت لي زبينة  
صلاة . ثم

- قال أبي أن المولى يرفع التكليف عن بعض عباد.. وهو منهم..

لذلك صاح صانع في الحراة.

- يا شيخ «مولى».. جاء تلك البشارة .

وأبرها ضخم كما ينبغي لثيس، وأما لحيشته، فما أشبهها بشعر رأبته  
في مكان ما من جسد ابنته.

عند الفجر قالت :

- لا بد أن أنصرف، طاركم ضيلة. بضحي طوب الأطفال في حارة  
مثلها.

ذابت في الحديث وعبقتها فنامت، وأما فمي فقد أشعلته بمسبحارة  
انفلتت هجرتي إلى مسجد مهيب، صرخ في الشيخ .

- سودت وجهي يا خبيث.

قست :

- يا مولانا إن المولى يرفع التكليف عن بعض عباد..

قال: ولكنك لم ترص المرأة، لهذا غصبت عليك السماوات.

- ولكني يا سيدنا قد هجرت المسجد من زمن.

قال: أنت حيث كنت مثل لنا..

والعجيب حقاً أن مكان المثير قد انحصر عن أربع غانيات، وثالث  
واحدة تعال! وأما الأخرى فرفقت، أحاطت بي الائنات، وانتشى شيء في  
داخلي. تكفل ذوب أعصابي. قلت. لنا المراد تشاجرت الشقراء والسمرء  
مرفت ثيابي في جنون. هرّ مولانا رأسه في رضى



«غدغت لحة قدمي، فإذا بعسي تعودان من حلال الظلمة. وهي مستكنة. في أحضانتي.. قدمها بين أقدامي.. قالت :

- نُتلك بعانيه .

- بقي قليلا..

في الليلة الخامسة حدث لمрад. تكتل البرد والارتعاش في لحظة محسومة. قال داخل: انتصرا بحمد الله. أما تضعف وليس إلا تجريرة النهر يلج أرضا طال بينها وبينه اليعاد. قال رأسى وفتتح التواءد، ولصرخ في سميت الحزن بحيرات تضم الرجال والنساء واليأس. قائلا ابشروا فإن فتح لله قريب.

قالت زوجة أبي الجديدة، عندما لامست يدي كفتها أول مرة:

- أبوك زعلان منك.. خبيت أمته.

شق صوته الأرض فانفجر بحب أقدامي .

- وقتوك؟ .. أنا قلت هنا. مثلك لن يكون صابغا إلا عندما يلغون

الجيش.

حسن بصافه بقية الكلمات. وليس كسعود عزاء لقلب صا. وأما أبوها، فهز رأسه صارخا:

- الشرع معي والقانون والحكومة.. فمن معك؟

صلى المحامرون وطلبوا إعادة البيت. فأطبقت حنجرتي وصحت:

«هؤلا.. أبائي نجسني مثلهم . إذا ما جمعتنا يا جرير الجبال» .. صعب يدها في لوح صبيبي .. قالت :

- تكزوجي!!

- نعم

- ولكن؟..

- الضعف لعنة الله عليه!!

- هنا شيء طارئ؟

- لا أقصد

عندما انتظريها ليعرفها «محمود» أول مرة، صاح وقد لمحها دوني

- دعك من صاحبك. هذه واحدة من الكباريات.

كم وجه سيقابلك في الطريق فتضع بسسته اصفرارا. ويضعك حتى يستلقي على قفاه. لتنظر أسرتك السعيد، وما ألد أن تكون واجهة. كذلك قال أبوها

أحتاج اسك. لنصحه على واجهة البيت.. ولبات الأخون كأنهم أصدقاء لك. فالسنة الصوة لا ترحم..

بالأحضان أغلى «الشيخ رواش» وقال

- مرحبا بك في طريقنا أنت الآن في طريق الروح الناصلة. من أهل الباطن أنت، ملكوية روحك وليست سفلية، نريد منك القلب. وأما بقية الأعضاء، فهي من أهل الدنيا. تفعل ما يفعلون، وليس على الأعشى والأعرج من حرج. وويلك توأب رحيم.

لذلك اهتز الكيان منك في «المصرة» واعتزت الأعضاء وصاح «أبو رواش» هذه ملابس الروح ضعها في قلبك. وعندما ترتفع إلى الله روحك، وتشد الملائكة إلى السماء. قلبك ملتحدة الألسنة «ملبسة الروح» إذ ذاك تتعد في ملكوت السماء القلوب وينتشر الحب من القلب.. إلى كل القلوب.

ودق مسبحته فوق معدن رثان وأنشد

- و «النبى يا مريد قوم نادى - قوم حين جسدك الهادى».

فاهتز الجسد بجزءه بشدولياً يذهب ويجرى، كذلك لحت العين فى لحظة خاطفة، جسد «زينب» يهتز، وأنت يا مريدة الشيخ، ما أمتع جسدك بولا العجز، أما الآن، فما أشبه اهتزاز جسدك، بمحاولات الهائس يوم ضحككت منه الوسائد والعجيب حقاً، أن تنطلق من جسدك هذه الشرارة الجنسية، لذلك اقتربت أقدامك منها، وانصق جسدانا مع اهتزاز المريد ين شعشت الروح، ولتغص الأعضاء ما تشاء، فهي من أهل الدنيا، وأما القلب فهو من طريق الروح الواصل، فلما انصق صجزها ينقص جسدك، اندشت أعضائك كأنك شربت حمرا صحت.

- حى - يا قيوم

شعشت الروح، من لسانها شراً لا يصق، انتقل ما فى فيها إلى فمك، كذلك حدث العكس، وصاح «أبو رواش».

مرحبا بك يا سيدى أحمد يا بدوى، شرعت مجلسنا، المريدون من أريهة أنحاء العمورة، يهدونك القلب وانه لقليل.

ولما سألته :

- يا «بدوى» ماذا أعرضت عن «بيت برى»، أكان مجرد زهد يا رجلاً، كذلك أعرض «يوسف» عن امرأة العزيز، وكيف أعرف الزاهد من العاجز، وألف لئمة على كل كلمة يصددها «المعلون»!

قلت له:

- مريدك أتى بسائل الحكمة.. أردت استنقاد روح، ولكن منعتي أهرها وأخجلنى العجز.

قال،

- قلما أتاه فى الصحر صائحا: زملونى.. «دروى»، احتضنت خرقه ومنعت عنه الضرر، وحذقته وكانت أول المؤمنين.

- ولكن أياها يا سيدنا رجل شرير.

وما أنت بقادر على الحكم على القلوب، وليست الأعصاب أولاً وآخراً إلا من أهل الدنيا.. وأما القلب فليس على درب الروح الواصل.

لهذا انتقلت إلى بيتها، وقال الأصدقاء: انتهيت. وصاح أبى: ألف لعنة، وزيئت واجهة المنزل بأبورد الأحمر والرياحين، وأعلام بها حلال ونجوم ثلاث، ردد أبوها وراء المأذون «زوجتك ابنتى البكر الرشيد»، فأمل «محمود» لحبة أبيها، قالت عيساء: أين رأيت مثل هذا الشجر من قبل؟ وأما كتاب «ألف لئمة» فما أمتعته، وأحلام المراهقة كم كانت لديه، وكم سرح الخيال مبعوضاً خلف سطر بنزل: قلما أتاه ويدها دُرّة لم تتب ومهرة لغيره، لم تُركب. تكفل دوب الأعصاب أول مرة، وبعدها ضحككت الجدران ليال طويلة وقهقهه المطاء ألف مرة وانكشث الروح خيلاً. دق الباب وانفج عن اللحية. قال القم المعوج:

- هناك دبون..

وليس المتعجب لبيانت، كالقيم مع الفشل، لها أتاها هادم اللذات ومفرق الجماعات، وأما «زينب» فقالت:

- يا سيدنا احتاج حضرة..

تسمت عجيزتها لمسى، واعتلاً القلب نشوة حتى الثمالة.. وقال «محمود»:

- ينهى أن ينتهى كل هذا..

وأما الشيخ فصرخت وغرة على جانب فيه:

- يا مهدى.. أنت تريد.. وأنا أريد.. ولكننى فعلاً لا أريد.

- يا مولانا، العجز يجعلنى.

- وسر ضعتهم.. وزودهم بجود لم يروها فكانوا من الشاكرين..

وعندما غررت أصابعى فى دسم اللحم فى ولبة المولد، قالت

«زيب»

- هذه ليّة خروف تشبع يلمس النسم فى لحم النضان، فقيه شفاء

للناس.

ومن مولانا عجيزتها، وضع فمها صائعا:

- كلوا من طيبات ما رزقناكم.

فى الخلوة قال لى:

- بشر يا مهدى.. أناهى الإمام «الحسين» أمس فى المنام، وكنت

معه، وقال لى هذا المريد رأس الجلالة فى الأرض، زوده الله بجود لم

يرها، فليس فى كل مكان سارت فيه رأسى، وانه لو وجد جنوده عبدا فيهم

قلبيهم إلى حيث محتشد الشكالى والأراجل ويجمع الخزانى، والأمهات

الزواني جه ليهن، وليقل لهم على سائى: ابشروا أنتم أبنا «الحسين»..

ولهذا خلعت بذلتى القديمة، وألقيت أناقتها التى صنعها الكواء فى

ركن خلوة الزقاق، وبذلة «البحرالى» كانت يوما عريضة لأسطى.. وأما

التجود والسيف فكانت أوراقى كتاب قديم.

«كم هى مصيبة رحلة رأسك يا حبيبى «يا حسين» وليس الطائر

كالمائر على قمميه. وما يسترى الشيخ والمريد. وما أمر حزنك يا أم هاشم.

وكم كائن صبرك قاسيا.. أما ما فعلت يا حبيبتى عندما سال دم الأحباب

تحت أقدامك تشربه الرمال. فهو ما أدفع عمرى نسا لعرقته. أطمعنى فلاح

ومقانى وسائته:

- رأس الحسين مرث من هنا؟

قال:

- قطعوا رأس جدى يا مولانا.. كانوا يصيدون الحمام..

وقديما نالت «زينب»

- لماذا لا تأكل حساماً.. إنه مقر ليا

وأما البدلة، فقد استخدمها كل زائر للحجرة فى بعض شؤونى،

فأصبحت مجمع توقيعات الزائرين، وقال أبوها:

- اختفت حبوب منع الحمل من البلد وكنت أطعمها مع «الأتقيون»

ورأسى الآن تكاد تنفجر..

سأله صحابه: قصصه فى البدلة وكانت بجوار..

قال «أبو رواش»

- تكاثروا تاسلوا غانى صبا بهمك الأهم يوم القيامة.

- سقاها يا مولانا؟

- إن خضم الضر فاعزلوا..

لم أجد جنودى يا مولانا. و أكلت الحشرات بذلة الجبرالية..

عجزت العين ولكن القلب يرى..

- واختفت حبوب منع الحمل..

- وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم.

- وحتى لو أنجيت ابننا ليس أبنى؟

- واجعل لى نصير من أهلى هارون أحنى، أشد به لورى.

- ويكنه ابن عذري.

وشمشت الروح، في الظلام، أنارت كوة برأس «الحسين»، سألتني  
شناهاها. أين الجود «يا جنرال»؟ قلت. بحثت فلم أجد. والطريق الذي  
طارت عبره رأسك من المخطوط المحرمة دوليا. وليس الظائر كصاحب قدمين  
كلبتين، وأما رأسك فما أجملها، لكن أين جسدك؟ قال: أتسألني عما  
أريد أن أسالك عنه؟

بحثت في ظلام المقابر فلم أجد، وبث الليل في المهجور منها. حولي  
عنام الأموات، ترغت على شفتي ألف كلمة، وألف نشيد والروح الراضة  
تبحث وما من مجيب، والظلام المحطر يأكلني يوما بعد يوم، لذلك شاب  
الشعر من شرخ الشباب، ولم أعلم من الشيوخ حكمتهم، ودق همي على  
الأذهان فما أضيع العمر، وأمس وجدت وثيقة رفاقي في جيبى، فتذكرت أن  
لي بيتا وزوجة، وسألني أبوها.

- أين الجنود يا جنرال؟

لم أجب، ملأت ضحكاته الساخرة فراغ حجرة الزفاف، واستقبلتني  
«رش» بأعزاز العجيزة.. وقال مولانا

- أبحث عن خلايا جسد الحسين.

قلت:

- كيف تمسح رأسه بلا جسد

ما أكثر الأسئلة التي تبحث عن جواب. وليس في أقدامى قُدرة على  
السبر وعلى باب الصريح قابلتني امرأة قصاح منها من خلال إطار السواد  
حول وجهها

- القضية تارة ٢٩٩٨ ستة كلفا وستين، جنابات مصر، القتييل وسعيد

وسعيد مهران، والقاتل «رؤوف علوان» وقضية المفتي أمر بالشنق،  
«وعشماوي» قبض خمسة جنيتها. والحكم تم بعد المداولة.

واردني أبي على باب المضريح، قال: عد لبيتك. فقد هارت بسببه  
سوق كل البضايا. زوجته قاقت الكل.

قالت رأس المتهترة.

- يا من من يرى ولا يرى.. أعط البعوض جاحها!!

- لا أغسلها!!

- وأعط عقدة من لسانى، بفقهوا قولى!

أنعمتسى. لو سمعت كلامي من البداية، لأصبحت اليوم جنرالا  
مفتيا، ولكنك خبت.. ففصلوك من الكلية الحربية

والجود يا أبى؟

- طلق زوجتك.

والحب؟

«وما صبرنا إلا لأتينا محبين، ليس الحب والصبر صبرين، فليهجر  
الحبيب - شاء له الهجر، لهذا أتاني أبوها بهللى المرصعة بتزيينات  
الزائرين. وحملتها على كتفى وأقدمى الكليكة أصبحت غير قادرة على  
السبر وكان

- فأت وثيقة الزواج..

- ولكن.

- قلت لك هاتها

- سيضعكم اسمي..

ضحك الشعر تحت غففيه وقال بخر أنفسي..

- أصبح البقاء رسمياً - وجوب منع الحمل قلاً الدنيا!

لهذا صاع الجتود. وزارتني رأس الحسين، وقالت: ألفت لعنة، جودك  
ذهبوا إلى بيت زوجتك يصفقون في ليالي الشوفا.

يا أم هاشم. يا بنت بنت رسول الله. محبوسكم آل البيت شغل  
وجف... امتص الصبر بالشحن كل دم عروقه.. واقف بلا كلال. وما أمر  
حزبك يا أم هاشم. وكم كان صبرك قاسياً. وأما ما فعلته يا حبيبي عندما  
سال دم الأحباب تحت أقدامك تشربه الرمال.. فهو ما أدفع عمري ثمن  
لمعرفته. وإني لصابر حتى أعرف. فما صبرنا إلا، لأننا محبون. أليس  
الصبر والحب صبرين؟!!

## الايقاع على هاذبة اللعنة

ليكن شعارك أن كل الإنسان على الإنسان  
حلال، عروحه.. وماله.. ودمه!

للمرة السابعة خلال عام واحد، أقسم صديقي «الدكتور مراد» أنه  
سوف يغادر البلاد نهائياً ليقوم في الأعراس الإفريقية. وكان يردد ذلك وهو  
يعكر في طريقة ينفذ بها «ملكه» الذي كان قد حوصر حصاراً قاتلاً وعندما  
تجبح في إبعاد الخطر عنه مؤقتاً، تنهد بإرتياح وقال إن التخلص من مأزق  
شيء جميل، لذلك فسيفقد فكرته في الهجرة إلى شرق إفريقيا مهما كانت  
العقبات. وتأملت «القبيل الأسود» وحسبت كيف يمكن أن أهاجم الملك مرة  
ثانية دون أن يقتل بذري، ثم هممت بأن فكرته مقربة إلا أنني مللت  
ترديده لها وأن عليه أن «يكش ملكه» للمرة الثانية. إذ ذلك اقتسم وقطب  
حاجبيه طويلاً. وبأدي «تاهد» من الداخل وسألها عما إذا كانت البيرة قد  
تتلجت. فعادت بعد لحظة بعرة شاي متوسطة تحلل البيرة وأطباق المرات..  
وبما استقرت تأمل موقف الملك الصعب والتفكير في وسيلة لانتقاده من  
الموت، كان «مراد» يشرب في تلفذ ويثرثر أيضاً بتدفق شديد وكان الوباء

كالعادة لثورتها اليومية، وقال أنه سيصطر إلى إنشاء معزل ثالث في بطرف الشرقى للخدمة، ذلك أن الرءاء انتشر وتقدم إلى مالا نهاية، رسال ناهد عن رسالة الأدوية التي وصلت أخيراً فقالت انها اوشكت على التفاد قشرب كاسه . وقاله

- لا أمل في شيء.. لقد انتهينا.

أطرفت ناهد رأسها إلى الأرض، كتبت آثار الجروح مازالت غلا وجهها، وتشاغللت بإصلاح ثوبها الأبيض المصع يقع حمراء كبيرة. وسألت من «ماعسة» فقال

- اختفت.. وهم يتسجون حولها الاساطير..

وفي تلك السنة كانت «ناهد» قد اعتصمتني في حجرة الكشف وعلى مائدة الجلدية الباردة حدث هنا ذات ظهيرة غاب فيها «مراد» عن عيادته، وقفت على الميزان وهي يجول في قرا ما يؤشر إليه، وفي محاولتي للزول وجدت نفسي في أحضانها وهممة نتج تصدر عنها لم أجد مبررا لها، إذ حتى هذه اللحظة لم أكن قد فكرت في الاحتكاك بلمسها الطرى. وخلال دقائق مغمومة مارست لذة الاحتكاك به وكان لزجا بالعرق، واسع الجسم كدجاجة تنف ريشها، وكان الشعر ينتشر بين الثدييها في خط طويل ينتهي قبل منتصف البطن ليعود بعد ذلك بقليل في هرم كثيف ثرايد كثافته تدريجيا حتى تتحول ظلاما دامسا، ووجدت بدني أسبح في بحر من عرقها ثم أهدت تماما ومنذ ذلك اليوم لم يتكرر ما حدث، وقد انتظرت في قلق أن تعاود اغتصابها لي، ولكنها لم تفعل ففكر حساسي لذلك.

وكنيت أعرف أنها مشيقة صديقي «مراد» ومخضته، فهي تقارب دورا وسطا بين المرحضة والزوجة. وفي جلساتنا الخاصة كان الباطل الأبيض يعادر

جسدها ليحرك مكانه لثستان أخضر - وأحيانا يوجعها أو قصيص نوم - فتشرف بهارة على تلييه ما تريده، حريصة على ألا تتجاوز وضعها الدقيق، فلا نهزم كل الحواجز بيسا وبيسا، ولا تتدنى بها لتصبح خادمه.

وعندما تطفئت يوما على صديقي «مراد»، وسألته عن طبيعة العلاقة بينهما أكد أنها كائن شيطاني بلا أسرة، ولا ماص، والأرجح أنها عادت أسرتها في ظروف غامضة لا يعرفها. وأسر لي أنها اغتصبته رغما عنه في ليلة شتوية مطيرة كان فيها سكرنا وحزنا لسبب ما، وأنها تكرر اغتصابها له كلما أرادت وليس له أن يعترض وأكمل وهو يذهب شيئا في كرب شاي أمامه:

- في بعض الليالي بعدني الرعبه بيها فلا أجرؤ على الاقتراب منها وانتظر في قلق أن تشير إلي، ولكنها لا تفعل ولا يبقى أمامي إلا ذلك إلا الاستعانة بمد من الخارج.

كانت «ناهد» أميل إلى الاسمرار، ذات ملامح دقيقة كظلفة، تبدو من بعيد هادئة ووثيقة، وجسدها في إطاره الخارجي عذري الملامح، وليس كذلك إذا تأملت تكريه الداخلي وفي مرات قلائل - خاصة قبل أن يستعمل الرءاء - وأيتها وهي تحشو سجانها بالحشيش، وكانت تفعل ذلك بدمه وتلذذ، وأصابها التحيلة ذات الأنظار الطويلة الملهدة تتحرك بهارة وحررة، ثم تدخى بشرافة، وتضم شفتيها اللسنتين على السجارة تتسحب نفساً طويلا تحبسه في صدرها فيلذوب ولا يخرج منه إلا القليل، ومادرا ما كان الصمت يفارقها، فتبتسم ابتسامة خفيفة إذا ما سمعت منحة. وتهز رأسها إذا سمعت غما ورفضت بإسرار ذات ليلة أن ترقص، وتركت أكعها المصفقة تدق الايقاع دون إجابة لقلت. ليهكن. أرقص أنا وأمسكت لي الراحدة ورفقت عينها رغما تنهان جسدي في اهتزازاته السريعة. متشبتهين لأقصى الحدود برقصي.



وفي تلك السنة شعلنا مراد بمحدث متصل عن البلهارسيا. وقال أنه يفكر في طريقة جادة للقضاء عليها. وأن فكرة طارئة نهشت في ذهنه وهو يستعمل. أن يوقف حياته على هدف سام. بأن الهدف الذي اختاره، هو هزيمة البلهارسيا هزيمة ساحقة. وأكد أنه سيكون مشير أن يضع كمية كبيرة من مبيد حشري حدد نوعه في مجرى النيل فذلك هي الوسيلة الوحيدة والسريعة لانهاء قوائم البلهارسيا. ولما نهته إلى أن ذلك سيقتل الدرع والخيران والإنسان أيضا. ضحك وقال بجدية شديدة رغم أن كلماته كانت مشبعة برائحة الكحول:

- البلهارسيا كائن حقير وتافه، فاما أن يمشي الناس حياة قوية وسليمة وإلا فلا مبرر بلحياة أصلا..

وقد اعتبرنا المسألة واحدة من فكاهاته التي لا تنتهي رغم أنها أصبحت مرحلة لنا، إذ أصر على أن يضع في كل مكان من مسكه لوحات حجرية مجسمة تطل منها دودة بلهارسيا مقبضة وشعبة المنظر، وذكرها يحتضن أنشأها في بطنه، وفي ليدي انسر كانت تتطلع عليها، نسمع كلماتنا، تراثب نظراتي المشرفة إلى «ماهد» وفي مرة أقسمت لهم أنها أخرجت لسانها لي. وقد ضحك «الشيخ رضوان» - إمام مسجدنا وواعظه ومقيم شعائره - طويلا، وقال أنه كاي يتصامل دائما عن معنى حرف «البل» الذي يسبق توقيع «مراد». والآن فقط عرف أنه اختصر لكلمة «دودة»، أما «ماهد» فقد دافعت عن الدودة دفاعا حارا. وقالت أن لونها جميل وأنها تنصح بأن تنتج شركات الأصواف، صرغا بلونها الأصفر الباهت بيد أنها عبرت عن كراهيتها للأنثى التي كانت تستقر مستسلمة ببطن ذكرها.

وفي الليلة نفسها هرس الشيخ «رضوان» مهبط بطنه - وكانت تلك إحدى عاداته المردولة - وتحدث متفلسفا عن حكمة الله الذي خلق من كل زوجين اثنين، يسعى كلاهما للآخر، رجالهم قوامون على نسايتهم حتى في

زوجين اثنين، يسعى كلاهما للآخر، رجالهم قوامون على نسايتهم حتى في دينا البلهارسيا، سة الله وثن تجمد نسنة الله تديلا، ولولا أن ماهد عاجلة بعابة الجورة لاستمر في حديثه الطويل. بيد أنه سحب نفسا عميقا، وأغلقت عينه السليمة - فالأحرى عشاء - ومضى يبتلع ببطء، ثم طرد ما بقي منه وكان قليلا - وأسند رأسه على كتفه، وسبح بحمد الله طويلا

وكان قد دحنا حتى اكفينا عندما مضت «ماهد» إلى الداخل، وثادت «مراد» بصوت وحشي، فابهم ابتسامة هزيلة واعتذر لك ومضى خلفها، رلة أنفرد بي الشيخ قال:

- هذه علامات الساعة.. صاحبنا تتعشى الآن بالدكتور..

فدعوتني إلى أن «ديكرس» لنا كرسيًا ندحه ففعل، وقال وهو ينادي العابة أن «ماهد» حاولت أن تمتد على عقامه، ولكنه قاومها بمنع

كانت مترحشة ومترسمة، خضشت وجهي بأظفارها الطويلة الحمراء. فأسالت «داني»، مرقق جيتي، ععضتي هي كعشي فضخظت على رقبتيها. افنتت منى، حاولت أن تنال مكمن عفتي، فكتت من ثديها الأيسر، عصرته بكل ما في كفي من قوة، فنهاوت على الأرض. هزمت تماما.. وبكت..

سأله عما إذا كانت قد قدت ملامحه من قبل أم من دهر ضحك طويلا وقال أنها مزقتها جميعا ومن كل اتجاه. فقلت:

- محافظتك على صماعة في أيامنا هذه شجاعة تصمد عليها.

شكر الله الذي هدانا إلى ذلك، وأكد أن جسدها مشعر، وأن الله يبارك في الرجل المشعر ولا يبارك في المرأة المشعرة.

ومن المؤلف حقا انتي لم أتابع ما حدث للشيخ «رضوان» بعد ذلك، إذ قضيت ما تلا ذلك من أسابيع في المستشفى عقب اعتداء وحشي وقع عني في الطريق الزراعي ذات سحر. وكنت قد أمضيت أغلب الليل أشرح

في القرية، وقدرت سيارتي وكان الظلام حائقا والطريق خاليا وصامت كغير  
قرعوني. وكنت أتأمل في إصجاب مسير الرصاصة التي اخترقت الجبهة، ولم  
أجد لها أثرا في قاع الجمجمة، ولم أجد لها أثرا في أي مكان آخر من  
الجسد، وسلبت القتل لأهله مجموعة متناثرة من اللحم.

وعندما حادث النخل الكثيف في منتصف الطريق وجدت عائقا يصع  
سيارتي من الحركة، أوقعت المحرك. ولدت الظلمة أشباحا ضخمة باداسي  
وأخذ منها باسم لا أعرفه كان صوته غليظا وعريضا. ردد الصمت والفراغ  
صده المرعب. طلب مني أن أغلق أنوار السيارة وأغادرها. ولم أكد أفعل  
حتى جاء صوته مرة أخرى عريضا كأنه العضاء نفسه.

- يا ابن الكلب.. محرم تتناول على أسبائك

ولم أسمع بقية الكلمات. إذ انتهات على العصى من كل جانب مزلة  
وبشعة. تدفق سائل غليظ القوام وحار على وجهي. خفت، فلكنتي الرعب،  
إنهيت على الأرض، قبلت أقدامهم. توسلت لهم، بكيت. أغشى على  
صعوت لأجدتي في المستشفى. وفي تلك اللحظة فقط اكتشفت أنني لم أكن  
المقصود لأني لا أحمل الاسم الذي مادوه. كما أنه لم يحدث أبدا أن تناولت  
على أي من أسبائك، إذ كنت أنوهم - حتى تلك اللحظة - أنني بلا أسبائك  
على الإطلاق. وقد ثبت فيما تلا ذلك من سنوات أن هذا وهم خاطئ دفعت  
ثمنه الكثير.

وفي المستشفى زارني «الشيخ رضوان»، ودعا لي طويلا، وقرأ آياته  
وتماويده، فقلت له:

- أنا حزين يا مولانا، العار بجلثي، ثم أنني دهش: كيف لم  
أقاومهم؟ لماذا بكيت وقبلت أقدامهم؟  
بسمك واستغفر طويلا ثم قال:

- أبشر، سوف تتغير الدنيا بهذا أنبأني هاتف زارني في المنام.

وأقسم أن هاتفه بشره بأنه مدخر لرسالة عظمى، لا تقل عظيمة عن  
رسالة «المسيح الدجال» وأنه تمهيد لذلك قد دفعت فيه كل التكليف، ومن  
اليوم قلا بخلجن من شيء، ولا يخافن من أحد.

ومضى يقاب طويلا، وسألت «تاهد» عنه فابتسمت ابتسامة ذات  
معنى. وأكد «مراد» أنه لن يأتي، وقد لا نراه بقية العمر، فقد لرم بيته ولم  
يعد يؤم الصلاة في مسجد مدينتنا الصغير. ولم يعد كذلك يؤذن أو يلقي  
الخطبات، ذلك أنه ضبط ذات فجر وهو يحاول أن يلوط غلاما صغيرا في  
الدور الثالث من مئذنة المسجد، وصرخ الغلام واخطف الرواة فيها إذا كانت  
صرخته استعانة أو نشوة فتدافع الرجال الذين كانوا يستعدون لصلاة الفجر،  
وفرقتا بينهما، وضربوا الشيخ والغلام ورموا عمامة الأول وكاكولته وحتى  
قطائنه، ورفضوا أن يشركوا له علابه فسار شبه عار من المسجد إلى منزله،  
فظمه صامتا وحزينا. وقيل - قلا عن غلام أمرد يعمل عنده - أنه يفكر  
في الهجرة إلى بلاد الانجليز التي إباحث اللواط - كما قرأ في الصحف -  
وقد اتضح بعد ذلك أن تلك كلها إشاعات وأن الشيخ لم يفكر في الهجرة.  
بل كان ينتظر في قلق هاتفه. وكنت أقطع وقت المرض الطويل بالمستشفى  
في قراءة تقرير عن حالة الأمن العام في مدينتنا، وقال التقرير إن هناك  
زيادة ضخمة في عدد جرائم الاعتداء على الأشخاص، بلغت ٢٥٧ حالة  
خلال الشهر الستة الأولى من العام، وأن هذه الحوادث تشمل الصرب الذي  
بعض إلى موت والقتل العمد. هذا فضلا عن حوالي مائة جريمة هتك عرض  
واعتصاب بالقوة أدى بعضها إلى موت الضحايا أثناء المقاومة. وقلت  
لنفسى إننى سأزيد الأرقام وأحدا في العام القادم. وأن ما حدث لي بكل  
بشاعته سيصبح في النهاية مجرد رقم يزد من تلك الأرقام الغربية

وكذب حضور «الشيخ رضوان» لزيارتي - مرة ثانية - كل ما قيل

عنه، وكان يومها هادئاً ونظيفاً جداً، وسألته عن هاتفه فقال أنه راره،  
وحاويه طويلاً. ثم قال له في النهاية:

- ليكن شعارك أن كل الإنسان على الإنسان حلال: عريضة، وماله،  
ودمه.

وعندما خرجت من المستشفى كان الهواء في بداياته الأولى وزرت  
«مراد» في عمله فوجدته يعطل بعض العينات أمام ميكروسكوب عتيق،  
وانقبط قد تركنا نصف مرمى، جلست على مقعد معدني فمرت براحة  
لرطوبته، قال:

هامة شريفة العينات كلها سليمة حتى الآن. المشكلة أن  
«ناعسة» ترفض أن تعطينا أي عينات.

وكان اليا - قد بدأ في عربة على أطراف مدينتنا ثم انتشر كانت  
الأعراض واحدة. وربما في الحالة الأولى فقط بدأ الأمر غريباً. إذ أمر  
العريس وأظن أن اسمه كان «أيوب» ألا يقض بكارة زوجته في حضور  
شهود، ورفض المديبل الذي قدمه له أبوها طالباً منه أن يردّه حاملاً الدليل  
على أن أخته صانت عرضها واحتفظت بعذريتها سليمة وهي اللحظة نفسها  
كانت العروس - واسمها على سبيل القاطع «ناعسة» تطره الدابة وأم  
العريس وأخواته، وترفض أن تخلع ملابسها، أو أن يعرض أحد لحظة ثقتها  
بزوجها، وعندما حاولت الدابة وأم العريس أن يوثقها نكي تؤديا مهمتهما  
تشاجرت معهما وعصت الأولى في عجيبتها إذ داك ضرب أبوها العريس،  
وأمره أخوالها أن يفعل كغيره من المرسان، فرفض بشدة، وقال أنه سيدخل  
بها في أي وقت يشاء، ولطمت أمها حديها وولولت في لئاجل، وحلت  
شعرها وإنهالت العصي على «أيوب» من كل مكان، وتحطمت مصادر  
الصوت كلها، وفي الظلام الدامس أظن مجهولين الرصاص، وحلت ساحة  
الحمل، وارتفعت أصوات النساء - التي كانت تزغرد قبل لخطاب - تصرخ

في رعب قاتل، ولطخت الدماء التي سالت كناغورة قطعاً كثيرة من أثاث  
العروس.

وفي السحر حملت إلينا الاسعاف «أيوب» مصاباً بجرح عميق في  
رأسه ويكسور في ذراعيه ومساقيه، وتفاقت حالته في اليوم التالي وأصيب  
بعضى حادة، ولم يكن يتحسن قليلاً حتى أصبح يطرد كل ما في جوفه،  
وتدهورت صحته بشكل مرعب، ورأيتها واقفة على باب حجرتها، قلقة  
وحائرة ولكن وجهها الأسمر لم يفقد حرته في أي لحظة، كذلك فحلب  
ملايسها المحتشمة أن تخفي قسمات جسدها المسنة. كان كل جزء منه يقود  
إلى الأمر بشكل تلقائي، بحيث لم أستطع في كل من أواجهها إلا أن  
اتعرس في كل قسماته وكانت عيناها صافيتين ثابتتين، لا تطرفان أبداً  
مهما حدثت فيهما، وفي مرة اجتذبت صدرها، كان خصباً كأرض يرايح  
وقلت لنفسي أن أطفال العالم سيسعدون لاشك عندما يسمعون نوح هذا  
المحصونة الواسعة الدافئة...

وبعد شهر من شدة، عاد إلينا، ورأيت يدها شاحباً ضعيف  
النظرات، خجولاً وكان شاربه قد تهدل. وشكا في كلمات متقطعة أنه لا  
يستطيع أن يؤدي واجبه كزوج، وأنه في اللحظة التي يشعر فيها أنه في  
أقصى لحظات توجعه والتي تنتظرها زوجته في عطش محصور، في تلك  
اللحظة يشعر بألم شديد في مؤخرة رأسه، وكأن آلافاً من العصي الغليظة  
تنهال فوقه، ومع الألم أعاد تخفي حياسته قداماً، ويرقد متهازاً كحرقه  
قديمة بجوارها، وضحك «مراد» ضحكة عالية وهو يردى الحكاية لنا في  
المساء، وقال أن العالم يتفقد في اكتشاف الثغرات ليحظى بعجزه الدعين.

بعد أن المشهور التالية حملت إلينا الأبعاد الكاملة للخطر الذي  
تعرضت له مدينتنا والذي كان خطر حقيقياً، إذ بدأت الحفلات تتزايد، وظهر  
أن المرض كامن كالنبيمة، وأن ستارا من الحمل كان يحول بين الرجال وبين

التعبير عن الكارثة التي أودت بزوجاتهم. وقد تأملت طابورهم الطويل  
اليائس والحجود سواء في ردهة المستشفى الطويلة، أو في حجرة الانتظار  
بعبادة «مراد». وكانوا خفيظا لا يجمعه شيء، مصممين وعطريشين وعراة  
الرؤوس، وحائلي الشعور قماما، وعدد من شباب الهيبير بشعورهم الطويلة  
وسوالهم النسائية، وقد تأملتهم «ناهد» بنظرة يطل منها الاقتراس لم تدم  
إد أدركها الفتور وخيبة الأمل سريعا

وكانوا دوما قلقين يبدخون بشراة وتروعج أطراف لعائنهم حتى  
لتحدث فرقة حقيقة، والغريب أن نظراتهم كانت لا تستقر على شيء ولم  
تكن عيون أي منهم تلتقي بعيون غيره. إذ شغلت كلها بتأمل ديدان  
اليهارسيا التي ملأت الموانط في تشكيلات هندسية معقدة. وبدأ من تأملهم  
لها أنهم معجبون بها.

وفي مرات ليست كثيرة، جاءت نساء، سألن «مراد» أن يكتب  
لأزواجهن أدوية مقوية ومعيدة للشباب وباعثة على الحيوية، وقلن أر  
أزواجهن يخجلن من الذهاب إلى الطبيب وأنهن تفصلن أن يكون الدواء من  
شكل مسحوق حتى يسهل عليهن أن تدسسه في طعام أو في شراب دون أن  
تضطرين إلى الاعتذار لأزواجهن بأنهن لجأن للطبيب. وكان «مراد» يضحك  
في سره وهو يطلب منهن أن تصعدن إلى منضبة الكشف، حيث يتيح ليد  
فرصة ملاسة أجسادهن، ليقول لى في النهاية:

- تصور هذه الأجساد الجميلة. لو ظلت هكذا عطش، إن كارث  
قومية في الطريق.

ويبدو أن توقعه كان صحيحا. إذ ظهر «الشيخ رضوان» فجأة ذات  
مساء وأعلن أنه أنهى اعتكافه بعدما وصلتته أنباء الرباء، وترحم على أيام  
الكوليرا والملايأ، واستعاف بالله من شر النفوس السيئة، ومن كذب اللسان  
الذي دفع البعض إلى اتهامه بأنه عاد إلى ممارسة هوايته القديمة في

الاستعانة بالأحبة والتعاويل لسلب الرجال قدرتهم على الإحصاب، وأقسم  
نفسا مغلفا بأنه تاب عن ذلك تربة نصوحا. وأنه مزق الكتب والأحجيه  
كلها. بل أنه حاول أن يعود إليها ليستعين بها في دفع البلاء الذي عم  
مدينتنا فلم يجدها، ثم سكت طويلا فسأته «ناهد» عن هاتمه، وماذا فعل  
معه.

- الظاهر أنه هائب إيس أربطة، مضى ولم يعد.

وصحك صحنكة قصيرة وأصاح

- عندما يحل هراش الرجل من صجيعة، أو تكون العبارة رديئة،  
فإنه يفكر عادة في أن يكون تيب، وذلك في شيء ما دفع صديقنا الدودة إلى  
الالتصم بحكاية لينهارسيا

ضحكتا قهقهت بطن الشيخ في توجات، واكتشمت لحظتها أنه  
يتنسى بشكل مباشر إلى جد من القردة العليا، كان وجهه مجذور وأتفه  
صعبا ككرة صغيرة مبيطة بالحقر وتوقف الصحك وقلت جادا:

- ولكنك يا مولانا كنت متحمسا لدعوتك، وهي دعوة جديدة  
بالفعل.

شد نفسا طويلا من غابة الجورة وازدوده قال:

- راجعت بعض الصحف فوجدت أنها دعوة قديمة جدا

وضع مسبحةته بجوار الاتاء الذي يحمل جمرات النار، ومضى يتحدث  
عن فصائل «العبارة الهندية» فقال أنها تنشط أجساد الخامد وتوقظ الرعية  
الهامة وأنها مدرة للنسل وقاتلة للكدر. واقترح أن يكف عن التدخين في  
الجورة والسجائر. وأن يضع «العبارة» كلها فوق النار وتعلق لتواظ  
مستنشق هراء، كله خطر. ونحسبت «ناهد» للاقتراح، واعترض مراد مؤكدا  
أن الطريقة قد تودي بئ وتقتلنا

نهايتها أصغر الرجال وهذا متركب خراب يباباً وقد احترق فيها الحرق  
والسحل، ودعانا إلى أن نمرن مثله حزناً عميقاً لا حد له، وليكن حزناً  
جديلاً ككارتنا، فنعيش الحياة بكل ثمانية فيها لا نضن بشئ.. بيد أنه  
أكمل فكرته بتوضيح أكثر - عقب عودته من الداخل هو و «باهد» - فقال:  
- هذا بالطبع إذا كنا ما يزال غلك القدرة على ذلك!

قطعت الحديث لالمت نظرهم إلى صورة غريبة وجدتني في جريدتي،  
وكانت الصورة لامرأة ويتنامية فُتلت إثر غارة، ويبدو أنها كانت تستحم في  
جنول صغير تاركة طفلتها على شاطئه فأصابها الشظايا في مقتل، وكانت  
الصورة لها وهي مارية قدما، مينة، والطفلة الصغيرة قد تحركت نحو جنبها  
بعد ما قرصها الحجر، لدثهت حلمتها، وأخذت ترصع من لديها الميت.  
وقلت لهم:

- ما رأيكم يا أصدقاء في هذه الصورة المعبرة؟

قال «مراد» أن جسد المرأة نموذج أنثوي رائع، وأخرج نظارته الطبية  
لكي يحاكم من أن ما قاله مطابق للواقع، وتقررت بشعرها الأسره الطويل،  
وكان مهلاً بالاء، يحيط بوجهها كشعار الحداد، بينما لمت «باهد» نظرتنا  
إلى الشظية التي أصابت المرأة في منتصف بطنها وقال «الشيخ  
وضوان»:

- هنا انتهاء حرمة الموت. والصورة فوق هذا مثيرة للفرائر الدينية.

ضحكت «ناهذ» ضحكة طريكة - وكانت تثرثر بكثرة، وتلك حالة  
قادرة - قالت:

- ولكن لا تنس يا مرلانا أن العرائز الدينية قد ماتت، وحتى لو  
كانت حية فإن ظهر المرأة لم يظهر!

وانقبرنا ضاحكين، حتى «الشيخ وضوان» نفسه تهقه مداريا خجله.  
وقلت مقبرة حديث.

الحقيقة أن الرصاصة هي أوقع ما في الصورة، ماتت الطفلة  
لاشك، ولم يحن الشئ عليها بقطرة لبن واحدة.

وقال «مراد» أن هذا سيحدث في مدينتنا، وأن الرواء سيقتضى علينا  
تماماً، وأنه يلزم نمر المدينة ثلاثين عاماً أخرى، كحد أقصى، يموت في

## اضغاث احلام

« .. اودعت قلبي إلى من ليس يحفظه .. انصرفت  
حظي وما طالعت قدسي .. »

١

في الصباح شرعت في قتل «رمسيس الثاني» أخرجت مسنمي -  
«برلوسج ٩ طلقات» - تأملت حبة الدقيق قبلته. سررت إلى شفتي  
وطوبته. مزدهجاً كان الميدان. رجال معروقين صُفر الوجوه. جمعهم ينظر إلى  
موطن أقدامه. قلب لعل قرشاً ضاح، فمن يجده في هذا التزاحم؟  
وقفت «ليلي» على محطة الأنوييس. أشارت إلى التمثال في وجهه.  
«سعاد» كانت معها. تعلقت عيناها بقمة التمثال العالية. ظلت مشدودة  
إليه.

قلت سأضرب الرأس حتى يموت بطلقة واحدة كان موظفو شركتنا  
ينتشرون كالنبايب المنهك.. قلت أنهم ميسهدون ضدّي في المحكمة. صوت  
المسمن. أطلقت رصاصاته التسع في تدافع مستمر. لم يحدث له شيء



طانت في الهواء ثلاث رصاصات، توزع ذليالي بين القاعدة وقدمه اليمنى.  
واحدة فقط أصابت وجهة الجرائتي، أشار «رمسيس» إلى العمارة العالية.  
اقتربت منه صحت.

- تويدتي أن أنتصر، لن أفعل!.. سأقتلك.. سأقتلك.

حرك قدمه اليمنى ليربها من الموقف حبلتي طاربي، علقس فوق  
لاقته غنلق يشعل الطابقيين الأخيرين من باطحة سحاب تطل على الميدان.  
صرخت جزعا، تسلك ضحكات حلقى، قالت بت جالسة في تراس الفتق  
- انزل يا شاطر.. روح لأماك

..  
..

تقلب في فراشي، كنت قطنى لحرم حول إطار فوق «الكوميديتر»  
تنشمه، أخلفت عني من خلاله ابتسامة «سعاد» الخائفة، تشابت، حملت  
فوطتي توجهت إلى الحمام

٢

في انصحي، قال صديقي «محمود»

- شيء غريب.. لم أتم دقيقة واحدة ليلة أمس.. صراخها إطار النوم  
من عيني.

- والطبيب ماذا قال؟

- طلبته في بيت غنلق رعلانا، قلت إنها تصرخ، يبرود قال: وما  
عساي أن أفعل؟ أي شيء يا دكتور أكاد أجش، قال: لدى مسئوليات جسم

فلا تضع وقتي أعطيها المسكن، فقد مفعوله يا دكتور لا جديد لدى ثم  
بحسم، لا تتصل بي بعد العاشرة، من حق أن أنام.

- كلب.

- أكلنا لحما وتركنا عظاماً.. بحث ما أمامي وما ورائي.. غنلق  
زواجنا كله..

- إصير.

- العليخيزين والثلاجة.. واليو تاجاز.. طرمة الصالون.. كل شيء.

- إصير.

- حقا.. ولعرض أني لم أصير، فمادا سيحدث.

- لعل معجزة تحدث.

هربت بهصري من القاعدة.. كان التشال واقفاً يتقسم في  
شباته، قلت:

- سأقتلك يا «رمسيس الكلب».. سأقتلك.

٣

عند الظهر خرجت من باب الشركة، ضحك من عمق حنجرتي على  
نكته سمعتها، انحنيت أنقب عن القرش الصانع في الأرض.. صرح في  
شرطي المرور ابتلع اتساع الميدان التشال، اقتربت منه، تأملت قاعدة.  
ملساء، كانت، قلت: لو حاولت الصعود إليه سأقع وتذق رأسي لو سلم  
حتى طائرة، لم أرقع في دغمر الاتصراف لثالث يوم، لهذا سيبتدهيني الـ  
العام.. ينظر إلى بعينه الجاحظين.

- يا أستاذ «صابر».. لك ثلاثة أيام لم توقع في الدفتر وعندما سألوك سغرت منهم.. لا أحد يجتبي من العصاب.

تجهن اللحظة الفاصلة، فهذا تعد العدة منذ أيام، أصرخ:

- أنت لست مديراً، أنت كلب، مرتشي ولص، بدل السفر ستة جنبيات في اللبنة. لماذا؟ تسافر إلى لاسكندرية لتصف وتأخذ أجراً إسماعيلياً وأنا انتصر في عز الحزن، وتطلب مني أن أوقع في دفتر الانصراف شخصي على أبوك. وقع.

يبهت وجه المدير العام، ينتشر الاحمرار في ملامحه المكتنزة ينظر الى في حرف:

- لا تزعل يا أستاذ «صابر» إهدأ أرجوك.

أخبط على المكتب بمجسم يدي.

- إخرس. ما لزوم هذه السكرتارية المهولة؟ ماذا يفعلون؟ يرتبون لك المواعيد القهرامية؟ صورتك ربح صفحة إعلان في الثلاث جرائد، من تظن نفسك؟ «بيكسون»؟ أنت مجرد لص وضع وسائله..

يخرج من وراء مكتبه.. يقترب مني.

- أرجوك يا أستاذ صابر.. عندي أولاد.. الله لا يقضحك..

جاء وقت تفجير التنبلة. شيطان أنا وعهد الله.

- رليلى؟

- مجرد سكرتيرة والله العظيم.

زغدته بيدي.. اهتز تواريه.. كاد يقع.

- .. والسهرات الخاصة في شقة العجوزة؟

- سهرات عمل والله..!

- وهل العمل رخيص.. ورخيص.. وحشيش؟

كذب والله العظيم كذيد، إشاعات المعرضين.

تجرك تاركاً مكانه.. طلعت محله. جنست خلف المكتب، المقعد مربع.. والهدوء وطب والصوم خافت..

مددت يدي. سحبت سمجاً هائناً من عتبة أنيقة على المكتب قلت:

- والاعرا - بالعلاوات والمكافآت العجيبة؟

- أظن التحقيق العاد. قدم المخرصون شكاوى متعددة للرقابة الإدارية ضدي، ولكن أوراقى سليمة

- وبعد؟

- وحققوا معي أيضاً في الاتحاد الاشتراكي، وثبت ان أوراقى سليمة

صحكت. أحدث أفلم اظايرى بمفص طويل وجدته على سطح المكتب

عاد يقرء

- أوراقى سليمة

خبطت على المكتب بعنف. وقلت:

- لكن ليلى دعت «سعاد» إلى شقة العجوزة يا رعد؟

- «سعاد» من؟

- صاحبة أجمل صدر وأشهى شفتين!

نظر إلى بحيرة. قال مراوفا.

- لا أهمها

وقفت.. اقتربت منه عندما رأى القمص في يدي خاف.. صرخت:

- بل تنفسي يا متصالي يا وضيع. ألم تقل هذا الكلام؟ عايز  
هذه البيت، من؟ الهايشة اللي هناك دي. «سعاد»؟ أبوه.. صدرها متهلج،  
فكرتني بعين راسل. ستأتهن بها هذا الاسبوع يا «ليلى». حدث أم لم  
يحدث.

- لم أقل هذا الكلام.. وأوراق سليمة.

- لا تكذب.. وإلا ألقيت بك من النافذة.

- حاضر ولكن لا تزعم..

- صحت وأنا ألوح بالمقص الحاد في يدي.

- وابعد عن الأجراس. لو حادث الاستعانة يمد من الخارج سأقتلك

فورا.

- بعدت.. لكن من نقل عني هذا الكلام..

- قرأته خايط «سعاد» لتذهب الى شقة العموزة، بدعوة منك.

- لم يحدث!

- ألا تعلم أني «وسعاد» خطيبين و ستزوج في الخريف

بُعت. عدت إلى الالتفاف حوله في حركة صامتة. قال بتسليم

- ليكن.. ولكن كن عصريا.. أنت شاب وتفهم طبعها، مجرد مودة

أنا أسف لم أكن أعلم أن «سعاد» لك طيش شباب.

- صرخت.

- انتهى نفسك شاباً يا عموزة يا مخرف..

هجمت عليه. أوقعته على الأرض. قاوم بشقة. حبطته على رأسه.

- صرخ مستغيثا، صحت.

- أكنتم فمك وإلا قتلتك. ساحرك الى «أغاء» كي تكف عن إغواء

الفرلة. سأخصيك بالكلب!

تزايدت صرخاته تهشت زهرية يرد زجاجية فوق رأسه. مرق المقص  
في يدي يمزق ملابس الفاترة. وصل إلى عنقه وشم منارسته المارة  
وعندما فتح الباب وتدق الموطعون. كنت قد ألتفت مهتني. وهم يتدافعون  
بحره.. خرجت مصلا. وصمت غيمتي الليلة بالدم على مكتب «ليلى»  
يهدو. ستلهم الإشارة وتعلم أن أوان اعتزالها القوادة قد حان.

انطلقت صفارة عالية - تراجم البعض حولي اقتادسي الشرطي إلى  
كشك انور في الميدان. قال لصابط:

- ما هذا أستاذ. كادت السيارة تدهمك.

- كنت سرحانا.

- فيم؟

- لا شيء. أفكر.

- ولكن التفكير متنوع يا أستاذ؟

- كيف؟..

- متنوع لدينا في إدارة المرور. إرفع الغرامة وإلا حبستك

٤

جلست أنتظر القطار على بوقه المحطة. طلبت شاب. أشعلت  
سيجارة

قال القاضي :

- يا «صاهر» لماذا أحدثت بالمدير العام الإصابات الجسيمة بقرار الطبيب الشرعي؟

- لكني يسود العدل يا أختكم..

أبتسم القاضي. خرج طربوشه على الجانب الأيمن. قال :

- إعتقل وأجب. أحسن لك.

- هذا هو العدل. طلب مني عاتق في المنام أن أحقق العدل على

الأرض.

ضجعت القاعة بالصحك والهمهمة. صحت.

- إصمتوا أيها الناطقون بالدين المقترمون للخطيئة الصامتون على

الإثم..

دق ناقص مطرقة على المنصة. قال

- أنت تهين الشهود

- ولكنكم فرسبون.

- شهد الجميع بأن المدير العام كان حسن السير والسلوك. يصلي

خمس مرات يوميا ويصوم رمضان. ويمتثل ودد التوبة قبل النوم ويؤد

الكنيسة يوم الأحد فيعترف بين يدي أبرما «لوقا»..

- قلت أنهم فرسبون

- ويدل ملفه السري في الوزارة وفي كل الجهات التي تحتفظ بملفات

سرية على أنه كان رجلا فاصلا تقيا ورعا.

- قلت أنهم فرسبون

دق القاضي على المنصة. وصاح :

- ولكنه كان صديقي

هزئت رأسي عنيدا

إن كان منزلتي في الحب صدكم ما قد رأيت فقد ضيعت أهامي

أمية ففرت بها روحى رميا واليوم أحسبها أضخات أحلام

مهر القاضي إلى أوراقه. وقال:

- تعال أوراق انتهم إلى فضيلة المعنى..

قادوني إلى الخارج. انشدتهم ورد التوبة الأخير :

أودعت قلبي إلى من ليس يحفظه أبصرت خلفي وما طالعت قدامي

.. ..

.. ..

انحنى الجرسون أمامي قال.

- هل تريد شيئا

- لا

- رأيتك تشير خلفك تطلبني.

- كنت أكلم نفسي..

- هذا وهاء منتشر هذه الأيام.. كان الله في العون.

- قهوة.. قهوة سادة من فصلك..

وصل قطار إلى رصيف ٣ تنازع عدد من الركاب. اشتد الزحام. حسوت

القهوة الباردة مرة واحدة.

.. ..

.. ..

انشق الزحام فجأة عن رجل يجرى. لم يشبه أحد في البداية إلى

صراحه. أخذ يلف في فناء المحطة. تميزت صرجاته.

- أنا مش مجنون .. والله العظيم مش مجنون.

جلبابه ريفي مخزن .. حاتى القدمين توردها معاط بأرطة مهلهلة

أندفع شرطى وبنى هزيل الجسم جرى خلفه صرخ الشرطى

- خلّقى يا جدع إنت وهو .. إمساك هذا المجنون.

وقف اناس يتفرجون .. نجعت شلة من الرجال والنساء .. أخذت تسمع

صراخ الرجل :

- يا عالم وكتاب الله أنا عاقل .. والله العظيم عاقل ..

صرخ العسكري :

- على ماذا تتفرجون .. سيهرب وأروح أنا فى داهية .. خلّقى يا

جدع .. أين عساكر المحطة ؟

جرى خلفه .. انتقلت المطاردة إلى الساحة الخارجية للمحطة .. تجمع

المتفرجون .. جرى كثيرون ليجدوا أنفسهم مكانا .. أخذت أدفع من أمامى

لكى أجد لنفسى مكانا فى الصف الأول .. عاد الرجل يصرخ

- قعدت بالمستشفى سنتين .. هيت رجعت البلد .. بأكف عسى يا

عالم المجدوتى .. والله أنا عاقل .. النهاردة البيت .. وإحنا فى شهر يؤونة

والجمعة سبع أيام .. والسما سبع طوابق .. وأعرف «بيكسون» و «موشى

ديان» كمان ..

جلس العسكري لاهثا على الأرض .. قال متوسلا :

- يا «بيومى» حرام عليك .. أنا سأروح فى داهية بسبيلك .. عدى

أولاء فلا تخرب بيتى .. تعال .. تعال ..

أخرج «بيومى» من جيب جلبابه سكبا طويلا تراجع رجلا كانا

يهمان بالتدخل صرخ ..

- أنا عاقل .. يا أمباشى قرج .. الكلام الذى قلته صبح أم لا ؟

قال العسكري يتوسل :

- صبح يا أخويا .. صبح ..

صدق أم لا ؟

- صدق يا أخويا صدق .. لكن تعال ..

- لا تقرب عشى .. أمامى أنت وكل الناس إلى القسم .. أنت عارف

كل شئ .. قل لهم أن تهمة الخشيش مزورة .. وأنه هو الذى دسها على .. وهو

لدى أحبرى على تظليتها .. ولهف انقبراط بتراب الفلوس ..

- حاضر .. تعال .. تعال .. معى .. اخفق على .. أنا أرحمك ولم أضع

انكبهات فى يديك .. يكون هذا جزئى ؟

شق شرطيان الزحام .. لبعهما «بيومى» .. جرى بعيدا .. حصراه فى

ركن من أركان الميدان دارت عيناه فى صحيريهما نظر إليها نظرة متوسلة ..

سكت الجسيح .. وهم يقودونه إلى الخارج كان يبكي بصوت مرتفع .. نظر إليها

أخيرا نظرة عاتبة .. ومضى ..

- يا أستاذ .. أساذ ..

- قمت منث فلا .. قال الجرسون ..

- لمت فى مكانك .. خشيت أن يفتلك القطار ؟ إلى أين تسافر ؟

- إلى .. إلى ..

- طنطا أم الاسكندرية ؟

- بلاد «واق» ..

نظر إلى يملادة .. مضى ..

في الماء، تحدثت حبيبتي طويلا عن الحب والحرية.. كان رأسها محسورا بخفيظ من التعبيرات التعبيرية والفلسفية.. اتسم الجرسون ابشامة لرجد قال

- تريد ن شمسية؟

رفضت بتمتمة غير معهومة، عاد يلح..

- كي نكوبا يأمن من التطفل،

صرحت فيه

- إمشي.. أغرب عن وجهي.. كلبه..

نظر إلى خائما.. مضي جاء انترودوتيل بالطلبات، اختمى الآخر..

علقت حبيبتي على القنادث بشفقات أفكار، سرحت طويلا

..  
..

جاء «بيومي».. أحنى أمامي.. قبل أقدامي.. صاح

- أنت تعرف كل شيء.. فهل تشهد معي

بيما.. ولكن أين؟

- لا أدري.. أكتب شكوى الآن.

- لضبط النقطة !!

- كتبت له واحدة.. مركها ورمها في وجهي قال مجنون

وأين..

والأمور؟

- دخلت له قال = أمعقول أن يخطف سيادته امرأة من رجل مكشف

مقلقه؟

- لمن إذن؟

- فكرو أنت !!

..  
..  
..

قالت حبيبتي..

- أفكر في ماذا؟

عدت من جولتي منهكا صرخ «بيومي».. تنظر لحظة تركته.. امرأة متصايبة تجلس على لنتضة المجاورة ومعها فتاة صغيرة.. أظنان أصباغ على وجه المرأة وفي صفا سيجارة.. الفء قلقة مربكة.. قلت

- في لا شيء

قالت حبيبتي

- «صابر».. أحوالك غريبة هذه الأيام.. لعل أعصابك مضطربة

- وأية ذلك أننى أحلم أحلاما غريبة

- مثل؟

- رصاص رشادق ومقصات.. قتال صخم ودماء.. «بيومي» يصرخ وما

من سمع.

- من «بيومي»؟

- صديق من أصدقاء الطفولة بالقرية

- وأين هو الآن؟

- في مستشفى الأمراض العقلية بالمحاذكة.

- يا خفيظ..



- وأمس ركبت حصانا أشهب، وسرت في الشوارع أنهادي والناس  
يهتف بأسمى.

- أحلامك طريقة .

جاء رجل أكرش استقلته العجوز المتصابية باسمه . ارتككت البت  
الصغيرة..

قالت وسعاد :

- مررت على البجار أمس قال أن ثمن القشرة راد عما اتفقا عليه  
وطلب مائة جنيه زيادة

- لص

- نعم.. ولكن ما العمل؟

ملعون أبو القشرة

- لا قبضة للمويليا بدونها

- ملعون أبوها في الأرض.

انكسب وجهها. خَبَّتْ لمعته. شعرها حريري طويل. صدرها أصوى  
واقر الدمامة. بدا من شق الثوب بعض فيضائه. أهدته ليدى المتلصصة  
أكثر من مرّة تسرب منه دماء منتشر صحت يومها «وملوس» -  
دثروني». ضحكك ونبلت ظافر كفى وكانت تعصران دمانتيها

قالت أنت عصبي جدا الليلة ماذا حدث .

- لا شيء.

بدقة حنان مذاجثة. قالت «صاير» لا تُخف عسى شيئا.

أحجلني حنانها. قلت لا شيء.

- لم تعد تهتم بعشنا. لعنت المويليات ولغا تلغسي.

- غير معقول. لكن سرهق.

قالت .

- رأيت تصميمي جميلا لركن الانتزيع ساريكه غدا.. ما رأيك؟

نعم؟

- أنت سرعان. أألك: أين نضع التلطيرون؟

نقخت بصوت مرتفع :

- لا أجل، يريد النجار مائة جنيه. من أين تأتي بكل هذا؟

- كلمت «لهلي» اليوم. قدمت طلب سلقه وعدتني بالتوصية عليها  
لدى المدير العام..

قلت أن الورقة التي قُدِّمتها لابد قد توثت بالدم الذي ساء حين  
وصعت غنيمتي على لوح الزجاج وهي تنظر دما

كنت فجأة تترجأت المكان. مررت وأنا خارج بالمنضدة المجاورة  
كأنت المرأة المتصابية تهمس للرجل .

- . وهي عروس في شهر العسل كما طلبت.

٦

والسيد المحترم صاير سويلم

تحية طيبة وبعد.

نظرا لتعيبكم عن العمل لمدة خمسة عشر يوما متواصلة دون إخطار  
لقد تقرر فصلكم من الخدمة اعتبارا من تاريخه. تطبيقا للمادة ٣٤ من  
القانون.

وتفصلوا بقبول فائق الاحترام.

«المدير العام»



.. طارت شظية من التمثال كادت تصيب عيسى، عدت أدق .  
 الا زميلي صغيرا ولكنني عدت أدق . نظرت من عل . كان الناس صحارا ،  
 رؤوسهم محببة . قلت أن القرش مارال نائها ، تبه واحد . صاح من أسفل . لم  
 أسمعه ، لوخ بيده مهددا .. صحت  
 - اسكت -

- اسكت -

تجميع الناس . ازدحم الميدان . صعد الشرطي على السلم . ظل  
 يصعد ويصعد . صاح :  
 انزل يا مجنون .  
 - انزل أنت والأقتلتك -  
 رفعت الذمماق . هضمت أن أقذفه في رأسه في اللحظة التالية صرخ  
 صرخة مهولة . تهاوى ساقطا على الأرض . عجبته ، كان «بيومي» يصعد  
 سريعا على السلم . قال :

- غرست المسكين في ظهره

فرحت جدا .. سألته عن حاله . قال : رفعت بباب قاضي الشريعة حتى  
 جاعتني البشارة . قلب : التمثال صلب جدا أين أدوائك؟ قال ليس معي  
 شيء . ولكن استاني كالحديد .

عض جزءا من الدراع . أكلتها بثلثه . عض جزءا آخر . وثالث . تجميع  
 الناس في الميدان . ضحكته .. قالوا شيئا ، صرخ «بيومي»  
 - اسكتوا أيها المرءوسون -  
 انزل يا مجنون أنت وهو .

صرخ .

- حاكم قاضي الشريعة . ولا بد من تنفيذ الحكم ..

صعدت أقدام متعددة على الخيل . قال صوت

- يا «صاير» أنا «محمود» قتلتها واسترحمت

قلت : تمجلت يا غبي ..

تعددت الأقدام المساعدة على الخيل .. قال «بيومي» :

- سأقرضه بأساني . حتى لا يصعد الأمباشي قرج .

قلت : أنتظر لحظة

كان الصاعدون قد توقفوا .. بدأوا يدقون التمثال بعنف شديد . صاح  
 واحد توقفوا . نصيئا المناقع وسنطلق النار عليهم . دوت الطلقات عتيفة .  
 واهتز لدويها الميدان .

.....

.....

فتحت عيني . كانت قطعتي واقعة في ركب الحجر . وبعوارها اطار  
 لصورا كانت على الكروميديو . وقعت تنظر إليه بحجل . قمت . نظرت إلى  
 التطة نظرة خائفة . جرت بأقصى سرعة . وقعت الإطار . كان زوجة قد  
 تشقت . مسحت عليه . أظلمت ابتسامة «سعاد» المنكسرة منه .

## بيان مشترك ضد الزمن

وهل تستطيع ان تضمن لى إذا مت شهيداً ؟  
ألا يعتبرى التاريخ مهرباً ؟

### إيقاعات ذات زنين معجع

١

(تدحرجت حبات المطر على رجاج النافذة لمعت في ضوء الصباح  
فاجذبت بصرى الننى كان قد غاب تماماً في ترويح المدفأة تاهت أدمى  
بصعوبة نقرات الماء على سطح الزجاج متوافقا - في ايقاع حزن - مع  
تعمها البطئ ها نحن في جزيرة من الدنـ كما حلمنا مرة - فمى كان  
شريكى في حلم ؟ ربي وبعده واحد من أصدقاء العمر العديدين  
ولكن القلق عليها يفسد كل شئ وستكون بيانا حقا إذا تجاهلت بحر  
العواصف الذي يحيط بجزيرتك. ولكن من حق أن سعم يشيخوخة دافئة.  
ومفر الرومان تيرم لمفاصلك أسراً أكنار الحياة وتذكر ان سمد زغلولة كان  
قائد ثورة، وحظيياً كالبحر الهادر وهو في السنين، ولكننا بالكاد نقدر على  
المشى إلى ملهى «الحربة» بهاب اللون، حيث يحتضن انقلب ذكريات الرمان  
الحالى ها كانت مدرسة الحفوق ومبنى الجامعة القديم وقصر البستان، هنا

تلتقى بن بقي من أصدقاء الزمان الأول. تتكلم وتثرثر وتترحم على عشرة  
الماضي الجميل. ويتشاجر «منصور» مع «عبد الحميد» ويتهمه بقرص  
الرهر. ويستشهدان بك قهترعاك من لحظة سارحة في رفاق «السلطان  
فرد» - أو في جدرة «ريسا واصف» - بيد أننا نسى الكثير. كانت الذاكرة  
غيبا عضي من سورات العصر تحتفظ بكل كلمة أو نامة. ولكنها تأكلت كما  
تأكلت الأسان. وصعب التذكر كما صدق المتنبي. فألف وجهه على أيام  
الصبا الأول. وتفكيرك في فقدتها يورثك الجنون. كيف تحلو هذه الشقة غدا  
من أنفاسها ومن صورتها. وقد عاشت منك ثلاثين عاما طويلة. ولن تجد -  
بعدها - إنسانا تستطيع أن تزعم أنه يحفظ كل تفاصيلك ويحفظ كل  
تفاصيله. معها تكون حرا تماما. تشترك كسجون وتمسك كطفل. تيكس  
وتعسى. وتقول كل ما يمس لك دين مراجعة. أه متى ينتهي هذا الكابوس؟  
كانت دائما قوية. ولولا تفاسات الولادة ما شددت لحظة ألم على ملامحها  
الهادئة وترى على شفيتها وهي نائمة بسمة صغيرة. فتذكر. لك لم ترها  
أبدا وهي نائمة في أي وقت. أحده كنت أجدنا ساهرة في انتظارى. عيونها  
الوسابه تتفجر بحيرة دائقة. فكيف تهاوى هذا الباء الشامخ في غظه  
واحدة؟ «الزمن» هذا ما ناله الطبيب فألف لينة عليها معا. نظر إلى  
نظرة مهينة ونال واللقب لحظتها وددت لو قذلت به من البائدة. فلا مبالاة  
بتكلم كأننا تحدثت عن كلب صال في الطريق شككت عينا وصف من  
أدوية وراجعت معلوماتي التي هشمها الزمان. قال :

- حضرتك طبيب ؟

قلت قبل أن اعط اهتسامه الساهرة :

بل مريض قديم. وورق هذا فقد درست الطب لعدة سنوات

زأم بكلام غير مفهوم ولم يطمئن قلبي. إلا بعد عرض الأمر على  
صديق من أطباء القلبي. فأقر ما وصف من العلاج.

ولتعترف بأنك استرحت إليه قليلا بعد ذلك. فقد تقدمت صحتها

يوما بعد آخر. وكاشفته بغفوك عليها مدش قليلا. ولكنه زأم كالعادة.  
وظأنك بكلمات كحالات التليفزيون مشقة ولكنها رحيمة لم يعد  
في رأسها شعرة واحدة إلا وأبيض لونها. فهل تذكر متى رأيت بشائر القرو؟  
كان ذلك في حجرة الأمير بسجن لأجانب. احتضنت قنصا الصغير بشرق  
بصف عام من القباب. وتهدت كل خلاياها بين دراعى. وأنا أقبل مفرق  
شعرها. رأيت أول الشمرات البيض ساعها أدار الضابط وجهه عنا.  
وحدثت له هذا الموقف. كانت دائمة خجولة. ترددت أن تهدل عواطفها أو  
تعرضها على الآخرين. فصادا كان إسم ذلك الضابط «مسعد» أو  
«محمود» ؟ ربما لم يكن هذا أو ذاك يؤلى المجر عن التذكر. وكم ناشدت  
الأيام لحظة سيبان. بيد أن علاج الرجل لم تكن سهلة التسين. تبصت  
أخاره لسرات في تنقلات البوليس. وربما لقيته وحيدا على منصة بار  
هادئ شأن الذى يستغنى. ذكرنى بنفسه. ودعاني لشرب قنصلت. لعل الخمر  
تنسي ما حصله له من بعض طويل. قال : سيبسا طيبا؟ .. أتمشرب  
ملايسى القمية؟ آخر خدمة الشؤ هائلة .. استخروا حتى في التطهير.

عزيت بكلمات أجهدى الحضور عليها. فأردف :

- مبروك.. باضت لكم في القفص.. هذه أيامكم. أما نحن فقد

راحت علينا

قلت بمشروع اهتسامه

- على العموم تشكر.

- كيف حال الأصدقاء؟. ستعوضن بالطبع عما لقبن من إهانات.

قرأت ذلك في الصحف.

ومضى. فصحكت بأسى وقلت أنه كان شريرا كالآخرين. وكان في  
الجميل وحشا بكل معنى الكلمة. ولكن قلبي لا يطلق على التشعر فيه  
وإذا كانت قد باضت حقا لمن الذى أكل بيضتها؟

توقفت المطر في الخارج وحركت رأسها فتحت عينيها وظلت لحظة

صاحبة ثم قالت

- لماذا أنت ساهر حتى الآن؟

- أنت بخير؟

- طبعاً.. ولكن عليك أن تنام، تعال هنا.

انضمت لى مكانها بجوارها على السرير، وأحكمت لغطاء حولي، وشعرت بذيء جسديا، وكنت بين اليقظة والنوم عندما قال صوتها

- هل ليست الجوزب لصولي؟

\*\*\*

رفع الطبيب الساعة، ولبتسم لبتسامته المهية وقال

- عال دقات القلب منتظمة، والضغط لا بأس به، وفي المرة القادمة

ستأتين على أقدامك إلى عيادتي.

قال صوتها الضعيف وهي تعيد ترتيب ملابسها :

- حقا يا دكتور، أستطيع أن أمشي؟

هز رأسه بثقة معتلة :

- بل أنت في حاجة إلى الترييض.. ولكن دفقا بنفسك.

ساعتها «أحلام» على الجالوس، تناولته جهاز الضغط فرمقها بنظرة  
ذكرية لم تعجس في انتظار الشاي جلس يكتب تذكيرته الطبية، يبدو أقل  
من الأرمين، ولكن الصبح التهم ملامح الشباب في وجهه، تأمل أنات  
الحجرة القديم، واللحمة الكبيرة التي تتدلى من سقفها قال:

- اطمئن، اجتازت الأزمة بسلام

ثم ضاحكا :

- أنت مجربا أكثر مما يجب.

- عشرة العمر يا دكتور.. أرمون عاما ثلثيا

دارلني التذكرة ، نال :

كنت أظن أن تلدم العمر وقبلم الزواج كليلان ...

ومرت عليه الذليلة

- لا.. هذا غير صحيح.

وصعت «أحلام» الشاي على المنضدة تأملت صديها النظر بنظرة  
مشوقة، أما هو فقد عاد يتحسسها بنظر ذكورية، قلت أن صلاته تحتاج إلى  
«بيريه» يحميها من البرد كما يفعل «عبد الحميد»، قال بعصو

- أبتك؟

- تقريبا.. ابنة الجيران. ولكنني في مكان والدها

زام مرة ثانية استلقت عيني على صورة لى في إطار أنيق، فتأملتها  
لحظة، وبدا مترددا ، ثم هرب إلى جرافون قديم. ولاحظ بوقه الكبير فقال  
عند وهرت عيادته منى إلى الصورة قلت أن عينيته لودتين. أما لودها  
فمن الصعب أن أميره، زهن العظم وضعف البصر واشتعل الرأس شيئا  
ويوم خرج «سعد زحلول» يتركاً على عصاه، ويلف عنقه بشمكة الصوقية  
حذر الجرد، يبع صوتي من الهاتف ولكن الارتعاش شمل كل شيء لم يعد لنا  
صوت معدود بين الأصوات، ولعلك تذكر أولي مجربة جسية لاهثة مع  
«اجلال» في حفل الفرح كانت سريعة ومتوترة وبل لدة ولكن ذكرى آخر  
مرة قد ضاعت من التذكرة. خمدت جنود الحياة ولا أمل في استردادها، ما  
الذي يحدث في الصورة؟ لعله الصب المتعرج فيها، أه غدا سيقارن  
شيخوخته بصور صباه، ليتفتت القلب حشرات. قال:

- لا تؤاخذني.. هل كنت تعرف الدكتور «محمود محرم»؟

لا قائدة تحفظ الذاكرة بالكثير، ولكنها تبدأ عند السؤال، ولا  
بأس من مجاملته بمحاولة التذكر، سيدلي طبعاً ببيانات إضافية ليساعدك  
في محاولتك الياشة وكم عند الأشخاص الذين عرفناهم بإسم

«محمود»؟ مطالعة لحياة سبعين عاما متصلة شيء مرهق على كل حال .. ورغم كل ما تقدم من توضيحات فلا عثر من إعلان اليأس، ووقع الرواية البهيماء، اعتبرت بصيف الفكرة قال :

إنه أبى، وقد رأيت صورتك تلك معلقة في صالون منزلنا القديم.  
خفق قلبي للذكرى، وتماثلت بهفة .

- وهل مازالت كذلك حتى الآن؟

بهتسم بهجول :

- ظلت سنوات بعد وناجته قلل دافعت أمي عن الترتيب الذي تركه  
لأثاث البيت. ولكن روجي تزعم أن ديكور المنزل الحديث ينفر من صور  
الأشخاص، رسالتى عن علاقتك بأسرتنا فقلت أنك صديق لأبى، فهكذا  
كنت أظن، وأخيرا اضطرت إلى رفعها، ولا أدري أين هي الآن؟  
ضحكت بأسى وقلت مهرما :

- مع أحد باعة الروبايكيا بلا جدال، ولكنى أشكر للولدين  
احداهما

رشف ثعالة كوية.. وقال :

ولكنك لم تكن تعرف أبى كما تقول وأظن أنه قد تحدث عنك مرة  
ولكن مسيت التفاصيل.

قلت أنه ليس وحده الذى نسي، ولعلنى أنا نفسى قد نسيت، ما قبحة  
أى شيء، وما أهمية أن تتحقق كل أحلامك في وقت لم يعد أمامك فيه إلا  
انتظار الموت. حسنا بلذات حقيقة في الحياة . ولكن الزمن بلا ذاكرة،  
لذلك كرهت كتب التاريخ، كما كرهت التراجم والصحف ، أما التلفزيون  
فلو تركت اكتشافه في الزمن الخالي لالتفتت بسيرك والمخلوق «ضمنت  
ظهورا ثابتا على شاشته، وما هو شعور بالهجل يلفتني لأتني مضطر لأن  
أقدم له تقسى، قلت

- هذه صورة متقلبة من علاف مجلة (اللطائف المصورة). ولعل أباك  
قد يرونها لأسباب فاجت لديه.

أجهد نفسه ثم قال :

يالى من نساء كبير.. تذكرت الآن. أظن أنك كتبت متها في  
قضية ما سياسية هي الغالب.

في الغالب؟

قال بهرج

أقصد أنك ..

قلت بدفعة :

- فؤكد لك ألى لم أكن أحد أفراد عصاة «ويا وسكينة»..

اعتقر بكلمات متلاحقة دممت على غضبي. وهو يبدو صعبا  
ومتكور شأن الذين يتعدون بالحياة، ولعلنى لو اتبعت طريقه لانتقيت بد  
نحت رئاستى في أى مستشفى . واستتلك الحوار معه بهلو مشكلة. ولكن  
السكن في هذا الحى الأثرى لم يعد مشكلة. لم تغد عليه عوادى الزمن كما  
عدت على طرقات المدينة. وأحمد الله على أنك وجدت من يذكرى في هذا  
العالم وهو على أى الأحوال معدور. لم يعد أحد يدكربا... فهل صاع  
العمر هدرا؟ ولكننا لم نكن نفكر كذلك في الزمن الخالي.. فهل شاح ما  
في رؤوسنا كما شاح الشعر وتساقت أكثره

قلت مطنبيا حاطره .

- أكان وأذلك طيبيا؟

هو رأسه موافقا . قلت

- لعلنا أباء دفعة واحدة، فقد درست فالب طب ثلاث سنوات حوالى سنة

١٩٣

قال كأنه حل معضلة

صبح. كان أبى طبيب استشار سنة ١٩٢٦ قمتى انهيت دراستك.  
- لم أكنها حتى اليوم. زوج أبى «صدقى بأشياء فى السجن لأنى  
حاولت اغتياله. فلم أقدره إلا بعد عشر سنوات».  
رفع رأسه دهشاً وقال :

تذكرت الآن كل شيء.. ولكننى لا أصدق أنك أطلقت الرصاص  
حقاً

تهذت براحة ولم أرد تحدث قليلاً. قلت أنى أبدو شيئاً طيباً لا  
يعتصم الإنسان أنه فكر فى القتل، قال وهو ينصرف  
- يا أستاذ «سليمان» نحن سميان، وأظن أن أبى قد احتار لى  
إسمك، ولكنه حرص على ألا يكون لى مصيرك.

أهضمت بمرارة.. وصافحته ببرود.  
\*\*\*

ونحن فى الشرفة انعكست شمس الصبح على ملابسها الهادئة.  
جهدت نظراتها وضعف بصرها فيما ضعف من حواس. كانت عيناها لمحسان  
التركلم فيما مضى من أزمان. وفى ضجيج الزيارة فى السجن حيث تحتلط  
الأصوات العالية كانت عيناها تخترقان الأسلاك وتسيران فوق خطوات  
الحراس، إذ ذاك كانت شعرات من الأمل تنفذ إلى صدرى، ويظل وجهها  
الأيمن نابضاً لى خيالى بعبقريته أياماً، رغم ثقل السلاسل الحديدية  
وصلابة أحجار الجبل. وفى الحارة المجاورة مات واحد أمس فعبرت عيه كأنه  
وليدته، واجتثرت اليأس ساعات طويلة. وما هو النواح يهد أعصابك هذا.  
ذكرت العليبيب وحكايته، فابتسمت عن طقم أسنان لامع وقالت :

- سيذكرك كثيرون، ولعلك لا تذكر أباه.

لا أذكره، ولكن هذا شيء بلا معنى. وقد تقززت لأنه يعمل أسعى  
فهو سمين كالبلقة الجبلى. ولعله هنا نفسه لأنه نحاشى مصرى.

جاءت الحبة، فألف رحمة لأيام الشاى والقهوة والسجائر والبيرة  
والستارب الأصلية. ومرة فكرت وأنا فى الزنزانة أن أعد قائمة بالمتنوعات  
موجدتها أكثر من أن تحصى. المقعد والمرأة والساعة والثقاب والحرام  
والصحف وآلات الخلاقة. وبعد طمعت إلى التأليف، فإذا عاودنى الطموح  
صاكتب مقالاً عن المتنوعات فى حياتى - فكرة طريفة تصلح لصحف هذه  
الأيام التى يعمرها القوادى. وما هى «قورية» قد عدت إلى حالتها قبل  
المرض. فتعهد الله على أنها استردت عافيتها. وهى لا تكف عن تأمل  
الأطفال فى الشوارع. كان الزمن جليلاً التهم إيسكها الأول وهو فى  
النبعة، ولد وما دام دون أن يعرفك أو تعرفه جيداً. يومها وأيت عينيها  
غير الأسلاك باكيتين، وتوسلت للضابط لجبان أن يسمح لك بلفاتها دون  
أسلاك فأبى وأحجج بالتهليلات رجوت كطفل، ولكن رأسه كانت أصلب من  
أحجار الجبل. صغيرة الله كما كانت دائماً، ولكن السمعة تراكم عليها  
ففقدت رشاقتها انصب، والتناف الأتنى الناصجة. وهذا الإكبل الأبيض على  
رأسها لم يعقد معرفته ولا استرساله، وتذكر كم دفت رأسك بين تلاقيقه فى  
سود الليالى. وكانت تدبّ بقدمين حفيدتين على أرض شارع «الخناجيع  
المصري» من بيتها فى «الحلمية الجديدة» إلى مدرسة «سان فان دى بول».  
درىها المدرس الخفيف الزرق، يوحى بأنها تتلفح بقطعة من سماء يوم شتوى  
بلا عيوم، وتنبعتها عيتك الشايبان، وكان الزمن ضيقاً والخصار شديداً،  
ولكنك اكتشفت جبرتكما، وحبرت أسمى من طرف خفى إلى دعرتها وأمها  
فى أيام «المقابلة»، واستطاع القلب أن يعرفها ويحفظ كل تفاصيلها، كما  
استطاعت الأذن أن تسمى إيقاع صوتها الخنوع وهى تفتى «بىبى» بىبى.

شعقت لأن طفلاً أندع رداء كربه فكانت السيارة أن تدبمه.  
وتشجعت بعدها على جديد لشرقة ثم انحطت على المقعد لاهة بعد أطمئنانها  
على الطير. قلت :

- هذه الاتصالات لا داعى لها، وأخبرتها بذلك.



تحدثت بأسى. وأطبقت رواية عرسمة كانت تقرأها وقالت :

- الناس يرمون لحمهم فى الطريق، سددت الدنيا (وربنة نائحة) لا يعرف خلاصة الأطلال إلا من رزئ بالكل.

كان قلبك يدمق بساطور جزاء، جاء الأولاد تباعاً بعد خروجك من السجن، وما كادوا يزهرون حتى اختلطت بهم الأمراض. وتذكر ستة الكوليرا للعبث، ضاعت «صفية» و«سعد» فى شهر واحد، وعانيت الاحساس المرء بالفشل، وقلت أنك صيد سهل لطارق الزمن، وسألت الإله حائراً ماذا يترصدك؟! وحيا حساسك الذى لم تزغزعه حرارة السجن. سيئا كثيراً من الأفراح.. - فمتى تقادر الأحزان الداكرة؟

لم يهادر المكان شيئ سوى الشمس التى تولدت فجأة مع رقاد ماء، رفعت «بنويزة» رأسها وردت النخبة على صوب فى الشرفة العليا لم أسمع المعكلم. وهن السمع كما وهن كل شيء. قالت .  
- أبحلام تُصيح عليك.

رفعت وجهي فالتقى بوجهها النصر، مشرقة كشمس اليوم، عقصت شعرها فى صديل رقيق الألوان. كومت الملائة التى كانت تنشرها قالت .  
- كيف أنت يا عمى .؟ لا حل لكى لا أحرمك من الشمس إلا أن أنتشر هذه البلوى عندكم.

بعد لحظات كانت واقعة تنشر حلاقتها تأملتها «عزينة» بعين محبة. وفتت أنها تحبها بشكل غريب، لم عاشت «صفية» لكأنت فى مثل سنّها الآن أو أكبر قليلا قالت وهى تتناول مشبكاً

هل سمعتم الأنبا..؟ قال المراديو الآن أنهم أعاروا على حلوان.

أنار كلامها اهتماماً حاداً فى صديتنا، خرج صوتنا فى وقت واحد يسألان من التفاصيل :

- هربت الطائرات، وسقط منزلان.

مصصتُ فى أسف، ولكنها مضت معلقة على الخبر. قلت أن تفكيرها أكبر من سنها بكثير، وقد عادت العارات ولكن أين القوة التى تروى المهورين لم تمنحك سواك السجن من أن تعرج فى سرحات ليلية لأصطيد أجود الإنجليزية فى الطريق. كانت أفضل الليالى محصولاً عندما يعم ظلام العنرات. ولكنك لم تشهد فرحة الجلاء عن القاهرة، لأن الحزن كان يفتت قلبك على «صفية» و«سعد»، أما هذه البست ففى ترثارة شأن الصغير وقد عرفت عنك كل شيء، يحكم الجيرة الطويلة، وها هى تشق طريقها فى دراسة الطب بمهارة تحسد عليها. شهدت طفلة، وعالجتها خيرى القليلة من المعص والنولات المعوية، ولكنها ككل الشباب متعائلة رتصدت أحكاماً نهائية على الأشياء وعندما تفعل بتسلخ صورتها ويصبح كنفق الضادج.

ولأن الزمن أصبح هزلاً فليس مستحيلاً على الزمن أن تصبح يوماً من مجرم العمل النسبى فى هذا البلد المنكوب. ولم لا . أليست اشتراكية متحمسة، بذليل أنها تعرف بعض القشور التى تصلح للثرثرة أو للباهات. أما أنت فقد حكم عليك «صديق باشا» أن تعيش كالحشرة فى أرسيف وزارة الصحة، وبومها استقبالك صديقك «منصور» بالأحضان والنكات، رلولا العقار الذى تركه ابوالد، والتهم الزمن للأبناء لشحننا من اشراكى سنة ١٩٧٠ فأغشنا يارب السموات قدمت لها «عزينة» الشاى مشربته بلهجة شديدة، واستمرت تتدقق بالكلام :

- لا مقر من الحرب لمسألة ليست لينة!

هذا كلام يحتاج إلى مكتبة بذنية من نكت «منصور» الخريفة، وأطمان منه هى التى ألهمت مرارتي التهلباً مرماً، ولا بد من التفتيش حتى لا تنجر وتودى يى :

كلام سليم. ولكن من الذى يلعب؟ . أصعتم البلد بلهوكم.

وتتحدثون كأن المجرم شخص آخر

تجهرت للجدل، ولتعترف بأنها رغم سطحية الكثير مما تقول تتعجر بالحماس لأشياء مبهولة... وبأبي عقلك أن يتصور حماسها هذا مايع من ذاتها، ولعلها تحب واحد من نوزي هذه الأيام السوداء، ذلك أنها تردد الكلمات كأنها تتلقى بين كل كلمة وأخرى قبلة ماحنة، ولتقر بأن شفتيها جميلتين، وتنبئ أن أروب نفسي لأنى ألهمت حيالها وهى فى بداية الشباب بذكرىاتى. بيد أنها أصبحت كانت مزعجا تتحدث بصوت عال، وشقة وغرور، كأننا نذهب فى حلبة صراع. ولولا حب «خورية» الشديد لها لعاملتها بالخشومة التى نستحقها، ذلك أنها حشرة مقلدة، وهى فى تحتم كلامها.

إن البكاء على الماضى قلة عقل. وقد أودت الكسة بمن سيورها وأمامنا واجب لا بد أن نؤديه.

أستغنى غرورها، وأستغنى أكثر إيجاب «خورية» الواضح بها قلت :

- هذا ضحك على الذقون يا ست وأحلام . ودقنى شامت، ولن تضحك على قارورة مثلك، لم تودي النكسة إلا بضحاياها، وأنتم تكتمون بالكلام.. وإذا هتأ أحد عليكم بعضا جريتم كالفران..  
أكلت ضاحكا :

- أراهن أنك مسخرجين وتسمين على دماء الملاحين الذين تصافين عنهم، ثم تلهمين واحدا من رؤساء مجالس الإدارات، فيستولذك عددا من البنين والبنات، وكان الله بالسر عفيما  
احمر وجهها الزلق من الانفعال، واحتجت «خورية» بهيمة غير مفهومة وقالت :

- «سليمان».. لا تقضيها.

انفجرت شفتاها من ابتسامة صغيرة حائرة . وقالت.

- سأحاول ألا أكون كذلك. ولكنى لا أدري ماذا كنتم تفعلون لو كنتم مكاننا ؟

خفت نوزي، ودأطني إشعان حاد عليها، وثلت أنى أصبحت قاسيا دون أن أدري، فكيف تسللت لى عبر الزمن كل هذه القصة الجلفة، آه ما أكثر ما قبل داخلنا من مشاعر، وسيقصى علينا فى النهاية نزيه داخلنا من حيلة الأحمال التى تنز فى القلب. صبت على حواس الطمعة المشعل دوا من لاء المثلج، عيالى من عجوز حاقلة..

لا أدري. نحن ثوار على المعاش.. لا أحد يذكرونا أو يريدنا، ولكنى أذكر أنى عندما قررت فعلت، ولم أتكلم كثيرا

تحب عيناها وراء عمامة سارحة فى الجو، وصمت كعها فى مقلة الشمس، لتحميها من الضوء شاقى منظرها، تسلل عبر الزمن إيقاع موسيقى حاد وغب «خورية» - «عمامة بيضاء» خانتشى القلب مع صوتها الشجي. من الحارة المجاورة تصاعدت صوت النذبة ترمي الميت.. قلت لنفسي

- إنى عجوز حقا

٢

مشروع للتأمين ضد غدر الزمان

فى المقهى تبدا الفكاهات ورعى الزهر. وقصصت صى الدكتور «سليمان محرم» وعن «أحلام» ولكن أحدا لم يهتم إلى. رجعت الشيشة لتصور، فقبها بلذة حسية وتذكرت أنه قال مرة أن شرب الشيشة هو قرين على أفضل طرق التقبيل التى تعشج الباب أمام عوائل النشرة الأصلية، وقال «عيد الحميد» إن الانتقال إلى «البيته» إدوازو سيكون واجبا قوميا بعد

الهزيمة الساحقة التي سببني بها «منصور» كانت ذقات الطاولة كالمطرق  
التعاسية، أغلقتها رغم غف الاحجافات.

رجاء «التمر هندي» فشيت هنيا، وجريت بعد أول رشفة خلف بائع  
العرقوس في شوارع المحمية، وكاد ينفسي حسان كان يجير «قبتونا»  
بداخله باشا تركي مبروم الشوارب. وكان الزمن ١٩١٧ أو ١٩١٨، مكم من  
السنوات مضي على ذلك؟ تهدل شاربى وأصبح حطاً ناجلاً ولولا الغياء  
لمعوته كشبان هذه الأيام. رفض «عبد الحميد» أن يخلع الطربوش تنميلاً  
لتعليمات مجلس قيادة الثورة، وظل متمسكاً بموقفه، ولم يستبدله بهذا  
البيريه إلا عندما هزمته نظرات العابرين الذين اعتبروه من أعاصير الماضي.  
وضحك «منصور» يومها وأكد أن أصراره على عدم السور عارى الرأس لا  
تفسر به إلا أنه يخشى على قدرته الجنسية من أن تتطاير من صلته وجرم  
ماتت «أم المصريين» مشيت في جازتها وبكيت بالدمع الهتون، تذكرت  
الدنيا من عر شبابها وحبوبتها، كانت امرأة قوية وابضة جميلة، وكان  
جمالها جليلاً، لذلك تصدرت صورتها حجرته. ولم يبق من آثار ذلك  
الماضي سوى «منصور» صديق القنطر الواحد بخليل ألقا الابتدائية  
والخديوية الثانية، دفعته صداقة العمر لأن يشاركك معامرك الأولى،  
ولكنه لجأ من عيون الرقباء، وقر السور متلفيان في أوشيف ورلة الصحة،  
يومها انحصرك وقبلك وكاد يهكي فرجا، رعى بأعلى صوته

- ضبعتك السياسة وطاننا نصحتك، أما أنا فان عشق البنات  
البكاري وغير البكاري قد ضيعنى. ولذلك قضت مقاديره أن يلتقى  
المتعوس بعناب الرجا، أما من منا المتعوس ومن منا حبيب الرجا، فهنا  
الحصى في بطن الشاعر، والأرجح أنه في مؤخرته والده أعلم. ولأن فلنسبحوا  
يا حشرات الأرشيف. دعوى أقدم لكم هذا الرجل العظيم الذى قضى في  
السجون عشر سنوات من أجل من يسميهم بالشعب المصرى. وهو بطل،  
أقسم على ذلك بأشهى من ضاحكت من نساء... ولكن الذين أصاح عمره من

أجلهم. ونحن منهم، قصرا أعمارهم في تدخين الخشيش وابتلاع المزل،  
ومصاحبة النساء، وأحيان العلمان والبهايم لذلك فهو في الغالب مجنون  
مروق أنه بطل.

ضحك الجميع، وما هو أمامى شاهد على أن ذلك الزمان لم يكن  
وعلاً، غفبه ضحكنا ولعب وقد عاش أعزها رغم مفامراته العديدة وتذكر  
أنه قبل امحاطرة بنفسه ليؤمن ظهرك يوم المعامرة الكبرى. رغم أنه لم يكن  
يهتم بشئ.

ودكرت الغارة صمط شفتيه استياء وقال :

أنت مصاب بداء السيدة، ويؤدى أن تصاب بداء عضال كالذى  
عندى.

ضحكت رغم أن القلب كان يعانى إحساساً رهيباً بالخيبة، وبدت  
بدائته رمزاً لكف الزمن من صقله أحكم «عبد الحميد» البيريه الذى يدمى  
صلته وقال :

- هيد.. يتحدث بامولاتنا وأطربنا.

خلع منظاره ذو الإطار الذهبى وقال

- لظاهر أنى سأعلن التسليم النهائي. ولا بأس إذاك من الاهتمام  
بشئ آخر، كالاميرالية أو كرة القدم، في الأسبوع الماضى تلبسى حالة  
انتعاش شيطانية، برمت شاربى لها، واعتزت حراجه على واحدة ومن.  
وهي حادثة، ولكنها صيبة ومعلقة القرم وطماعة وأخلاقها هي الدرك  
الأسفل. ولكن المسألة إنتهت إلى قشل دربع بعد كل هذا المجهود. نهج  
أحركم، وبام كالرطل، وصحكت بنت الكلب، ونصحتنى أن أليس بطلوسى  
حذر البرد

لغنت قهقهاتنا المعصيبة نظر عدد من الشبان الجالسين حولنا،  
فحاصرتنا نظراتهم الباهضة مزوجة بالهتسامات هازنة قلت

- محمد للـ أواخا من وجع الدماغ.

سحب ثقب طريلا من الشيشة، وصنع طاليا بتغيير النار، ثم قال :  
- ولكتك خيبة وطول عمرك وجل شرعي، أما أنا فقد ذاعت شهرتي  
في أرجاء المنطقة، ويوماً خار دنتني إحدى أميرات البيت المالِك فقصي الزمن  
إبن الكلب أن تسخر مني خادمة وعصر اليوم قبلتني المعبونة على السلم  
فكنت «ما اخديني المعجوز أنا».

تواصل الضحك طارداً كثر اليوم، وتحدث «عبد الحميد» وكان  
أصبانا سيبا، من المقويات، ولكن «منصور» أعلن يأسه من كل  
شيء، وقال:

أزمتي مستحكمة كأزمتي لشرق الأوسط، ولكن لا بأس من  
دعوتكم إلى كأس في «لايتيت إزوازو».

دعوتهم بن أطيب معنى من شرب الخمر، فأقسم «عبد الحميد»  
أنها جالبة للنشوات في سنوات الكدر التي يعيشها، فقلت ان كلامه  
صحيح، ولكن الخوف أصبح كل شيء في حياتنا وكأس واحدة من الخمر  
كفيلة بأن تقدمك أسبوعا حبيب العراش. ذلك أن عشر سنوات من أكل  
العدس والماصولبا والعسل الأسود قد أصابك بما لا شفاء منه، والغريب أن  
الرجل قد نجى رغم كثرة المترصدين، والسما لا تسمع الشكوى، فهل ضعف  
سمعهامثلنا

تحدث «عبد الحميد» بصوت حلقى :

- «سلمان» زعيم قديم، فماذا لم ضبط أحد المعجيين بنضاله في  
حانة من الدرجة الثالثة ك «لايتيت إزوازو».

هذا أنسب الأوقات للهلل السخيف، لم يعد أحد يذكرنا أو يعرفنا  
وأمن قالت «أحلام» بصوت حاد أن ما كنا نفعله هو مجرد «إرهاب» وأن  
العمل الثوري شيء غير هذا، فتأمل عجائب الدنيا. كانت طمعة بي الثالثة  
عندما رأيتها لأول مرة، وكتم حشمتها ولاعتها. وتابعت مع الأيام اتدافعاتها  
إلى عالم الأثرية، وشاقتني أثنائها الرقيقة فاستعدت بالله من الشيطان

الرحيم، وما هي تردد كلمات بلقنتها لها من لا تعرفه. خفتت نظرات الإكبار  
والولاء، وأصبحت كلماتها سرطانا يرقق البدن. ولتقر أنك تحبها رغم هذا  
أما هذا الرجل الأصلح الذي لا يكف عن الشكوى من ابتته، فماذا تقول  
له؟

- المعجيين يتصالي لا يذهبون إلى الحانات

تناول «منصور» بقية النقود من الجرسون وقال :

- هذا غير حقيقي، ألا نقرأ عن شباب هذه الأيام، إنهم يحششون  
ويرقصون، ويصاحجون حبيباتهم في الحدائق العامة، وبدلا من صبيحات  
النشوة التقليدية، يتخلصون من توترهم بالهتاف بسقوط التدخل الأمريكي  
في فيتنام ولو كنت أعلم أن الثورة هي هذا، لكنت أعظم ثوار هذا العصر.  
ولكن هذا الرجل الذي حاول قتل «صدقي باشا»، علمت أن لسياسة بهدلة،  
وضياع للمستقبل وفي النهاية لا تجد حتى من يذكرك؟

في قلبك راحة، فلتعلم أنه كائن نافع، ثم أنه حصى إلى درجة الغر،  
ولكنه لن تسي أنكما ارتباطا يربط لا تدري سببه، حمى ظهرك وأنت  
تقوم بمحاوكتك واحتنى بالمسند، فكادت القصة أن تجهض لولا شهيد  
الرؤية الملاحير. وهو يشعر بمصيبة منك، وفي القسب محترق الآمال،  
وحصاد مر ضاع الأبناء والعمر ونسينا الجميع، ويوم سقطت «فورية» في  
قبضه المرض، وكاد الرعب من فقدنا بقلبك. ولتتصور الحياء من غيرها  
آه، هذا العالم مرير، والزمان حاد رحا، فهل يشهدنا الصباح أحياء، أم  
يأتي هؤلاء الأصدقاء عددا يهزون فيك. يقول لجيران رجل عجوز مات،  
ويحسون إلى حياتهم العادية، ولن تجد من يحزن عليك في هذا العالم  
العريض سوى «فورية». فما أقل ما سوف يدرك عليك من دموع. أما  
«أحلام» فسيحذف صديقتها المجهول دموعها بقلباته، ستشعر «فورية»  
بالفرار القاتل بعد رحيلك وستقول أن الزمن يترصدها كما ترصدها السجين  
وفقد الأبناء والخيبة المتلاحقة. وميم يفرثر الصديقان الأرا؟

هذه صلعة «عبد الحميد» تبدو في الصورة الخافتة متجمعة حزينة، والمكان هادئ ضيق أشبه ببرزاة سجين القناطر الذي نزلت به صيفا لمدة شهرين. وليس هناك أحد سوى بضعة أشخاص على أنانديين امجدورتيين، و«الغمام» حلت «البار» تحدث مع شاب طويل، وتحدث أغلبه همس، والصورة حانت، ولا بأس بكوب البيرة، فهي مدرة للبول، واحتجازه بعض سخانات الزمن تصيبك بين حين وآخر، وخاصة في الشتاء. قال «عبد الحميد» مواصلاً ما كان يروي:

وهكذا وجدت نفسي أمام شاب كالحائط، أحمر الخدين. يضع ذراعه في ذراع ابنتي، وكنت قد لهثت من محاولة التحدث بها «منصور»، وهو يقبض الثلج والصودا إلى كأسه موقف محرج. وماذا فعلت؟ - كذبت على ابنتي طبعاً. وقالت أنه رميلها في الكنية تسامحت:

- وهل صدقتها؟

«منصور» يذفقه:

طبعاً أنه رطل كمصرتك!

«عبد الحميد»:

- لا طبعاً لم أصدقها، والخشقة أنه لم يترك لي فرصة لذلك. فقد انحنى وقدم لي نفسه باعتباره معبداً بالكعبة وقال بوقاحة عندهشة أنه واليت حبيبتك منذ أربع سنوات، وأنه سعيد بالعرف على ورائتي عما إذا كنت استطعت مساعدته في الحصول على شقة بإحدى عمارات التأمين باعتباري مرفقاً سابقاً بها. ذلك أنها قررا أن يتزوجا من الصيف القادم، حسب تفرج الليث.

صمت لحظة، وقام ليدخل دورة المياه فلاحظت أنه يمسك ذلك بكثرة مثلنا جميعاً. وقلت لنفسي أن كل أجهزتنا قد تدمرت تماماً، فكفصنا إلى

زمن الطفولة الأولى ووضع كل منا مهولة بجانب سريره، فمتى ينتهي تفهقنا بالعودة إلى رحم الأم.

أكمل بعد عودته:

- ولخلاصة أنني وجدت نفسي كاللوح بينهما، فقد اعترضت ابنتي على شق التأمين وقالت أنها قديمة وواسعة وتبلغ أثاثاً كبيراً قصت مقاديره، أن يسقط شعرنا ونستبدله بقرون، فأدركوني بكأس من ماركة «تيس» سنة ١٩٧٠

تصاعدت أصواتنا مهتئين

سنصبح جداً عما قريب، ولتحمد الله على أنك ألبت، سأبوت دون أن يبيكي أحد، أما «سليمان» فقد أصاحت السياسة ذهب عمره، وانتهمت الكوليرا نصفه الباقي.

- صلي شكرياً لله، فإن تعش ثبناً حير من أن تعيش لا شيء:

وقع يديه إلى جانبي وجهه محتاً وشاكراً وقال وهو يرفع سبائتيه إلى جانبي رأسه على هيئة قريب.

- ولكنني أريد زجاجة ماركة «سفنتي تيس»

سأل المدام «استقررت الطلب، وضحكت عندما ترجم لها «منصور» طلبه. وقبلت دعوتنا إلى كأس لاحظت أنه مخلوط بالماء المفطر وانتقلت الجلسة إلى البار.

أساد «عبد الحميد» رواية الحكاية على «المدام» مسمعها باهتمام مبالغ فيه. وقلت أن عمرها يزيد على الخمسين، ولكن المكياج يجعلها تبدو أقل من الأربعين. ولا شك أن السواد الذي يخرج رأسها هو باروكة. وأنسى «منصور» على أدس فانياني أن الحالة عاودته وشرس بأن ثيلتنا ستكون فلا تصحبه بأن يشرى قلعها حالة كادبة شمس وقال:

- تعلم ياغني كيف تصطاد امرأة كننوز يسعدس يامدام أن أدم لك أصدقائي، هنا استفتي تيس هو الأستاذ «عبد الحميد» وأصب «موقف

ولماذا تتغير؟ ماذا كان يصير لو انتظرت حتى فوت فتصيرت  
على كیفها؟

«منصور»

- طول عمرك رجل رجعي، ولذلك تستحق كل ما يجري لك، احتلمي  
«سيد درويش» ومات «الشيخ زكريا» و «بيوم التونسي» وأصبح «عبد  
الرحاب» يعي مرفوجات، ولذلك اری أن عوت  
«عبد الحميد».

وأي «مكرم عبيد» في ثلاثة سطور و «مصطفى السباعي» في  
ربع عمود لذلك استحققت الصحف ألا تقرأها لأنها عادة كالزمن.  
قل بجزن لم أستطع أن أشارك في تدريع النحاس، بسبب جلطة  
التي هكيت في الشرفة حتى ألتقي عيالي، ومع ذلك اعتقلت عميت  
بتهمة المشاركة في جنازته، هس «منصور» :  
- يا أولاد الكلب، قليتموها محزنة، والجزن يطفى الشهوة، فكفروا  
عن هذا النواح.

تصالح المدام بهيمة مدبرة :

- ماذا يضيقك يا «منصور بك»؟

- لا شيء يا مدام، ولكنني تذكرت صديقة أَدعوكم لشرب كأس  
رحمة وتوراً على زوجها.

ثم ذهب رافعا كأسه

- في صحة المرحومة زينب البكرية

تسلطت عبيها فاستمر...

- ألف رحمة عليك ياسيت «زينب»، لو عرفت لك قبرا لزرته و  
مارست في فئانة الحب مع هذه السيدة الجميلة، ثم حُزمت حضري ورفعت  
عشرة يلدي، وهتمت كشوار هذه الأيام بسقوط الزمن والعدو الصهيوني،

من أوائل الذين وضعوا أسس التأمين على الحياة في بلادنا ولكنه تعيس  
الحظ فقد كان شؤما على عملائه . وعلى شركته . فإذا آمن أحد على حياته  
بمعرته يموت، وبهذا يخسر المؤمن روحه، وتخسر الشركة قسمة التأمين،  
لذلك كرهه الأئمة، أما هذا الرجل المجهول فهو الأستاذ «سليمان لبهاوي»  
فهو مناضل قديم، حاول قتل «صديقي باشا» ودفع ثمن ذلك عشر سنوات  
قضاها منتزعا بين أبي زعبل وطره.

قطع «عبد الحميد» الحديث محتجا، واحتصني المرأة بلقطة اهتمام  
مهاجئة وقاس:

- النسخة شر؟ سخطت... ولكنك عُرِضت عن ذلك طبعاً بعد الثورة؟

صحك «منصور» ضحكة عالية وقال

- طبعاً... أرسلوا له وسألوه : أليس أنت يا نوري الميوني؟... أوحشتنا  
يا رجل... لا أوحش الله منك ياسي «لبهاوي». فقال الملعون بتواضع ها  
أثناء مقالنا : إذن تفضل ياروح حلك. وأرسلوه إلى المعتقل كنوع من  
التكريم لبطولته واستمروا يكرموه عامين كاملين.

فتبست المرأة ابتسامه بلا معنى وأقعدت سيجارتها. أثارتني رائحة  
الشيخ، فاستشقت الدخان المتطاير، وفلت أن «خوية» ستلومني لأنني  
تأخرت، وستشم رائحة البيرة، وتلقى على صحتي... ومن لي بيوم من أيام  
ذلك الماضي الذي لن يعود. ويوم تسللت إلى حجرة لقابلة فوضعت صورة  
كبيرة لي في مواجهة المتمد الذي صردت الجلوس عليه، ستعرف لا ريب  
الوجه الذي يتابعها دائما بهيتين متعطشتين ترعبانها في طريق الذهاب  
والعودة إلى المدرسة. ومعني يعرق لمطر الذي يسقط بالخارج... وحكايات  
«منصور» لا تنتهي... و «عبد الحميد» يعرض مشكلته على الحديث قالت  
المدام:

- لا تجزني يا «عبد الحميد بك» تغيرت الدنيا، وهذه مسألة

عادية

وأقيمت حفرة ذكرى، وقد تسألون من «زيب البكرية»؟ وهو سؤال يدل على أنكم هدارين كالرسن، بنت أشرفه كانت، تملن قلبها بولد غرساني فصعدت وراءه إلى القنعة وعاشت معه، وعندما رحل الفرنسيون حرمت مقامها وتولت إلى «الجدارية»، فأخذت لدى إحدى جارياتها، ولكن الرشاة طمونها للوالى، وسألوا أباهما وكان رجعي كعبد الحميد وأصف، فقال إني بريء منها، فأخذوها وقطعوا رقبتها، أو حكنا يقول «ليبرتي»، وهو مؤرخ بامدام وليس بائع بسطمة كما قد يتبادر إلى ذهنك، وأراهن أنه كان؟ أياها شيطا عجوزاً لا يقدر على النساء - ويترك كالجمل بين مخدئ أو امرأة

لانت المنام يأسى

- مسكينة؟

«متصور» بسخط .

- لو ظهرت اليوم لا اعتبروها مدافعة من حقوق المرأة ولعبوها رعيمة للفيست ولذالك، أدهولك إلى جولة بمدير باب النصر، لبحي معاً ذكرى هذه الإنسانية المسكينة ومؤنس وحدتها، بمضاجعة توفيق صرخات بشوتنا - أثناحا - المؤتى، فنسألهم عن العلاقة بين النصر والقراقه؟

\*\*\*

وعندما عاد من دورة المياه كان قد أفرغ ما في مثاقفه وأيضاً ما في جوفه. وانقطع المطر في الخارج سألته ونحن على الباب عن حاله قال - كانت رغبة كادبة . وقد فكرت وأنا بالناحل أن من الأفضل لي أن اتصرف وسوف أنضم إلى السادة البكرية . أكراماً لطبيعتي زيتية

ونحن نذب في الطريق «سأنت» عبد الحميد .

- على فكرة ما اسم ابتلك؟

- زيب .

«متصور» بصوت حال :

- «البكرية»؟

- لا طبعاً زيب عبد الحميد وأصف.

شكا «متصور» من البرد، وقمنا تنتظر تاكسى.. وقال «عبد الحميد»

بن مسامة ظاهرة

- ستودعون أحياء دون ضجيج، ولو سمعتم كلامي لأمتقم على حيائكم يبلغ محترم وإد ذالك لنشرنا صوركم في الصحف بعد عمر طويل، ونحتجها بلبط العريض : هذا الرجل ترك لورثته ألف جنيه (ثم بلهجة إعلائية)... التأمين ضمان وأمان.. وسعادة وطمأنينة.. مرة ذهبت لأحد كبار الساسة ودعوته لأن يؤمن على حياته، فتركتني أثرثر أكثر من ساعة حتى طشت أنثى سأخرج بموفاة معترمة عن البرامضة التي سأفقد بها منه، ثم قال لي : أنا لا تهوى حياتي لأن بوليستكم لي تدفع المكتوب، ولكن هل تستطيع أن تؤمن على حب زوجتي ووجعها؟ هل تضمن لي ألا يرقى إيسى في وجهي، أو يجعل امرأته تطردني من البيت؟ هل تؤمن لي ضد غدر الأصدقاء؟ هل تضمن لي إذا صُتُ شهباً ألا يعتري التاربخ مهرجاً؟ هل تضمن لي كل أو بعض هذا؟ لو فعلت لتدافع الناس على شركتكم بالملايين. أعجبي متفقدت مذكرة إلى مجلس إدارة الشركة بعنوان مشروع للتأمين ضد غدر الزمان، كانت قطعة من الأدب الربيع لذلك كافأني عليها المدير العام بحصص خمسة أيام من مرتبي صحت. شقت أنوار التاكسى طينات الظلمة الباردة.

٣

جولة بين ابتسامات متقلصة

انتهى اشروع إلى الفصل الرابع وفي نهاية اليوم تأملت حصص... عقلت إننا احرقنا وما كان قد كان، لي يحكف القلب عن اجتراح الأحلام حتى ولو تكاثف عليه كل بأس العالم. في الليل تأملت حلمي ورسمته بأدق

ما يكون، وكان مبهجاً وأنا تأله فيه، في حجرة النوم الدافئة، والعواصف ترمجر في الخارج. وكانت مستغرقة في قراءة رواية فرنسية، ومنظرها يُبعد عني عينيها، وعندما فتشوا المرآة أول مرة، استولوا على خطايانا المتبدلة، وفي المرة الثانية استولوا على ما كنت قد كتبت لها في السجن، ولم يبق لأيدم الخريف من رد سوى الحشرات، وتذكر أن «كين بويد» - معش الداعية الإنجليزى - أشعل غيلوبه وقال:

كيف تفكر في القل ولديك كل هذه الطاقة انشاعريه.

عجبتُ ساعتها لملاحظته، بيد أن طاقة الحب قادرة على الكثير

قلت:

قدأ عيد رواجنا «الساحب والسلاحي».

ثالث وهي تلعب منظرها وتقيلني في وجهتي..

- كل سنة وأنت طيبة.

فلكني إحساس طاغ لحظتها بأن هذا قد يكون آخر أعيادنا فطرته بقسوة، وأعطت كتعبها بدماعى، وقلت:

وأنت طيبة، لدى فكرة لعيدنا هذا العام أود لو قمنا بجولة كالسائحين. نتفقد آثار الماضى. مرور مدرستك القديمة حيث رأيتك أول مرة.. والحديرة الثانوية التي قصيت بها أحلى سنوات العمر، وبيتنا القديمة وكشك الموسيقى. أعنى كل ما يذكركنا بما مضى.

غابت نظراتها وراء حلم مستعص طمست السنين معالمه، وقالت:

- قلبك شاب رغم تجاهيد الوجه، ولكن هل تساعد الصحة؟

قلت أن الحلم يستحق كل المشاق، وماقتب التناصيل وحددا الجاهات السير، وثار اعتراض بأن الكثير من الأشياء قد ندرت، فقلت أن رائحة الماضى تنبع من أرضه وستشمها رغم كل شيء.

صغقت «أحلام»، وقالت أنها ستعد حفل المساء وشهدا الصباح تدب على الأرض يفتاق، يحتضن الحلم، رأمأ عند الغروب فقد خيمت الكتابة

على كل شيء قلت هذا لعمى رغم معارفتى إخفاء شعورى عنها، ولكن الحياة فرضت نفسها على ملاصقى فكيف ديمت آثار العمر بكل هذه القسوة. وكنت أعلم من البداية أن الكثير من الأشياء قد تغير، ولكن الزمن رغم حقا. أهذا هو شارع الخليج لذي شهدت مُحباً متجهاً، والذي كانت تظله الأشجار! اقتضت يد الزمن القاسية أكثر بيوتى اتسع حتى شمعت بنفسى ورقة طائرة في ضجيجها، احتضت البراكى كما احتفى الخليج وجُف من قبل.

وضجيج الترام مرعج كلفنة أبدية ولم يعد هناك ظل تنقي به لهجير ونسرح في براحة المبرون حلف قامتها النحيلة الرقيقة، وهذا هو الرحام كيوم الحشر فلا تصطدم العين إلا بأرداف مهتزة سارحة، ووحال فتقن وعمود رعدة بالهم، أمأ هذا الطلل البالى فهو مدرسة الحدوية القديمة، أصبحت حرا به يسكنه اليوم والهوام وكلاب الطريق، وبها تجبر الضحك من قلب لم يكن قد عاقر الأحران بعد. الحدوية الجديدة نظيفة ومنسقة ولكنها عاطلة عن لجلال كذلك ظلتها. ولعل حيلة الأمل لا تقود خطواتك إلى «باب النصر» حيث تختلط لنسك قبرا. ولن تعدم عدا صعبة من هنر هذه الأيام، يطالب قواد من الذين يكتبون فيها بتنظيف القاهرة من آثار الماضى لتسد عنقها للمستقبل، ولولا السبعة لهدموا الهرم الأكبر، وأقاموا مكانه حانات للمضاجعة، هم يدهسون كل شيء، وأمس عذرت «أحلام» عندما قرأت في الصحيفة مقالاً يقول كاتبه أننا قتلة محترفين، وأن الاتهام بالجماهير والعمل المنظم، هو طريق العمل الثورى، فقلت أن ابن الكلب كان يبول على نفسه عندما كنا نحن ندع ثمن وطبقنا، وهو يلعب مرتب لكتابة هذا الهدر السعيد. فمى يصمن لى أن لا يُعتبر «صدقى» غداً بطلاً رطيباً، وتدان لأننا حرة؟ وأين الحقيقة في هذا الطوفان من الأكاديمى، ولكن هذه الأفكار عكارة تبدد صبر اليوم.

ولنحب بالأظافر عكسا نجد من آثار الماضى شيئا يبعث النشوة في القلب الحزين، ولكن الكلاب شوهوا شوارع الحلمية بضغ صمتها الجليل



الذي طامح سرح فيه القلب شوانا . وقامت عمارات طريفة كزبانية الجحيم،  
على هذه الأرض كأن بيتنا الصغير . في مكان ما منها التقينا وجها لوجه  
لأول مرة . أطرقت بعينها السوداءين خجلا ، واتقدت حدودها كالجمر،  
دسمت في يدها ورقة كانت أول ما كتبتة لها من رسائل الحب ، فأين يقع  
هذا المكان الآن من هذه النهاية العالية . هل أصبح دورة مياه؟

سألتها عما إذا كانت تذكر ذلك . فقال صوتها اللاهث : نعم . واختلعا  
في تحديد المكان . قلت أنتى سألتهما إياها في الخديقة . وقالت بل كان ذلك  
في حجرة الصالون . استمررت المناقشة رقنا إلتهم بهجة الذكرى . أهي  
الذاكرة الخوون التي تزيف التاريخ ؟ ومن المؤسف أن رسالتك قد ضاعت  
بمصل كلاب الحراسة الذين أطلقهم وراءك « كين بويد » فهل يكتشفها  
أحد المؤرخين فيما بعد ؟؟ وقيم تلوم مهرجى سنة ١٩٧ وأنت نفسك قد  
نيت . وأمسى أملتت الأصدقاء بمشروعى ودعوتهم لحضور الاحفال في  
الساء . ضحك « منصور » وقال .

- فكرة طريفة . وسادعوكم بدورى إلى حضرة ذكرى في ساحة شهيدة  
المعشق الديموى « ريسب البكرية »

انتهت صبحكته بحال متتابع تصدع له صدره . قال أن الزمن العادر  
ابن الكلب أصبح يلزمه بيته أطول مما يحتمله وأصاب

- وأن تكون عجورا ووحيدا في شتاء قاسى . ذلك شئ لا يطيق .  
وليس العبد الرئيسى لنا هو الامبرالية كما تزعم أبواق الحكومة . ولكنه  
الرومانيزم والسعالة واليهو وآلام الكلى .

تهب « عبد الحميد » قائلا

- هي صيف هذا العام ستوف ابتى . وأدعوكم لأن تحضروا حفل  
تتويجى بالقرون ، وبذلك يكون عمركم الطويل قد شهد تتويج خمسة ملوك .  
الملك عزاد والملك جريج الخامس وفاروق الأول والأخير والمزبذب والعبد لك .

ثم استطع اكتشاف لون البيرويه الذى يلبسه ، أهو أزرق أم أسود .  
وتذكرت أنه قاوم خلع الطربوش بضراة بحسد عليها « أردف » منصوره  
- يشعثون عن عقارات لتجديد الشباب . ولكننا يعيش في عالم  
غير عالما بحق .

« عبد الحميد »

- لُصنك من هذه السيرة ، شقنا وانتهى الأمر ، فلماذا المقاومة ؟

قاومت رغبتي في الكلام لحظة ثم قلت .

- ثقفت الدنيا . وينهى أن تُسر لذلك .

« منصوره » صلتحا :

- هذه أكلوبة تقولها من وراء قلبك . كان رطل اللحم بخمسة قروش  
وأصبح بيسمى . وكانت النسران العشرة بقرش . فأصبحت أقيع امرأة توجع  
قلبك بالحديث عن الحب ليل أن تخلع ما تقضى الأتدر بفعله من غلابها  
ضحكت أسبانا وقلت أنتى صريع مثله . وهذا هو الشعب يسرح في  
الطربات لاه عنك . ضعيف الذاكرة ، وم يعن أحد بأن يحفظ لك آثار الماصى  
العظيم  
قلت

نحن لا نذكر إلا في أنصنا ومن الخفق أن نذكر أن لدينا طلعت  
للأمم .

« عبد الحميد » :

- وآية ذلك أن أولادنا بصرون على تتويجنا بالقرون بيل أن نغادر  
أحياء .

« منصوره » رعا

- وآيته أن اعكومه كرمت بطولتك بطريقتها ، ونحن في زمن حرب  
فاخشى أن يقرودك لسائك إلى المعتقل مرة أخرى فتخرج منه إلى القبر

ضحكت مغلوا على أمرى. ها هي النتيجة أمامى، بدأ الهدم فى يواكى شارع محمد على، آه، كم سرح الخيال خلف فكرة مستعصية أو بشوة دانية، وبين لحظة وأخرى أشعر بالآلام الرومانسية من مفاصلى، ويد أنه من المستحيل أن يكمل السبر إلى كشك الموسيقى على الأقدام، فدعوت التاكسى. - فها لضجيج العالم. كان «الفيثون» رقبنا حانياً، فهل تطوف بنا فى هدوء الكشك ذكرى لهمة القلب، فتنتشى الروح كما حدث فى زمان الذى مضى، طارت عيني إلى مكانه فقصر بصرى الذى صعب عن التقاط صورته، وتقدمنا بخطواتنا البطيئة. واستندت إلى ذراعى فلاحظت أن قائمتها قد انحست قليلاً : آخر مرة رأيت فيها كان بعد هدم سور المدينة بقليل، مزقوا جلالها ومزقوا بهجتها، شهدا ذلك الطريق للمعوز، وانتهت حضرتها إلى لاشئ.

وها هو الكشك مجرد «برجولا» ضمن كازينو مردحم ومرغن، جلسنا إلى إحدى الموائد، إزداد ألم المفاصل بمجرد أن ارتقيت على المقعد، جاءت جلستنا بجوار عاشقين عشرين تنارت وأساها، وعاد فى حديث هامس :

قالت «موزية» :

- أرفض المشى. وأشعر أن قلبى يكاد ينجر من الخفقان.

- وأنا أيضاً.. مفاصلى تؤلمنى.

شربنا المرطبات، واجتذب حديث العاشقين سمعى الثقيل، فأدريت أذى منهما دون أن أشعر. وعندما قاما مجاة إلى مصدا فى الطرف الآخر، خجعت لتطلى، سيقولان لاشك أنتى عجزز سمع ومتطفل.

وعندما وصلنا إلى المنزل، هجبت لأشئ طوال جلستى فى البرجولا لم أذكر لك منا فى كشك الموسيقى.

أطعانا الشمع نحن الثلاثة. فكلت «أحلام» على وجنى وقيت «موزية». ارتعشت ينى وأنا أقطع التورته فأكلت «أحلام» تقطيعها ووزعتها علينا، وقالت

- صنعتها بنفسى، فما رأيكم؟.

تصاعدت التهانى من كل اتجاه.

احتضنتها «موزية» بامتنان. وقلت أنها طفنة رفيقة، وضحك «منصور» ضحكته العالية، وهمس فى أذنى قائلاً

- هل تسمح لى أن ألبسها قبلة أبوية.

زجرته، فأكد لى أنه أعلن الإفلاس الكامل، ولا ضرر من القبلة وانهسك «رسم» و «أحلام» فى حديث جاد، حبك «عبد الحميد» «نبيرية»، ونظر إلى ابنته، وهمس معاذراً أن يسمعه عطيتها الذى كان يقف بجوارها .

- يتحدثان عن منظمه فتح كأنهما من عتاة السياسة، لذلك استحققا الثرون.

وأعنت «أحلام» أن لها صديقاً من المهنيين بالتاريخ يطلب لقائى لاستجلاء بعض النقاط فى بحث بعدة، عن جدور لنضال الشعبى لدى مهد لثورة ٢٣ يوليو ١ أهبجى الخبر، وظهت تفاصيل عن الصديق للذكور. فتحدثت عنه بوق واضح، فقلت لنفسى أنى سأعرف حبيبها أحيراً قال «عبد الحميد»

- حذار أن يكون من المتعاونين مع المحابر!

ردت «أحلام» بيقفاً، واضح

أما أعرف كيف اختار أصدقائى. ولا ميرر للتطاول على الناس.

تكهرب الجو لحظة، ولكن «منصور» قال :

- يبدو أن هذا الرجل الطبيب سيدخل التاريخ، شأنه شأن كبار الناس المهين من أمثال «سعد زغلول» و«النحاس» و «شميقة القبطية» و«هدية مصابى»، وما أن الدار أمان، فقد قررت أن أنال نصيبى من المجد أنتظر من المعروف أن هذا الكشكوت المقترس باعتباره ما كان، قد قبض عليه بعد إطلاق النار مباشرة على «صدقى باشا» واستعرب الناس لأن البوليس لم يجد منه المسدس ساحة القبض عليه، ويحت مدير الأمن العام إياها المحرم «غزالى باشا» عن شريك المتهتم، ولكن تنقبه لم يمس إلى شئ. وسعدنى أن أعلن أن العيد الفقير لله كان «ذلك الشريك المجهول، وأثناء «الهرج والمرج

الذي أعقب الحادثة حصلت على المسدس، وقد يقول بعض من يعرف سيرتي ما شأني ومنه الأسور؟. والحقيقة أنه لا شأن لي بها. ساعدته لأتينا أصدقاء. طفولة، ورغم أنني كنت أكره «صدقني باشا» جداً لأنني كنت أحب الحمر والنسوان أكثر من أي شيء في الحياة، لذلك ترددت في القبول أياً ما ولكنني من باب الجذع لا غيره، قهبت. ولا أذكر أن مفاصلي سابت عقب الحادثة ولكن الله سلم. وقد احتفظت بالمسدس كنوع من التكريم لشخصي الضعيف. ولكنني قررت في هذه المناسبة السعيدة أن أعبد إله هدية، بمناسبة العيد السابع والثلاثين لزواجه السعيد

صديق الحاضر. وفضضت الأوراق عن المسدس لتفحصه العيون : مسدس وساقية قديم. حران الرصاص فيه كبير، وبدأ أن يبدأ قد أعادت صقله حديثاً. بقايا الصدا مارالت تحيط بمسورته، ولكنه يعمل أدرته. وتأكدت من ذلك، صديق الحاضر، أرتجعت يدي وأنا أمسكه. اجتنب بصر «أحلام» رفعت عينها الواهتان الجميلتان، تصاعد انبساطها به في القروة. سألت عن ماركته وأي نوع من الرصاص يمكن استخدامه فيه. لماذا هو ضخم هكذا؟. هل يمكن التصويب به بالتوجيه، أم أن وضع الهدف في منتصف الذبابة شرط للإصابة. وأخيراً قالت :

- هل أستطيع أن احتفظ به؟.

قلت بدون تفكير تقريباً.

- طبعاً. اعتبره هدية مني!

قالت : قصدت أن أجمع به بعض الوقت؟

ضحكت، وأعطت كتابها بذراعها قائلاً :

- لن أوزنه شيئاً سواد، فسوف أمرت فقيراً

وكان المطر يغسل المرافق والشوارع والبيوت.

## ثلاث مشائق

## متيعة الصبح

« .. ما من أحد من الذين يجلسون حركك إلا  
سكبراهن حشاش .. فلا يكن حشاشاً ».

١

إحالة الأوراق إلى فصيلة كفتي:

من تلك اللحظة بدأ مقتك كان ذلك في شعوب المروية ونحن  
بمادر المدرج. فكترت أن أسمعها أنفس الكلمات. قاومت رغبتني بعنف،  
حقت بعد قليل مختلفة رماداً لي تجويف رأسي.

رفعت رأسها فاهق ذيل الحصان الأسود في مؤخرته. سألت :

- ما رأيك فيما قاله «الدكتور كمال»؟

كانت بعض الجبرات الخاصة قد علمتني أن أرد على السؤال بسؤال.  
طبعت رأيها

تعلم أن ليس لهذه المسائل قليل. ولكن الفكرة باهرة حقاً.

كأن ذلك رأيي عدلت عنه في صدي رنة الثقة التي تكلمت بها .

- ليست جديدة على أي حال.

علفتُ بصحكة مقتضبة. خرجنا من المشى متجهين إلى باب الجامعة الرئيسي. دقت الساعة. لم أكن بمراجعة دقائقها... في المقدمة أحياء تقادر المكان. دقائق الأقدام تأتي من خلفنا مشيراً الجوارح قلت :

- الساتين اشتوية زبدك فتنة.

ابتسمت. ضحط كنها على دراعى ضعطة رقيقة ممثلة من مرفقى جانب لديها هزتي وعشة دلاء.

وأنا أقرأ ساعتى .

- مازال لدينا وقت منعش فيه يمزلى... موافقة؟

تركتُ دراعى يرد فسن لم تحسن التحكم فيه

- لدينا كمية من اللحوم والفاكهة سنوزع بها للأيام التالية

- و«رياض»؟

- لا شأن لك به. ليس بالشفقة، فقد تعيب عن المحاضرة.

أوقفنا إشارة المرور أمام باب الجامعة. انعكست أشعتها الحمراء

على وجعها...

- «رياض» كائن غريب؟

وأنا أتناول يدها لتعير الطريق.

- هنا ما يدونه «المقدس سمعان»، وعتدد أنه من السهل أن ينفذ

الجميل من سم الحباط، أما المستحيل فهو أن ينفذ ابنه «رياض» إلى

ملكوت السماء، ولكن هذا ليس موضوعا. هو «المقدس سمعان» إيراد

ماكينة الطحين إلى دجاج وقراكه ولحوم. أوهوك لالتهام بعضها، ويمكنه

اعتباري بعض هذا البعض.

تنهدت بهبط. تأملتُ عينيها. كانتا غائبتين

- لا أستطيع أن أتأخر... نزلها ليلهم آخر.

- التاكسى يقرب المسافات لم يذهب منذ أسبوع.

تحصنت في آخر موانعها .

- لدى أسباب أخرى غير الوقت. - وما بعد يومين أو ثلاثة.

هزرت رأسى باهتمام وصفتها بأنها وقحة. سألتها والاثوبيس يهل

من بعيد عما إذا كانت مصابة بمفص.

- هل أدركتك الإكس؟

صريتني صرعة خفيفة على صدرى. قفرت إلى السيارة في لهجة

شديدة. غابت في الفراغ.

\*\*\*

«عزيري عادل»

«تأكيلا برسانى ولم ٢٨ السابقه. وقياماً بمسؤوليتى تجاهك أكرر

لك النصيحة «سحر» ليست محلولة لك. تأمل صبرها ستجد شامة عرق

نهد الأيسر وأخرى في أعلى السرة. وثلاثه فوق مهبط البطن بقليل وعلى

أعلى الفخذ آثار عملية جراحية قديمة. ألا تستغرب معرفتى لهذه أختائى؟

«يا صبح أمين»

فتحت درج المكتب بهدوء. أخرجت ملفا ضخما عنوانه «سحر ٧ /

١٢ / ١٩٤٣» وأرقت انورقة به. أعدته إلى مكانه. أشعلت سيجارى.

قال «رياض»

- هل من جديد؟

ابتسمت. قلت

لاشئ. خطاب من مكتب الأمن

\*\*\*

عند العشاء أشعل «رياض» مولد الكيروسين. في ضجته خف

الزحام في رأسى التهمت النيران جوفها القصير. لتي انصهرت عن فقد

نبيص نابض بحموية دافقة اختفت الصورة كلها عادت الصبغة قلا كل

مجهز الرأس... الصالة زمهريرة الورد والمولد بشر ضجته دون مقاومة فتع  
«يا صبي» فنه ليتكلم أرعجني منظر الطعام من مخرجي  
- ما أخبار محاضرة «الدكتور كمال»؟  
- لا بأس بها.

مستطلعا بعيشه بيسم أنباه عزق فخذ النجاجة. قلت  
شرح تجربة جديدة للعلاج الجماعي تقوم على اختيار جماعه  
نخلص من حسابتها تجاه خطاياها بأن يعترف كل فرد بإثامه بصراحة  
تامة أمام الجميع.

- وهل نجحت التجربة؟  
- نعم... قل أبيض أنا في النهاية مسجد أنعمنا إرباء. قام لنا  
تصوره خطايا. هو بالفعل ما يفعله الآخرون.  
- والعائدة؟

- نتعلم عن تأنيب أنفسنا بلا مبرر  
أصابع السكر إلى الشاي.

- تجربة منيرة على أي حال لبعض حصر. أحلى «المقدس»  
لاستقرار ظهور المذراء فوق قبة كنيسة الزيتون. لم أكن الزحام قلت له أنتي  
أرعب حقا في الانتحار ولكي ليس تحت الأقدام. غضب عليك المقدس.  
وأندري بأنني سأنتهي من الملكوت. قشيت في كنم صحتي وهرث منه  
لكي انتحر في مكان هادئ ولكن محاولتي ورفسها ٣٨ عشت  
- لماذا؟

- كان ظلام الشاطئ يسمي عاشقين أنزعجها ظهوري. فلما أني أريد  
بهما سوء وقد تحول المشهد إلى نراجيكوميدي من اللون المتبدل. وحاول  
الورد رشوني حول إليه أني شرطي. وفي النهاية عدت حساسي للمرضوع  
كله.

رانا أرفض سيجارتي المنقحة ذات الأريج النفاذ

- يودي أن أعرف سببا مقنعا لتفكيرك الهرلي في الانتحار؟  
محب نفسا عميقا من سيجارتي تأمل الرماد المتراكم في قمتها  
محافظا عليه. قال.

سمعت أن المنتحر لا يدخل ملكوت السما.

\*\*\*

في دفء الضحى بدأ «الفاير» الأخضر أتينا على جسدها. أما  
مشارف عذبتها قناعمة بيضاء. وحيدان كنا في البرجولا. عند قبيل من  
العشاق هرقنا. قالت:

- هنائي والدكتور كمال أسس على بحث أهبال السنة.

- عظيم.

بابتسامة زهر:

- المهم أنه قال: «عشت» عن الظن بأن التيات الجميلات دائما

تافهات

فجر زهوها صديق في صدري. هربت بأصابعي زهرة كانت  
قد أهدتها لي قبل دقائق. لم أعلق.

انثت أهبابها بوجهي لكي تصفادا عيني أملت وجهي فأصاب  
التدبغة صحنية صغيرة كانت تصعد فوق جذع الشجرة. سألتني عما إذا كان  
هذا مضائتي؟. نثت ذلك.

- أنت لا تفار على.

- الغيرة إحساس بدائي... ثم أنش أنق فيك

غنى راديو هابر في المشي المجاور.

- تشاجرت جارا مع امرأة البراب. آو. كانت معركة حامية

.....

- شعل عبال.

وسرعان ما دقت النار في

السابع مبريثر الكلم.

العصارة ولوتفتت الأح

- .....  
- قالت امرأة البواب أنها قصه ويرجىها قواد . وأولادها كلهم

سقاح.

- هذا سب على طر طيق قانون العقوبات

علا صوت الراديو خلفنا

- هل ما قالته عنها صحيح؟

- ليس هناك دكان بلا تار، جارتى لن تنام لمدة ليل.

بدا في يدي صعلتها اختنق صوتي برغبة طارئة .

- أما نحن فنستطيع أن «ننام» الآن.

- في عز الصيف!

- ما يحدد وقت النوم ليست الساعة، بل الرغبة.

كل شيء كان معروفا من قبل. ونحن نتجه الى التاكسي طلبت عنى  
أن أكتب من الواقعة باحساسى للأغنية التي كان الراديو يذيعها يكرر  
المطرب المذهب بالبحر سمع. في الشارع السابق نذرعنا سبتنا كالعادة  
بخطوات سريعة حتى لا يرانا أحد مما، دخلت باب المنزل كالبواب.  
خطراتها تدق الأرض خلقى في البقاع رتيب، يقلل التمرود من سطح كل  
شئ، اعترضت زوجة البواب طرقي:

- خطاب لك يا أستاذ عادن.

عادت ومريم من كوخها في بئر السلم، الخطاب في يدها أحد  
أطفالها يجذب جلبدها عبرت الخط على مطروق الخطاب. ما أنشط مكتب  
الأمن، وما أكسل قانون العقوبات

قبل أن أصعد كانت وسعره قد وضعت قدمها اليسى على أول  
درجات السلم

قالت «مريم»

- أين تصعدن يا شابة؟

ميد جانب

- عيادة الدكتور مصطفى،

صعدت كالبهيرة. رفعت لحظة متعمدا حتى اخلفت دقات ألبانها في  
الدور الثالث. أنهيت مسرعا حديثا ملثقا بدأته مع زوجة البواب، لاقتنى  
كلماتها في السلة السابعة عشر

- جاحت «فردوس» الفسالة... وستعود يوم الأحد.

ثم بصوت خافت

- ريثا يهدي العاصي

\*\*\*

من الحمام جاء صوت المياه وهي تنساقط. أشعلت سيجارتي. مضت  
رائحة الدخان على صبير تركته في الغرفة. فتحت باب الشرفة. واجهت ضوء  
الشمس. قالت سائلي أن «رياض» سيهده بعد ساعتين «سحر» - ككل  
مرة - تبكي الآن في الحمام وتسمع دموعها يظهر كفها كالعادة تتعبد  
بعميق فالبني غاب عنهما وهج الشهوة، كسيرتين ودليقتي. لا داعي  
لبأس، أمانا وقت لجولة أخرى. إذا غلبتها الشهوة فليها كانا آخر

تعلقت عيسى السارحة بعصافير جاءت من المزارع القريبة. متى اطير  
في القضاء كهذه العصافير!

عبنا بواب عمارتنا تطاردان العصافير، شارب عصي، يجلس كحكيم  
أنسبت بضاعته رجل منكر أما زوجته مخشمة كوخش قال «سحر» :  
ظرفها ترعبي. يحيل إلى أنها لا تصدقني. المزارع رحية ومتسعة فمدا  
لم تكن عصفورا؟ اصطدمت يدي بالخطاب.

وعزيري عادل

أنت إلى الآن لم تصدقني طبعاً ولكن هل يمكنك أن تعلم أن

وسرعاً عندما تغلبها النشوة تصيح قائلة «رائع...» «مدهش» . أهلكك هذا لكي تتأكد أنني سيقنعك إليها

«مخلص أمين»

كان ولده عاً وضعته في الملك

٢

المسحقة الأولى: مقتل صورة عازية في المرأة

ليلة العيد التالية انتهوا من صلاء العشاء وبدأوا يصلون التراويح تساعد تكبيرهم يلحهم صمت مدهشنا كانت متشبهة بجملة صدرها غامق في حلمها لم تنس في آخر لحظات اسانعة أن قد يدها لمرتعة بالربعة فتظلم الحجرة وأنا منهمك في عملي طرأت على ذهني فكرة هناك لاشك رجل يعاني سكرات الموت الآن في نفس اللحظة طردت الفكرة في موجة ثقيل حادة طاردتني بالخارج، خمد جناسي لما كنت اتمنى انقلبت رانداً إلى جوارها، كانت تلهث دائية، يدها تتحسس رقبتي. أدت وجهي إليها شعناي باردتان، لفظتهما. ظن وجهها على صدري. انتعلت عود قناب ، صرحت مزعجة.. سحبت الملاة بسرعة. فطمت نفسها عاودتني الرعية أن أسمعها أفحش الككبات، أنفاس معها كبني. حيث أن أنقدها تراجع الرجل الذي يعاني سكرات الموت دخل الآن في مجال الميوية. عاد ففدها العدي يلقى معه نوق قحدي. لبرودة تنتقل إلى جسدي عبر أنفاسها الساحة. وجه الرجل الميت شئ الظلام احتجت إلى كل قدرتي على الإبصار لكن اكتمت ملامحه تأكدت أنه حالي عباءة جاحظتان بشرته مليئة بالنتجاعيد. ملامحه تجميع في تشكيل مقسول وأج، تعلق بوجهي الموهق أما أمي فكانت تخفى بأسها وحزنها في نظرة صابرة. قال :

= كاس واحد . واحد فقط .

بدت لي الرغبة مشروعة تماماً أما أمي فقالت لهجتها : لصابرة.

= لا . الدكتور قال : لا

خارج الحجرة دمت عينا أمي.. بكيت مثلها. ترققت وموعها، لم تتوقف دموعي. دقت النظر لم يكن الرجل خالي كما تصورت. على انضد المجاور للفراش اصطدمت يدي الممدودة بتمثال برنزي للمسيح مصوبا، ارتجعت لبرودته - هدية «القدس سمعان» ولا يمكن رفضها. في غرفة واحدة أعيش مع إنسان مصلوب عسر الأطراف عينا، حزينتان عاتيتان. كتمان نفسي بأنني برئ من دمه. شعرت أن لحظه إندما جانا قد أفلتت. ابتعدت عني قليلا، لحما غريب عن لحمي تبست خطوطه رغم الظلمة قال صوت في الخارج: جازر الضحية. كل عيد وأنتم بحير تجسست رقبتي بأصابعها في يمحرج الرغبة تسي كل شئ من المسجد المجاور تصاعدت تكبيرات العيد وصيحة أطفال الشارع.

= لم نلتق منذ شهر.

ثم وهي تنتقل بأصابعها من صدري إلى بطني :

= رقم هذا فأنت غير متعصب

= ....

= أذكر ألا أجه: هذه المرأة تتعقبني بعينين مجرمتين. وكلما رأيته قالت ربا بهدي العاصي. وكل مرة تسألني إلى أين أنا داعية أوب.

«المرأة حقيقة مزعجة ولكن اهتمامها بها يهت على السأم، ومن هو هذا المختص الأمين؟ هل أصغها بالملك وكافة المستندات. ستتكر بلاشك الأدلة صاعقة. داعرة من العرجة الأولى لحما هذه انفساسية المرضية.. ومتى يطبقون قانون المقربات».

= صعدت خلفي مرة إلى عيادة الدكتور مصطفى. فوجدتني في غرفة

الانتظار وانتجت بالثومرجى ركننا ونهاست معه وطبعاً أكد لها أتى  
زهوة معروفة.

- وثبت كل شيء - ذكازك فوق مستوى الشبهان.

- ما أخبار جارتكم؟

وضعت رأسها على كتفى- نديها العارى أمام عيسى- شمت  
أريجده... كنها الآخر يتحسس ببطء فخذى

- لاشئ- وأمسى زائناً وأعادت على مسح أحي كل الكلام اليدى  
الذى قالتها مرآة الجواب.

شدت عليها- اختفت لهجتها برعدة حادة- شفتاى تدوران من  
شمتها

- ماذا قالت؟

قبلت ولم تجب حشمتها.

- أظن أنها تعيد هذا الكلام على أحي لعله يصدقه، تريد أن تفتح  
له الطريق... رقة....

أزاحت الكلمة الأخيرة وجه خالى كنها تتحسس أدنى مراكز  
الاحساس فى كنت حامد الرغبة تمام استمرس شئ للضحك- قاومت-  
استسلمت له فى النهاية- انفجرت ضاحكاً- مدوت يدي- أصوات التور فجأة  
عكست مرآة الزينة امامنا تفاصيل الموقف- لمت نفسها بسرعة- اختللت  
صعكاتى الهستيرية بتكبيرات العبد.

- سحبت اللادة لتعطى- متمتها انتزعت الملاء- ألقىتها بعيداً-  
فلكها غضب جنونى- سبسى بأفزع الألفاظ- لم أتوقف عن الضحك-  
مشهدنا ونحن عارين مصحك فعلاً- أشرت إلى صورتها فى المرآة واصفا  
كل مساحة بي جسدا.

صاحت

- أسكت يا مجنون يا ابن الكلب.

لم أسكت- مدت يدها إلى التشفال ليررتى- رفعته إلى أعينى.

صاحت

- سأقتلك

ترددت قليلاً خفتت صهكتى- ارتعشت طاقة أنفها- قلعت التمثال  
بقوة فاصطدم بصورتى فى المرآة تحطمت إلى مرقع صميرة- سقطت فوق  
السريـر تيكى فى تشنج عصبى عريها الباكى أمامى- لم تمن بتعطيتها-  
كلفت عن التصعلك- خرجت تاركاً العرفة فى حطوان بطيئة.

٢

المسحفة الثانية- سقوط المدعى العام

اخترق عيناها ظهري كرصاصتين مكتومين- تعثرت أقدامى فى  
درجة السلم- لا بد أن أنفها تمام من حياتى فهوها فى بشر السلم يطمئنها  
عبرة المراقب الدائم- عينها الثابتان تريان كل شئ.

■ انت وسحره :

- نظرتها تقول أنها لن تسكت- وأنا نازبة هزت رأسها وتصحبت  
بشمعها- وسألت زها متى يهلى العاصى- فهرب الدم من جسدى.

تفتعل المناسبات لتكلمنى كلما رأتنى صاعداً- تؤكد وجودها-  
استندت على «درايزين» أسلم- رفعت رأسها منادية- توقفت عن الصعود

- الإيصال جاهز- هل أصعد يدا.

- سأغير هيموى وأنزل فوراً... الخسالة فرق!

مدت يدها تلم المستان فوق فتحة صدرها- لا تأمن لعبتى- هزت



بهما بعيداً. وقتنا في شرك عبيها مسحاً بهما سطح صدرها. أكل  
الزمن بعض اللحم، لكن ما بقي كان صالحاً لوليمة على أي حال.  
- «فردوس»... لا.. لم تأت ولن تأت!

عيناى تسقطان في شرك عبيها عن سؤال ثم أسأله أجايت  
- «هي الآن بالتخشيبة. هاجبوا منزلها أمني..»

دق الباب. وجدت أمانى جريت فارتدت الروب على ملابس  
الداخلية جلست على مقعد ينتصب اتصاله رائحة صابون رخيص تنتشر من  
وجهها الذي كان نظيراً كما يبقى لبشرة خرجت لنورها من تحت الماء. مدت  
يدها بالأصابع، وسألت عن «رياح». ويدون متسبة قالت:

- «ممكنة «فردوس» أخلوها من لدار للنسر  
محررات؟»

لا.. ربما أمر بالستر، ولكن الحجر الدائر لابد من نظف.

ابتسامتها لزجة. صفعها خيالي. تركتها تنظف الشقة وخرجت إلى  
لشرفة. على الظوار المقابل يجلس زوجي يتمتع بالشمس. عيناى ساهبتان  
في العشاء تركتها حلقى تعبد ترتيب الملاحة فوق السرير. سيكون عملاً  
شيطانياً لم اعترضتها وحارسها ينتظر الوحي صحوذ ضعيف فكيف  
استولدها كل هؤلاء الأبناء؟ اسمه الذي يناديه به الجميع في الشارع دون  
أن يحتاج: «زوج مريم».

... وكانت تروح وتجي وتصارها في إثرها... أمانى «فردوس».

لم قانع عيسى، في أن تواصل روايتها.

- .. سألتها عنها مراراً.. ومرة استجروني في النقطة: ألا  
تصطحب أحداً معها إلى شقتكم؟

تهدد لشيء مرعب ولا بد من سير غورها حتى النهاية. وهي تنظف  
التسريحة وجدت بعض الأوراق الدالية الصغيرة ملقاة في احمال. تناولتني  
بها، قائلة:

- «فلوسكم كثيرة، لذلك تضع فيما لا فائدة فيه.

أطبقت أصابعي على كفها بالنقود. ضغطت الكف لأتقرب على  
بمنتهى. أصرت بلا حماس على الرقص، تكلمت كفى مع كفها. على أن  
أقترق لقدمي قبل الخطو مرضعها، لانت كفها فتحت ثوبها. وضعت النقود  
بين الصدر وحالته. طاروت عيناى النقود، اصطفتا بعبيها المتجاهلتين.  
تركت العرفة جلست أدخني في الصالة. جاعني صوتها يعنى. «يا ليلي  
ورمعتوا المرتقال». وثث بعته بعث ساحر أقعدني التردد. حاضرت رحلة  
طويلة من دروب قريتها إلى شوارع المدينة وأزقتها، مصداً لقيت فيها؟  
قطعت الناء قالت دون تهيد:

- «ربما يسامحني، أضرت مردوس دون أن أنصد. مرة تشاجرت معها  
باسمعتها وسع الأذان، أعماسي اعصب فقلت كل شيء، ولابد أن أبن الحرام  
سمع، فقد كانت مراقبة.

متأمرة من نوع شديد الخبث. فصحت المرأة على ملا متعددة فهل  
استكبت أحد العرضانية شكوى ضدها، حتى أودت بها.

- هذه آخرة السير البطال.. أخذت جزاءها

محصنت شفتيها معلنة أنها لم تصدق وعظي.

- «جكم.. ولكننا نجرى على ولايا... وفتحت بصوت  
الكسشيرات...»

اندهرت في حدى آمال حبيشة لمحضنت في موقع مكين حتى لا  
تستدرجنى ثم تصرح ولجميع على السكان، فتكون فضيحة من نوع يصعب  
غفرانه. لسانها سليل يشهد بذلك تاريخها المدهل في المعارك. وليس لها  
كبير، هل وعدا أحد بمنحة ضخمة إذا أحلت الشقة ما أسهل أن تفضحني  
تجعل الإقامة بها هدأ لا يطاق. نلتك المسحة هرباً ما، فهي تبدو  
طبعة بعكس نظراتها الياردة القاتلة.

ربما يهدي العاصي، وعلى فكرة يريد غسالة أخرى.

تجهدت يدها على المكتبة، قالت بطراتها: كفّ عن وعظك السخيف.  
لسانها قال غاصبا:

- أنتم كالقزع لا تدون إلا إلى الخارج.. هل دعوتني لأعسل لك  
ورقعت؟

خفت الحدّ كلماتها الأخيرة، حكمت ملامحها نظرة غضب سطحية. لم  
أتحكم في ذراعي الذي مدّ كفى ليرت على خنثها لانت.

- لا تعضبي. نحن لا نستغنى عنك، ولكنك هل يمكنك حقا  
أن:

انجرت.

- لست عسباء ولا كنعاء.. في رقبتي كوم عباد.

أضعف بما تصور الخيال، روح استهانة باهرة.. بوقاحة قلت:

- «فردوس» كانت تغسل وتطبخ وتكنس و..

- ماذا؟

رفضت عيناها أن تفهما.. أشارت يدي - احتررت قليلا

و... ندعك لـ ظهورنا في الحمام؟ نحن عراب وأب أدري طبعاً

بالشاكل.

بحرية

- إلا هذه.. السوان لا تكف عن التسلل إليكم، أنا لا تجوز على

الحيل: عبادة الذكور.. المصوراتي، هذه حركات مفهومة.

تبرّج الحفاء، تعرف عنا الكثير. تبدو مستعفة للتنازل، لن ترتعب مرة

أخرى تحت وهج عيناها، لن أوصي إلا بالرصوخ النهائي.

- ولكن الأمر لا يسلم.. واليهو يحب الزيادة. ثم أنك تعجيبيني...

- سأقبله. لسانتي.

سببتُ المناقشة. لا علاقة بين شرّ وشرّ. يقول اللسان، ما لا تفهمه

أفخاد. شدتها إلى استسلمت كخوفة. أنفاسها بهراء. فقدت حساسي  
صلت. لاهد من الانتصار النهائي. سأصنع من إحدى قطع ملابسها  
داخلية عما أرفعه على سارية الشرفة. لذلك أحصل ثقل أنفاسها، وترهل  
جسدها.

في اللحظة المناسبة قالت:

- لا كند إلا هذا.. لا أرفع يدي لأحد مهما حدث.

حائرا وأن أتأمل عريس.

- ولكن ما الفرق، لقد قبلتك واحتضنتك.. و.. و.

- ولو، هذا شيء آخر، ولكني لا أرفع يدي إلا لزوي.

وأنا أليس ملابس:

- حتى يهدي الله العاصي؟

تناولت التفود. أعادتها إلى صدرها.

٤

المشقة الثالثة: هميرة ضد الموت فوق قمة جبل

بين رفوف الكتب لامست دوانب شعرها وجهي، قبلتها قبلة خفيفة.  
زجرتني بطرتها جلست إلى المنضدة، أدنيت مقعدي من مقعدي. نمت  
عانية، أعادت مقعدي إلى مكانه. غاب وجهها في صدعة الكتاب. تأملت  
جديتها بنظرة هائلة. أجلسها خيالي عارية تقرا كتابات العالمات. مصحفها  
الذهبي يتدلى بين نهدين مترعين. انتحت صفحة منه، قرأت «وقيل لها  
أدخل الصرح فلما دخلته حسبه لجة، وكشفت عن ساقبها. صدق الله  
العظيم». ترفض للانس القصيرة. تقاطع الديكولتيه بكل درجاته. وبعد  
أجازة العيد راجعتني ملامحها بنظر القطيعة. تسحب من كل مجتمع أكون  
فيه إنعزدت بها أخيرا في لبرقيه. بكّت بعد أول كلمة، لولا أن المكان

قليل الرواد لكانت فضيحة يعيش على أصداها الهواة حاولت أن أسرق مرقسي، فشلت، تحبها ولكن الشك دمر كل شيء.  
في أيام القطيعة كاد التهجّر أن يقتلك. عزّ على القلب أن تراجعهم العيون التي دما اشتتهه ركانها لم تعرفه أبداً. أليس هذا اللسان المخاصم هو الذي تغنى بك في لحظة الشوة، ووصلك بأنك «رائع» و «مدهش» وكيف أصبحت غريباً؟

في اللقاء التالي عرفت أن المحبوط لم تنتطع بعد، قالت «سنت عهدة ولن أكون» عال وبالكذب تستقيم الأمور، لعنة الله على التعود. ما العلاقة بين تهسكها وبين أي شيء. ماذا أغرائني بما فعلت؟ قانون العقوبات، «سنتك نفسى لأننى أحبك، ولكنك لا تستحق». تجاهلت رغبتها الطاغية، ستقردها أقدامها إليك مهما حدث، لا تزده الخرق على الزائق. رقم الخطاب الأخير ٤٢ «أه أنت تنظى. م. م. أستطيع الاستعناء عنك. وعن أي رجل آخر». حوار ليدن على أي حال. طيقوا قانون العقوبات يا أولاد الكلب. وكل مرة أبكى وأقرر أنها الأخيرة، وأما أغتسل أنتها وأقسم ألا أعود.. وكفرت عن ذلك مراراً بالصيام والصلاة. كانت تعود من الحمام منهوكة شاحبة تنصرف بسرعة «أسي لا تفارق السجادة، وأبى رجل محترم». لو عرف أخى لقتلنا. لماذا تأخر مجلس الشعب في نظر قانون العقوبات الجديد؟

- أكرهك وأكره نفسي وبودي أن أقتلك.

لم يحدث. قادتها قدماها إلى الشقة عريها كان ملبسا بشهوة أسابع القطيعة، ذق الجرس. توقف كل شيء باردة الجنة كيمت. قامت مرتبة تبحث عن ملابسها إتهارت باكية صرخت فيها قالت انفضحنا وانقضى الأمر لعمتها في سرى...

قالت برحمة

قلت أن «رياض» بن ياتى، وها هو قد جاء. سينقب عن كل العرف، وقد يسمدك أن تعرف أن نظرائه لي غير طبيعة

صحب:

- إهدنى «رياض» معد معتاح ولن يحضر قبل العاشرة.

هي امرأة الهوايد. انفضحنا

انخرطت في شبيح هستيرى قلت بهمس غاضب اسكنى.  
اغلقت الباب عليها بالمفتاح.

شمست رائحة مزامرة في الجو. على الباب رأيت «مريم».  
عجائب، لماذا تقف هكنا كالحمبر؟ أريد أن أدخل.

بيرو قلت:

- «ينظتى من اليوم ماذا تريدين؟

- عني على اليوم الأفريجي. أنا عارفة رشيدة.

تدير لفصيحة من النوع الساخر.

إمرضى لا أحب المطاردة وأكره أن يتجسس على أحد.

- وأنا يا روى لا أحب أن يأكل أحد عرقى..

- عرفت؟

استندت برفقه على الباب. هزت رأسها هزة معاجة.

طبعا يا عيش.. صنعت لسنى من الكلام وها يحرقى.

مددت يدي بالنقود. ترددت لحظة. سحبتها من يدها إلى الداخل.

دمست النقود بيدي بين يديها. حلصت شعبتها من شعنى. أهدت يدي

التي كانت تبحث بجوى في مهبطة بعنها:

- ما هذا؟ أدميت شنتى. أنت مجنون.

- سانتظرك بعد انصرافها.

هزت رأسها هزة لم أفهمها. سألت «سخر»

- من؟

وأنا أسحبها بلقراش

مريم المجدنية

\*\*\*

دخل «رياض» إلى المكتبة. التي يحيطته المنتحة :

- كيف حالكم أيها المحبون الأعبياء ؟

ابسم «سحر»

- أيتها إلى أن أي هجوم سيرد عليه مثله.

- هذا ليس هجوماً، ولكنه حقيقة علمية، الأفضل أن نترككما جلست

بها كمية من القبارا المعتبرة.. ولكن لعن الله الدكتور كمال.. وبحوث أعماله السمة وعلم النفس والدين وضعوا تقاويه.

مهديا

- هذ مكتبة فاعقل احسن لك.

- غبي ككل المحبين. طيب نشاط غير جدوى ومضيعة للوقت، كيف

يتنحر جعش مثلك، رواء عيون جميله كهذه العيون وشعاع بوقظ الشوق إليها موتى قديما المصريين.

- حبيب

تسالمنا

اهد اعزل

أنكر باستهانة. قال

- اقليلة عيد ميلادي، وأنا أنوي أن انتحر ولكن يكون وداعاً حافلا

فأني أدعوكم إلى جلسة تبدأ من المغرب بـ «موت بيلا» المقطم سحر

- لا أستطيع أن أتناحر أبى يعتبر المرء عبدة ولا بد أن تحتفى بعد

المغرب

ساخرا :

تسكمن مع المحروس حتى العاشرة وهناك أعداد سخيفة مثل

محاضرة مساندة. حفل تكريم أستاذ، مذاكرة مع صديقة .. .. إلخ.

حسنت المناقشة :

- قبلنا اندعوه فأرحنا من إخطاك ولكن «موت بيلا» ممكن غير

مناسب.

- النقود موجودة. طيب أبى وأرسل مبلغاً لا بأس به. فن نسكر أو

شاهد الرقص في التراس المظلل على الجبل سطوى الشموع، وسأودعكم وصيتي قبل أن انتحر جادا

\*\*\*

وعم كل امجادير شرب، وحذب تقريبا مع حضاب الجبل وصور القمر

الصين. أطفأنا الشموع بصجة ابتلعها القضاء. قاومت «سحر» إغراما أن تشرب. شربت عدة كؤوس من شبيد قدمها «رياض» مؤكداً أنها من دمه

رغم قلنها كمت لوصح ابتسامه بلها على شفتيها.

- لا أظنن إلا للعبوة، فهي مشروب نظيف

تبع عذت رائحة المخدر من سبجارة «رياض» قال

- ولكن «الويسكى» رائع.. أما الحشيش فـ «مدهش»

ناظراً إلى سبجارتته المشتعلة.

- نحن في مكان عام، أريد أن نبيت في التخشبية؟

الحلاء هر كل ما يحيط بنا لم يبد عليها أنها تهتم بشئ

باستهانة رد

- نحن نحاف من أشباح، أولاد الكلب لا يطبقون قانون العقوبات.

وما من أحد ممن يجلسون حولك إلا وهو سكير إلى حد حشاش أو افكس، فلا تكن خبيلا وصباح اليوم فكرت في طريقة حديثة للانتحار عدت

للعسكري: يا شريطي، معنى نصف قرش حشيش مما قولك؟ سألني: غيرة أم كس؟ قلت: كس سألني عن ماركته قلت أمل حياتي. قال ماركه

ممتازة، ولكني أفضحك بـ «لصبر حلو» فهي أعظم ماركات الكبس. تركته ومضيت بعلام تعاف؟ أما أنا فقياما بمسؤوليتي تجاهك أقول لك أن

الويسكى «رائع» أما الحشيش «مدهش»

«سحر» باهتسامة بلها.

ملا هو «رائع» و «مدهش» ولكنى أكره المناهلة وأبى منهم.  
فى عيسى نظرة دائبة أعربها من طول ما جبرتها، ترد على نظرتى  
الداعلة.

- يا الخطأ فيما يقول. إنه «رائع» و «مدهش» وهو كذلك فعلا.  
تنبهت إلى ما تريد أن تقول. قهقه «رياض» قال :  
- الساعة الآن التاسعة والنصف. بقيت على الرحيل ساعة. أما و  
أنتما شربان على حسابي وتحتفلان بعيد ميلادى السادس والعشرين، فمن  
حتى أن ألقى خطبة!

ناولته السجارة ثم أتذكر متى أخذتها - وقف حطبا  
- المسألة يا أنساتى وسادتى أنسى بروت أن اشعر بطريقة مستحدثة  
ذلك أن كن انطرق أصبحت قديمة ومسهلكة النيل القطار المجمع  
البرج، ولأن بعض الأصدقاء يتصورون أننى جبان أنشر إشاعة انتحارى على  
سبيل الدعاية لشخصى الضعيف. هائى أعلنهم أننى أبحث بجديّة مرطبة،  
وأنتهم إذا أشاروا علىّ بطريقة حديثة، فسوف أبعدها فوراً. ولا بأس من  
استعراض معلوماتكم التاريخية حول أشهر رسائل الانتحار.

سحر : كليهما تقرأ والأففى!  
- كانت عابثة، ولن تشككم من أففى مع العم أنسى أكره  
«الأففى».

الأرشيدوق... ولّى عهد النساء وعشيقته.  
جبل ولكن أين لى عشيقته الجميلة.  
بإشارة من يده رفض الانتحار الهتلري.

- إننى ضحيته فكيف أقبل طريقتك هل غيب حماركم؟ بحثت فى  
تاريخ الرهبان البوذيّين فى فيتنام. بها طريقة مشهورة، ولكن لماذا أحرقت  
نفسى. و علام لاحتج؟ فى البداية قررت أن أحرقت نفسى أمام أبى فقد  
صعنى بكفه للصحة لأنه وجدنى رأيا طبل أعيت بأعضائى الجنسية، ورغم  
أننى كنت سعيدا لخطتها فقد انهال على ضربا.

سجادة صغرى، قلت :

- «رياض» كفى.

السجادة بين شفتى وسحر لا أدرى كيف وصلت إليها بائسة  
سارحة أكمل :

فى الصيف الماضى. أردت أن استعرض أمامه أعينى بـ «المانويل  
كانط» رقلصة الشك. فبصق فى وجهى، لذلك أردت أن أحرقت نفسى  
أمامه.

- فكرت أن يكون لانتحارى سببا سياسيا، فوجدتها جميعا تدعو  
لانتحار واحترت فى تعطيل أحدها على الآخر  
سحر.

لماذا لا تبحث عن سبب غرامى. هذا يكسبك حطفا كبيرا على  
المستوى لشعبى...

- جيبى لا تستحق الانتحار من أجلها هى خاتمة  
الجمرة.

- بالعكس أنها «رائعة» و «مدهشة»

وبصرى المرتاب يتنقل بينهما.

- لماذا تكرر هذين اللفظين. كأنهما كل قاموسك.

سحر بضحكة ذات ذيل عابث :

لا تناقض بين هذه كليهما أعرف إنسانا «رائعا» و «مدهشا».  
ولكنه فى نفس الوقت مجرم.

خلفت أن أعرف لها بعينى قيطسى أبى عدت للعبث بأعضائى  
التناسلية.

أخذت الشر وراحت.

- نعم. لكنها راحت به إلى غرفة نوم رجل آخر...

ناولتها السجادة الثانية دون أن أشعر.

-الجرمة-

- ولكنها غائبة وذات ثلاث شاعرات: واحدة فوق النهد الأيسر،  
وأخرى في أعلى سرة، وثالثة فوق مهبط البطن بقليل

صحت

«رياض»... أن لنا أن نعود

٥

تنفيذ الحكم

ونحن سعدت في شوارع المدينة الجيلية شعرت بدوار تقيأت «سحر»  
معدتي كانت عاتمة هاجنى فيها أمرغت ما في بطني نظر «رياض» إلى  
أفراقتها، قال

- تعديتا بقدوس، وهو مصر للقلب والمعدة كالأسيرين قدس  
أي بالفي من ملكوت السماء، ولكنني صيطنه يدب على خادمي الطعمة  
دات ليلة ويصلي في الصباح

صحك وعسى «ليه عريز» معنى تدله كل ساعة بين أيديك، كان  
أصننا حالاً وغم سكره البيس، مضينا يبحث عن تاكسي يقردها إلى المدينة.  
وقف في منتصف الطريق وواجهها قائلاً

يا صديقي إنني محصور تماماً ساعة وأنا أقوم مشاة تكاد  
تنفجر، وذلك تظهر لا يلبق، وتزمت لا معنى له، وما أمتع أن يتبول الإنسان  
في هذه المدينة من ارتجاع شاحن كهذا  
ومضى في الغلام

١٩٩٦ / ١٩٩٧

## الغربة في شارع كثيف الزحام

و... إلى طاهر البدرى

١

ظلال شاحنة في مطبوعة سينة السمكة

ما أطول الطريق، ما أحسن زحامه أن تبدأ رحلة بلا سبب أو هدف  
ذلك هو العذبة، تبحث العين عن لحظة فراغ تسرح فيها حلا نجد كتل  
البشر جدران صماء، وتحلم مرة أخرى بالفراغ السعيد، معنى يكف القلب عن  
الحلم؟ كفانا ما حصننا من هشيم، تأمل هؤلاء الناس، كم كان السير وسط  
مراكبهم يوماً مشوة القلب والروح، أحب من الحياة، أشهى من القبل ويقون  
إنسان قديم يحتضر داخلك: ذاك كان زمن ومضى، ويقول رأسك اللثام أبدا  
بخبر أسوم حنن تعود قدماك المنهكتان يقبض الريح؟ تكب العمر  
بالأحلام، وليكن لنا في راحة اليأس ملجأ في زمن عثرت فيه الملاحة

يبد أن القلب يخون رغبتك في راحة اليأس ويقود الأقدام، المنهكة  
مع هذا الصديق القديم، إلى أين؟ لا تدري، وتسر دون سؤال، وربما قرأت  
أن عذاب الإنسان قد بدأ بسؤال وعشت تعيش علامات الاستفهام، والرحلة  
بدأت معربة، وما هي تتحول إلى عذاب، وهو يستحث أشرفك الحامدة

للمجهول. لنصير قليلا، قري جاد الزمن يلحظة مسرة تعرض القلب ما  
بمانيه من خيبة.

كنت قد حفظت صديقتي كما أحفظ جدول الضرب، ونشيد بلادي  
بلادي.. ولون عيني زوجتي  $9 \times 7 = 63$ ،  $8 \times 8 = 64$ ،  $4 \times 4 = 16$   
بلادي. بلادي. لك حبي وفؤادي. مصر يا أم البلاد أنت غاييتي والمراد  
وعلى كل العباد كم لنيلك من أبادي. عينا زوجتي وأستار سجايتنا  
اللون. انديهما رزق كسطح بحر في مثلة شمس. بيصهما ناصع.. هي  
لحظات الكدر تشربه عكارة كالرماد. صديقتي وصاير سعيد عبد السلام  
انكرواني.. أحفظه منذ خمسة عشر عاما. عمر عذراء صغيرة كالينت  
الساكنة أمامي. عرقته ضاحكا وعابسا. عاشقا وزوجا سجييا وطليفا  
مريضا يرق السعال صدره. متديله الأبيض يعود مبرقعا يقع دم أحمر قان  
حكى قصة غرامه قصيرة كالنقرم كانت قصته نظرة فابتسامة فكلام معرم  
فزواج فسجن فطلاق ففراق. مررنا معا بين صغبي من العساكر تتحرك  
عصبيهم العليظة تنهوى عليا ضغضا كان. طويلا عريضا وجهه طفولي.  
كذلك قليد يوم ماتت أمه بكى. أكره البكاء في الزحام. أحبه في سكون  
الوحدة أنحيبت يومها عليه قلت

- تهمني يا تعرف. وها أنت متليس بلحظة ميتة ميريقة.

ابتسم ابتسامة محزون قديم. قال.

ولكن العين تدمع. وانقلب يحزن

وبلا القاري. في ركن من رأسى وأيسما تكوموا يدرككم الموت ولو  
كتم في بروج مشيدة قلت. نحن عراة نأما فأين ومن البروج المشيدة؟  
حائط واحد يستند اليه يا أولاد الكلب. الرصاص ينطلق وما من ساتر.  
والصواعق تنزالي وما من مانع. السيارات سارحة مسرعة. تدهشنا تقضى  
عيسا. لحظة أمام واحدة، ذهب ومن النوم المريح. ومن الذي يبهك الي أن  
كلمة «قرر العيني» لم تعد تبنيحدم؟. صديق في المصحح النغوي. ألقى  
ذلك. فكرت أن أقوم أمشي في الشارع أسمى نفسي «عمر قرر العين

لدهشان». أحمل جدول هوية بهضاء. درشة ضخمة. على أرض الشارع  
أكتب على حائط ليثما أكتب: «أريد أن أمام قرير العين». وعاش اليوم  
بلا كوابيس» يستقط يفوض الأنواعليس ودباب التسي تسي. قرأ لقارئ  
والصابرين في الثأب. والضراء وحين البأس. أولئك الذين صدقوا وأولئك  
هم المتقرون». أغضت عيني قلت أنسى في حاجة إلى حبة من منومي  
المفضل. وؤدس مليئة بالهم. وعيون أدبها السهد. شهوات منطقة بلا  
رقيب. جرائم تدبر وما من مراقب. ومخير يسرح وراء فكرة خيرة. لاقتات  
مرهقه كوقى. رقصي. درسي سح. بلتكن لي لاقته. يد تحبط ردق  
سارحا كقبة ولي. ومرفق يحتك بهد سم يعرف عيث العائنين بعد. حبر فوق  
دراجه بدودها يهلوان يخشق ابرحام. أقواء راعقة تعرض بصاعة. ومن في  
مشر اثنان على ليلة عرام في ركن شيخ يبحث عن مسجد يدر أن يصلى  
به صديقتي يعاتب فكرته العربية يوما سألني وها هو يعيد السؤال

- هل طيمت لنفلك بطاقة زيارة؟

ببيت ذلك دهشا قال:

هذا خطأ جسيم. يجب أن تكون لك بطاقة «كاره ميزت»

صحكت. شقيا الزحام نصيبي. احتلى عن عيني.

اثبتت الساكنة أمامي في خطر لو أملك الشجاعة كي أحلها من  
الغضب بالنار ولكن ما شأني. ليلة قلقة فشل النوم في أن ييسى عشه  
المشاشون كما غشوا كل شيء. وقفة حائرة بالشرقة. أه طفلة صغيرة نقر  
لي شرف رجل في ظلام الليل. احتفيا في الداخل ظلمت واقفا حتى عادت.  
دند النهذ الطفل الذي لم يتعد عامه الثالث. كيف تعصره في الظلمة كف  
سحابة؟. هل تلك الجيوت لتصرخ مبعجبا؟.

دجاة وجدت وصاير. إلى جوارى. قال:

- لا أحد من هؤلاء له بطاقة.

فكرت في أن النوم الذي أحده عدد مفعوله. (بدنا بالليل يوم ١

ملليغرام، ثم الليبريوم ٢٠ مليغرام، حبة صغيرة تحت اللسان تدور بدو حوضه تستغل تحت الجلد. تمسح الأعصاب. تهدئها بيدو النوم قريباً يختفى دباب التمس. تموت على سطح الزجاج بقوضة أنورليس حقيرة أكتائب. أضغ رأسى تحت لوسادة أنام، أنتهيا بالفاليريم. حبة بيضاء سمبكة وكوب لين ساحن فى اثرها ضحك على الحجاب الحاجز تكسل الحجرة عن النطق به. ألقامة بلها، ليلهب كل شئ إلى الجحيم، الماضى والخاصر والنسقين ملعون فى كل كتاب الحزن والقلق والحقوق. بدنا بالليبريوم ١ مليغرام فى سيجن القناطر سنة ١٩٤٩، وأنتهيا بالفاليريوم وكوب الدين الساحن «ربواك جلال الدين» فى ١ ديسمبر ١٩٦٦ تصديق حاد

عاد «صابر» من كثافة الرحام :

- آبن انت يا رجل. ه رايك فى موصوع البطاقة ؟

- معى بطاقة هانية فيها اسم زوجتى وابنتى مكوت فى إلعائها حمت أن بعض معرفنا فى السكر والزيت.

صحك سمبكتة عالية كطمل بكرو الاصول. وضع دراعه فى دراعى (أمس عاتيسى روجنى، لأنسى عندما يسير معا لا أضغ دراعى فى دراعها عجيت لأنها تهتم بذلك. قالب أوب ما عدت تحبسى قلب لسا أطفالا صغاراً عديشسى سمبكتة. سرح الكدر ومديا فى بياض شوبنها الناصح. قالت لم تكن يوم صغاراً. وكنت لا تترك يدى، ولا يخف ضغطك عليها بل برداد، فمدا حدث ؟ عذابا بدا بعلامة استعهام شوتنا بدلت بها أيضا كاسما قلت الدنيا حر أخشى أن تعرق كفى على دراعها)

ها هو ظلى يسير إلى جوارى. ترحل الشمس الآن وتولد فى الصباح معن ترحل دون أن تولد. ذلك الظل من لى بتحديد مثل تحديد ؟ وكيف يبنى أن يكون له هذه الخطوط خاده ؟ حلاهاى لا يجمعها شئ. قال

- ولكنك لا تستطيع أن تلقى بطاقتك العائلية ؟

خبرنى واحد بكتفه وهو سائر دهضب لأن لى كتفا لمجسته عرجا بوجوده. قلت:

- ما معنى أن تكون لك بطاقة، فيها اسمك وتاريخ ميلادك وبصمتك ؟ هذا شئ مسخيف جدا.

سعل سعلة أحول من المعتاد تعاودنى القلق القديم. قلت إن رحمة أدركته قبل أن يقضى عليه الداء. وإلى منى بمحتمل صدره انعطيل معاناة الحياة ؟ ه هو بيدو قويا يذب فوق الأرض بعصف. كأن الموت لم يسكن صدره شهورا طويلة. شاهد على أن الحياة قاهرة انحاء منذ القدم لكن محكمتك لا تؤمن إلا بشهود الزور.

\*\*\*

(بالقرب من القلب الطبيب احتبأت يوم منجمرات الموت. سهر أكثر من طبيب يعهد الحالة بقل. يومها شمت رائحة الموت. ما أنص أن تموت عربياً دون أن تنوح عليك امرأة، يتميم قلبها بصراخ الاحتياج: يا سبى... يا سبى... يا حارق مهجنى. فى العربة تموت، لست سبعا ولا ضيعا تبثل فرجا صدور الكلاب. يصيحون - ميروك، أنتهيا من واحد مهم. العصى لن بنى فى فناء السجن عدت اجتماعات سريعة تحت نظر الحراس. تبادل الكلام همسا وتحن فى الجبل يوماً قال واحد بجوارى.

- سيكون كلامها حقاً إذا صحتنا. لا يد من نقله إلى المصحفة.

تحدث واحد عن العقل. قال آخر ضحكاً رقعا فى يد من لا يحافه ولا يرحمنا. ثبت «حلمى» نظارته الطبية بعد أن انزلت بالعرق قال :

- كطبيب أصرح أنسى لا أضمن حياته إذا لم ينقل إلى المصحفة.

عاد يسبح نظارته من تراب الجبل. رفع «الأزمنة» هوى بها على الحجر الصلد حملت «القطب» على ظهري لأعو، بالحجارة المتكسرة قال

- أمس منهوى من الدحول إليه يريدون إخفاء حقيقة المرض عما



قلت : نناقش الأمر في المساء وما يتفق عليه بنقل

في الظهيرة خرجت لأعود بالعلاء الأرض دمال ساخنة. فدمى العارية قدوس حصص كالجمر. لا سمحة هواة قطة برية تهش لحم عصوي من الرنحة أمام باب المشرحة. ذباب دأنخ يلبو نحاس يطير في سرعة هستيرية. نظرت داخل المشرحة عبر حصص نافذتها كانت مظلمة مليشغ بأسرة قديمه. ارتجف جسدي فجاء برعم خاتق. سكن القلب هم مقيم. تركت الدلو أمام باب المستشفى. قال : «لشاورش متولي»

- إلى أين ؟

هندي اسهال

مستقريباً. قال

- إمش عدل، إلى الأجزاء حوالي

وصحت السبجاء في يده ابتسم ابتسامه لص محترف. نلت إسي لن أذن حتى المساء لم يبد ذلك مهما لحظتها. لحبت تدور السريع قبل أن أصل إليه حظاً باحلاً قد كان. ساقاه ربيعيتين كعصوين من البوص. عينا غائرتان كأنهم لا شيء. شربه الكث يلتهم بصف وجه عروني الرقية بارزة. ما أشرفه المرض. وكنت تبهث دائم عن «أمتا العولة» كما صورتها حكايات الصبا فتأمن ما يمكن أن تفعل بالنجم الخي. ما كاد يتكلم حتى دهشت بوبة سعال متصل انشعبت عروني الرقية. كادت تنفجر. قلت

- لا تتكلم.

دهشتي رائحة «الديتول» كرهتها من يومها أصبحت رمرا للقيام

قال:

- لا أمل اتسع ثقب الرئة اليسرى.. وليلة أمس ثم أتم لحظ

واحدة

عاد لهاته يتراجد. محاولاً الابتسام قلب .

- لا تكن ثقيل الظل. دور ثلاثة مسلم عليك. وقد طمأننى «حلمى»

أمس. فلماذا اليأس؟

- بضائى كله دم أحمر. والحالة أوشكت على الانتقال للدرجة

الثالثة .

حقق القلب موجعاً. صداقة العمر توشك على الانقضاء. لا أمل من أن سمع أدن سرخنا في هذا المكان القروش. وسط الكلاب يعيش من يجدا في ظلمات الليالي؟ إن يبدو هراً أن تحمل مصباحاً وتذهب إلى أدار لتسبح في عر الظهر تتشمم ويبحث. فإذا سلب فتجيب بأنك تبحث عن إنسان. ستبدو مكتة لكننا في زمن صحكه كالكاء. ابتسم ابتسامه قصير. قال

- أكره أن أعذبكم معي.

تريد الهمس في المساء. جاء واحد من دور ثلاثة يسأل.

- الزملاء فوق يسألون عما ستعملون.

قال «حلمى» متجهماً

في الصباح ستقول لهم.

تأملت وجهه الصلب بأمل. قلت إنه يستطيع أن يفعل الكثير

كان عقلاً محصاً حتى ليخيل إلى أنه لم يعرف البكاء أبداً. وعيماء رغم الزجاج تبدو كاشفتين. في وجههما يستحيل الكذب. قلبوا لامر بحثاً وشرحا كتب منهما حبس مائه «مقطب» من الهجرة. كتمى مؤلفي تابهت المداخلة ساكناً. تحدث «حلمى» عن تطورات المرض. سأل واحد أكان مريضاً قبل السجن؟. لعن أكثر من صوت الأسفدات الباردة والنواذل المقترحة وزمهرير الشتاء. قال آخر: والقطاء المهلهل والتماء السين. وتساءل عاشر. ومشتفى السجن؟. «حلمى» بصوت حاسم : زوت وقطران. مستشفى بذاتى لا يصلح لعلاج الدوستاريا نكيف بالدر؟ الاسم مرعب. سرحت أثناء المناقشة إلى قريقتنا طرت. أكلت مطيراً وحسلاً أبيض

مع أمي، ليست زوجتي ملسا رقيقا بدت فائتة فيه، خرجت إلى الشارع  
تدور بعض القريات. عدت من ليرتي محملا بالعباءة وكومة من الهموم،  
كان القرد يصاغ. قال «حلي»:

- سأبلغ المأمور عنا أننا سنضرب عن الطعام إذا لم ينقل «صابر»  
إلى الصحة خلال أسبوع.

وافق الجميع. تسام أكثر من صرخت، وترتبات الاضراب ؟ قال  
سيقوم بها «عمر الدهشان». صمت لحظة قال:

- أريد تلويضا بأن أتعامل معه حسب الموقف.

طلبوا توصيحا، اقتر شاره الكثر:

- يعني إذا قلّ أدبه أو طالت يده عامته بالمثل.

راحقوا بعد مناقشة مرهقة!

\*\*\*

انشق الزحام عن لافتات متشابهة: «ماتى الحرية»، «مطاطرى  
المشهد الحسيني»، «مكتبة محمد علي صبيح وأولاده»، «الستر»  
والجامعة الأزهرية. قال صابر:

- أيها الرجل القاليومي، إلى أين ذهبت ؟

- آ، كنت أفكر في «حلي»، ستحضر استقبال «نوال» في

المطار غدا ؟

- طبعاً، لا شيء ورائنا، ولكن قبل ذلك يجب أن تكون معنا

بطاقات.

رفقنا شرب عصير قصبه كان غريب الرائحة، ذكرتني لدغته بالحمر

الذي كنا نضعه في السجى كادت معدتي تنقلب، ما أشبع كل هذا،

قلت

- تتكلم كلاما غير مفهوم، أوهقتني متابعتك.

- أنت رجل قاليومي وهذا يكفي.

نلعت ضائقا

- لم أعد استجيب له، وأمس سألت «حلي» أن يجد لي بدلا عنه،  
صاح ساخطا أنني أستغله استغلالا سيئا.

ضحك ضحكته الجهوية العالية، نظرت إليه بنت بلد يدهشة، عاقت  
عيني بعينها شاقصتي حيوتها ودعوة عيت برى. من نظرتي قال:

- ولكن روجته، باعتبار ما سيكون، هي المسؤولة عن تحويلك إلى  
حالة القاليومية.

أطربها النسيم، نظفت للفتة «البوشيش»، والدغمة وهي تقول  
«البيروك»، حكمت زوجتي بأنها مدعية رفاقية. التفتت بها أول مرة في  
عيادته، دنمها قنلا.

- مدم «نوال جلال الدين»، صاحبة معمل لرسم القلب، وتحتكر رسم  
القلب لمرضات.

انصت إليها قنلا:

- وهذا يا ستي «عمر الدهشان» الذي حدثك عنه.

ابتسمت ابتسامة واسعة، قالت:

- روى عنك «حلي» الكثير.

- خيرا !

- إلى حد ما، وهو يقول أنك أطرف من يسكر في العالم.

ضحكت قنلا:

- غيبة وغيبة لا تصدران إلا عن واحد مثله.

- سمعت أنك كنت تسكر بمسيل أسود مخمر، فما رأيك في

الويسكي؟

- أموت قبه.

يوما في الهاوية التي تنمر فاها لتبتلعها وتبتلعها . وقلت يوما أن عمل زوجها معروف . فكيف غاب ذلك عن «حلمي» . سألته . قال :

- هذا شيء قديم . . . وقد انفصلت عنه . نحن أبتاء اليوم .

لم تقنعني الإجابة . ليلة غاب الريسكي بوعينا ضحكنا كما لم أضحك طول عمري . كذبت ألعب لهم الوسطى لولا لحظة صحو طارئة . ألفت شعرا حزينا تحدثت عن فلسفة الحزن ، وعن أمي التي علمتني أن أبكي وأنا بعد طفل . كانت في قميص نوم شفاف تتدبح أنوثة وحبوبة . صاح «حلمي» ذاتنا بعناية الشعب . ضيقتهمسكرانا يكذب لأول مرة في حياتي . نالت .

أنا حزينة . أشعر أن «صابر» يكرهني لا يقبل على سهراتنا .

- «صابر» إنسان جاد أكثر من اللازم .

- .. عملت ضدكم سنوات . لكني لم أكن أعرفكم .

كانت الليلة تشجع على البوح . تحدثت كثيرا عما فعلت . ستبشعته أبعثني ذلك كله . قلت أننا نحتصن جلادينا بكل غياب . لماذا حدث ؟ ولماذا عندما قدرنا على المقاومة قماما . وعدت من الحمام . بعد أن تقيأت كل ما في جرمي وغسلت رأسي . قطعت عودتي مشروع قبله . نعت رجعي متجاهلا . قالت حزينة .

- ومرة علمت أن واحدا من الذين عملت ضدهم قد مات في السجن .

قيدا عذابي ..

حط علونا الصمت . يده تمسك بشعرها . تماهت . استمرت .

- وظللت أسبوعا لا أنام . . وأصبحت بانهايار عصبي كامل .

طلب منها أن تصمت . . استمرت :

- ولولا «القاليوم» ما استطعت أن أنام . .

من تلك الليلة عرفت «القاليوم» لأول مرة . فيها للظفاعة



قالت وهي تتصرف .

- عال . . سأنتظرك مع «حلمي» غدا . .

قال «حلمي» مصافحا :

- ها أنت ترين أنه خيول . والواقع أننا لا نعرف شخصا اسمه

«عمر» . نعرفه باسم «عمر حورية» نسبة إلى زوجته التي لا يسير أحدها بدون الآخر . .

وجهت الدعوة إليها . . مصب تاركة عبيرا طارحا في الغرفة . قلب

صاحكا :

- يا ابن اللبنة . . ولماذا لا تشاهد دعوة لزوجتك ؟؟

بضحكة عالية . قال :

- دعوت «حورية» لكي أخص ألا تنافسي أنت !

هكذا دخلت دنياها . ذلك الوجه الآخر من الحياة . كيف عاب عنها ؟

ها أنت تكتشف جهلك بالكثير من الأشياء . وحتى في عالم النساء تدين غيبا وأحمق . فلنتعلم مرة أخرى كيف نعيش !

بنبرة ساحرة قال «صابر» :

- سيكون زواجنا رائعا . . تعود «سوال» من بيروت غدا . بعد أن

حصلت على الطلاق من زوجها

- وفي الشهر الماضي طلق زوجته . .

- شيء جميل جدا . ألم تفكر في زيارة مطلقته ؟

نهضت بغيظ قائلا .

- «حورية» معها باستمرار . . وعندما رأتهني أسعست كلاما

قارصا . . ما دنتني ؟؟

لتعلم أنك كاذب . كان يتدهور يوما بعد يوم وأنا معه . لم أفكر

اشعلتُ سيجارة. اقتربت محتميا به من سيارة مسرعة. قال .  
- روت مطلقته هذا الأسبوع . رُتبت لها شؤونها المالية. صدقنا  
بصرف بندالة حقيبة.

دأمت عنه دعاءا صغيها. قال

- إنه طبيب معروف، ومكسبه كما تعلم.. لكنه يريد أن يجوع  
أولاده ومطلقته ناسيا ما تحملته من أجله ومن أهلكا  
- لا داعي لأن تشترك مسائل خاصة بمسائل أكبر منها وأهم مراحل  
ضحك بشده، وجري فدخلنا «كفر الطماعين» قال .

- هذا ما قلته لها وقد وافقتني، وقالت أنها لم تنتظره، ولم تكن  
تضحى من أجله فقط، لكنها فعلت ذلك من أجل أشياء أهم.

شعرت براحة مفاجئة قلت أن هذا يوهر علينا الكثير ومنذ متى  
نسيتا هذه الشوارع الضيقة المزدحمة بالجوع والعقر والمرضى في هذا الحي  
يقطع الشعب الذي تعدى به كثيرا وكيف تنكر أمك رائحة حياته القذرة  
هنا يموت رجال من نقص الزاد وهجوم الداء ويقتل الرجل أخاه من أجل قرش  
واحد كما تروى الصحف أحيانا. لكن ذلك أصبح مجرد كلام كمصوغات  
الإثشاء التي كنت تأخذ فيها الدرجة النهائية. فدفعت امرأة بلاء قذر جاء تحت  
أقدامنا. تأملت خلفتها المشوهة والقذرة في أقدامها. قلت : لا مسرة لأحد  
هنا واليوم مع هذه المرأة لا يمكن أن يكون شوه، ولكنه عذاب. قال.

- ولكنها (أعسى مطلقه «حلمى») قالت أن الموافقة على الجرائم  
الصغرى، يعنى الموافقة على الجرائم الكبرى..

تدبرت الجملة مرأت. وقلت إن شيئا لم يعد يهمنا

\*\*\*

أومى كل مرة تنتقل البست الساكنة أمامى عبر الشرفة إلى حجرة نوم  
جارها أظن أنتظر عودتها بقلق وفي الصباح أتأمل حياها النصر. وأعجب  
كيف اتركها تحدر ومرة حدثنى النمس الأمانة بالسوء. أن أقاسم صاحب

- ١٣٢ -

الشرفة مكاسبه. شرفتها وسط شرجيها والذي ينتقل إلى شرفة ليمنى.  
ينتقل إلى شرفة اليسار. وقلت أننى استحق عن جذارة لقب الوغد

تعا في الشوارع الصيقة المنقصة التصله، كبيت جعا وهو يسأل  
عن عوان. قال:

- وانا أناقشه مزحت معه مراحا ثقيلًا.. اقترحت عليه صياغة  
ميشرة لبطاقة الدعوة، ولكنه زعل.  
أعرف أن مزاحك قاس.. ماذا حدث؟

فرمان. ومع ذلك فهى مجرد مكنة. لم تعرف الزواج التلايدى.  
أهلك يا زميلة. وأنا أيضا. ما رأيك في أن نخرج ؟ لا مانع. حتى يذهب  
أولاد الكلب ويلقوا بها في السجن. وفي نفس اليوم يذهب للمأوى. وبعد  
شهر تكون أنت في سجن أبو زعبل وهي في سجن القضاير ويبحث عن  
شاريش جوعه أهم من وظيفته فتتصل المودة برسان شرابية. ألم يتزوج  
«حلمى» أول مرة بهذه الطريقة.. فلماذا بطبع بطاقات دعوة مدهية. وهو  
يتزوج من امرأة سكند هاند؟

ضحكت قائلا

- أنت أفسى مما ظننت.

- أنا لم أفعل له شيئا اقترحت عليه أن يكتب على خلاف البطاقة  
«دواج زليخة وعاشور» فأثار مشكلة كيف يكتب مهمة «نوال» في  
البطاقة هل يزعم أنها مكتوبة كما يفعل ؟ أما أن النقابة قد تعلم أنها  
ليست كذلك، فاقترحت عليه أن يكتب تحت اسمها: من أحدث بيوت الطبقة  
الجديدة ولوى بوز

تقدمنا غسى . زليخة بتحب «عاشور» .. و«عاشور» يهيب  
«زليخة»

- بين نحن داهيان !!

- أهرق مطهرة هنا.. أريد أن أطيع بطاقة باسمي..

وهذا :

- ما السبب ؟

- لا بد أن يحدد كل منا بالضبط من هو ؟

قلت أنه قاص. ولكن قسوته تعتمد على حقيقة ما أنحدر إليه جائنا

لكن من الذي يستطيع مقاومة لحظات الضعف إلى الأبد.

\*\*\*

انتشاجر «حلمي» مع المأمور بسبه. تبادلًا مباحًا مقدما. ضربه  
العساكر بالأحزمة الجلدية السمكية. عاد دامي الوجه. شُئت شفته السفلى  
لم تزل آثار الجرح واضحة بدأ الإضراب. في اليوم التاسع منه. قال المأمور  
سنتقل زميلكم إلى المصحّة فتناولوا طعامكم. صممتا ولم يرد. كان قمي  
ملحي ساعدها. بليت لاني بالماء. أشعت برجيي عد في اليوم العشرين  
جاءت عربة الإسعاف. نحسنا على أنفسنا شاهدتهم وهم ينقلونه على نقالة  
مستعيلة كنت ضيقا لا أكاد أقدر على المشي. سرت بجوارحه «حلمي»  
معنى قال «حلمي»

- شدّ حبلك. لا تستسلم للأوهام حالتك عذبة. وبالرعاية نسرده  
صحتك. غامت عيناؤ. انقلب لرنهما بياننا كله. هز رأسه باهتمام شاحبه.  
قال:

- إسرع.. عتدي عشرو قيراطا في البلد.. إذا مب. ف.

وضعت يدي على عه سمته من الكلام. شوجت بيدي مردعا كان  
العروب يهبط رانيا على قناء السجن. والشمس قانية عصابير كثيرة  
تتقابر هناك أحميت وجهي في حائط. ونكبتا

\*\*\*

لافتة ناحلة فقد سوادها لعتنه. كتابتها البيضاء باهتة فرأت  
بصعوبة ومطبعة العذالة الكبرى لصاحبها محمود المهدي. الرجل أثر من

١٣٤-

عهد يائد. على صندوق الحروف اتحنى. عينا الضعفتان محاطتان بنظارة  
سميكة. عندما قام اكتشفت انحناء غير يسيره في لامتته. والمكن رطب  
ومظلم وموحش. ماكينة النص في الركن الأيسر. عاد إلى ركنه معسائلا  
عسا يردد قال «صابر»:

- أريد أن أطيع «كرنا» باسمي.

- حرف أم أكليشيد ؟

- حرف.. ١٨ رقعة أبيض..

لم يتحرك من مكانه. عاد للقاطه مواصلا التقاط الحروف. قال  
- العلبة ١٤ قرشا. وكل مائة زيادة بمشرة قرش. عندك قلم. أكتب  
الكرت..

اتحنى صابر على منضدة صغيرة بجانب ماكينة النص. كتب

صابر الكردي

ثائر سابق - حاليا شيطان أخرس

١٨ شارع مراد - الجيزة

ابتسمت مذهولا. قلت إن الجنون يدهشنا. ناولد الورقة. لم يد يده.  
قال:

- اقرأ وصاحظ.

سمع بهدوء. استخرج الكلمات. قال :

- نحن نأكل عيش يا أستاذ. هناك «خمار» بجوارنا إذا أردت  
الفرشة.

ذلك الجنون كيف يتساقط عليها ؟ وقدما لالوا إن رؤوسنا اخطر ما  
فيها. فبه للكائنه التي تاكلنا

سعل «صابر» . قال :

- ولكنى لا أمزح يا «أسطى محمود»..

ترك الرجل ما في يده. التفت إليها. قال وهو يلف يده حول رأسه في  
حركة دائرية .

- هل حضرته .. ؟

قلت ضاحك

- لا .. ومع ذلك ما شأنه أنت .. أطيع له ما يريد.. وخذ نقودك..

دعانا للجلوس على دكة خشبية بجواره. قال

- كيف يا أستاذ ؟ لا بد أن أنهم. ما معنى «نائر سابه»- هل

حضرتك وفدى ؟

- لا ؟

- أنت أصغر من يكتبه. ولا أذكر أنى رأيتك بين عمال النصارى

أبدا .

ناقض الحوار. قلت :

- ألا يوجد ثوبون غير هؤلاء يا عم «محمود» ؟

ضحك الرجل وقال :

- هذا عن أيامنا.. أما أيامكم. القصد.. حصرانكم إيه ؟

صمت في أدنه.. ابتسم قائلا:

- آه . أنتم بترع الخير والخير. أفلا (ثم بعد لحظة) ولكنى أسف..

إن أطيع الكرت.

- لماذا ؟

ملطعتى سبحة السمعة. تدهبها الشرطة في كل وقت. والكرت

مريب.

تسألني عما أساء سمعة المطبعة.. قال .

- طبعنا بها زمان منشورات «اليد السوداء».. و «جماعة

الانتقام» وكان «أولاد عايت» يجلسون هندي قبل أن يقتلوا السردار .

ألف وجمعة ونور على الجميع .

- ولكن هذا تاريخ قديم.. فلماذا يلاحقونك ؟

ذاك شأنهم . والادعى من ذلك أننى عندما كبرت وأصبح نظرى

على قذى جثت بين يمينى على العمل فزاد الطين بلة..

تسألني عنى. انحنى فأخرج نصف سيجارة. أشعلها. قال

- طبع بدون علمى كتاب «رجوع الشيخ إلى صباه ووصفات لقوته

الباه» وأخذ يوزعه. فكيس برئيس الأدب المطبعة.

جعلت ضحكات «صابر». نظر إليه الرجل دهشا. قال

- لا تزعج يا عم «محمود». تصحكنى أحيانا لهابث الهازلة

للأشياء الجادة . ولكن لعبها لا تكوى نفس الحروب التي طبعت بها

منشورات اليد السوداء.

قال الرجل مبتسما كأنه أدرك النكتة .

- لا .. لأخرى راحت.. هربت واحد منكم أيام الحرب.. طبعت له

ما جاء به. وطلب صندوق حروف ليشتريه فأهديته صندوقى القديم.

تزايد صيحات «صابر». قال

- أيها الرجل العجوز كيف لا تعرف «صابر الكردانى».. هل أذكر

لك علامة. حرف العبي كان ناقصا سبع قطع وعُدت بتدبيرها ولكنى لم

أعد مرة ثانية .

رجع الرجل رأسه. بان على ملامحه معاناة التذكر. صاح

- أهو أنت ؟..... يا مرجد.

احتضن كل منهما الآخر في شوق. وولت أنظر إليهما حائرا

\*\*\*

إلى الزحام عدنا. أقبل المساء على استعجاب الزحام عتمة متحركة

صمته طويل أطول من المعتاد. أشرت إلى محطة الأتوبيس. قال: «هل نسي». مستنفع زوجته عابسة ونقوله: لك بيت فكيف عن التصعلك. قبت بالليالي دون أن تمنع. ذكرتها بذلك فالبس كان وراءكم ما تضمنته. أما الآن فالتصعلك مريب. شغفتني أنها بدأت تعار هذا الأمر مبهجا في البداية أصبح بعد ذلك مزعجا. أحيار الانتبهارات تتوالى. الهبوت التي صعدت لمراصف الزمن فاجت منها رائحة العفونة. قالت مرة. فقدتم الكثير حقا ولكنكم ماكرون للجميل. قلت. «حورية». لا تبالى. حوادث فردية. والطلاق يحدث كل يوم فمهمب أنتم تطلقون كل شئ. بعد الانتظار الطويل: فمهمب كان لبعثا. لماذا يطلق «حلمى» روجه من جل هذا الشئ. «حلمى» «موال»؟ تمنعت وقتلت التعبير قانون الحياة فلا يزيدى تعاسى وضعت الكرم على وجهيتها ودارت مقدمة كفها تنشره في حركة دائرية قالت. ولكن الندالة ليست قانونها. تابعت اهتمامها بشجميل وجهها راثيا التفكير أصبح عملية مرهقة. ماذا حدث لنا حقيقة. لن تنتهى علامات الاستهلام حتى تصيبك بصلب الشرايين. وغدا ستقف في صالة المطار تنتظر عودة «موال» بعد حصولها على الطلاق. وستجتمع بعد غد في حفل الخطوبة سيكون طريفا في أدعو أمى للتعرف بها. وكيف تتصرف العجوز الريفية مع امرأة مثل هذه؟ أوف. صدمنى رجل مار. قال «صاير».

- قررت أن أعود للعمل.

- أي عمل؟

بضحية ساخرة قال

- لم يكن لنا عمل سواه.

تهدت. قلت

- لا تجهي المخاطر طيعا.

- وهل جهلتها يوما؟

بعد لحظة صمت

- ما وأبلد. أنهت الأمر معا ؟

متهريا من عيبه قلت .

أفكر ثم نصالح ..

٢

أما أجدكما فيعقني ربه خيرا.. وأما الآخر فيصليب

انزلت قدمي على الرحام اللامع قلت ها نحن بفشل في أول احتبار لنا. سنطرد من هذا المدرس بتهمة الجهل بأدابه العظيمة. ومن السهل أن تسأل. ولكن كشف الجهل يبدو معة. ولنزوح لهذه الليلة، قمها دخل سليل كنوز القنوية «الهيكتور» لأول مرة. وألقى اختار اسم قاعة «آلى ليلة وليلة» ذؤانة حبيب. أما كفنا أمى فقد ذهبتا خضرة لا تزول. عشرة أعوام تعجن فيها روث لماشية. ممن يقول هذه الحقيقة الآن؟ ولستدع قدرتك السابقة على التحدى والاستهانة. إذ داك تستطيع أن تصق على هذا المكان. تحقره. هل تستطيع أن تعمل هنا حقا؟ كان ذلك ممكنا في الرمان الحلى. في الداخل كانت قوة تحد كبيرة. ممن يعبد ما فقد؟ قدريا أن يدخله لا غازين ولكن مهووين. ملتحقون جدد. لن تستطيع بعد ذلك أن تزعم أن هذا المكان لا يدخله إلا اللصوص ومصاصو الدماء. فهذا كلام يبدو كالاكندوية. وهل تسعلك الناكزة الآن باسم ذلك الرفيق التعمس الذى اقترح مرة أن نحمله إلى مستشفى للشعب؟ ستكون نكتة رائعة لو انتهى التفتيش بأنه «حلمى» نفسه.

(يوم عودتها صهرنا لى «سترو المطار». انحت على ترد تهنتى بحصولها على الطلاق. ثم سألت :

- كيف حال زوجتك ؟

أشعل «حلمى» سيجارتها. قالت :

- كيف تخاطر امرأة بجمالها في عملية سفينة كالحمل ؟

تعلقت ضحكة «صابر» الريفية لغت البنا الانفجار. قال :

لهذا تتزوج النساء. ونحن لديك رطبة أخرى لننمك.

«حلمى» بهتت. لم يطلع من إحتفانه :

«المضحك» ها أصول يا سيد «صابر» .

ابتسم كيوانه الضخم بسمة ساخرة.

- طبعاً .. تزيد الأصول دائماً في المستودعات ومحطات القمامة

صمت كلاهما. قالت «نوال» معبرة الجو :

- هناك فرصة سانحة لعمل مريح لك. ما رأيك ؟

سأبذل بهمة .

- أين ؟

- شركة جروول أمريكية تعمل في «الكويت»

سألت عن التفاصيل باهتمام آخر مجز حقا وعمل قليل. أبعير

النسرة ما يلاً انقب من حيرة ؟ أنتستطيع هاك أن تجد اليوم المريح ؟ قالت.

- أمامك وقت لتفكر .. ولو لم يانع «صابر» يرسى أن أدير له

فرصة أخرى :

تناول رشقة من كرب الماء. نظر إلى الراقصين في «الليست» قال

- فكرة طريفة .. وأمس لعن وعملك محصور «الزمان» الذي جعل

مطبخته تيداً باليد السوداء وتنتهي برجوع الشبح

اشحت برجوى ثم تردد. تظاهرت أنها لم تفهم. أستاذ «حلمى»

وقاما يرقصان. تأملت جسدها النارع ملتصقا بجسده. قلت إن مقاومة ذلك

كله ليست مستحيلة. ولكن أين القوة ؟ قال «صابر» ساخراً

- أفتنك بالوطنية الجديدة .. متدوق أموال الاحتكارات الأمريكية

قبل أن يموت !

في رحام القاعة تبدو الحياة أكثر مرحاً . وتأمل هذه الكوكبة من

المسك. غابت عن العين كثير من المسرات. وهنا العطر الفركاح كيف غاب

عن معطيك. ولا تلمع العين إلا عبداً قليلاً من زملاء الزمان الماضي. فهن

تجاهل «حلمى» دعوتهم أم أنعدتهم رهبة المكان. ولو كان هنا. أكان

يدعوهم؟ أه كنا ضحكنا حتى طفرت الدموع.

\*\*\*

أويوم اختفى كان يوماً كابوسياً فعنى نزول مرارته. بلا مقدمات على

الإطلاق. هبت النسي راجعت الشراهد بعد ذلك مايقنت أننى كنت خبيثاً إلى

درجة المحاققة. أين اختفى خطر الزمان الماضي. كنا بشم الخطر على بعد

أعيال. ولكننا تعيش عصر «القالهوم» قلعة الله على كل شيء. ضغطت

على الجرس متأملاً اللاتئة التى تحصل أسسه. باهتة لطول ما مر عليها من

أزمان. وضعت لأول مرة في عهد الطلب بالجامعة. وبعد كتاب أشقة مقرا

لطيعة مربية برقت في حايده عيونا ونحن نقرأ ما نطبع فيتعجر حماسنا

طال الضمط. وب من يفتح أحيرا أطل وجه الجارة. قالت

- أستاذ عمر .. الحمد لله . هاك المفتاح ..

قلت :

- ألم يقل معنى يعود ؟

بروجه كسب قالت :

الله أعلم .. جابوا فجر أول أمس وأخبروه. أسرهم أن يمضى

على إبقاها وبرك لك المفتاح معنى

جلست قليلاً في صالة شقتها. دحنت بجماعة. سألتنى.

- ماذا حدث يا أستاذ ؟ ألم تقولوا أن هذا العهد قد انقضى ؟

ابتسمت محزوناً ولم أود. سألت حرائط الشقة الناحية أن تحدثنى

فاستعصى عليها الكلام فيها للقسوة. فتشت الأوراق بدقة. حرقت بعضها.

قبل أن أمسى تذكرت درجا سرياً في الدولاب. طلت إليه. يا لى من غيبى .

كدت أنساه. قرأت الورق بانتباه. مرقت كل شيء. قالت الجارة :

لا مزاحلة يا «سى عمر» . كلمنى الأستاذ عن الإيجار.



- سبيلك في موعده..

ها قد مضى أكثر من عام على غيابي.. ففى أى أرض يستقر الآن. وماذا تعبر من صور الماضي؟ فى أى سجون هذا العالم يستقر والشاربش متولى؟. وعنبر ٢ من يسكنه الآن؟ لصوص أم قوادى؟. وها نحن نى ليلة هينتوية فاحرة. ما أطرف أن تصرخ الآن بما حدث. تلقى «حلمى» الخبر بثبات غير عادى. قال :

- نصحتك فلم يتصنع. الظروف تغيرت .

تأملت الكلام الذى قاله بظهور. أهى نفس شفاء الزمان الماسى ؟. قلت :

- لم يكن يفعل ما بصر. والسالة أبسط بما بصورونها. وحتى لو لم تكن كذلك.. فهل تظن أنه كان.

نفع ضيق.. قال :

- إنه معاصر ومتطوره.. وسارعيه طفولية.

هذا عصر البحر والعفونة. إغلقوا أفواهكم قبل أن تقولوا الدنية. ويوما قبل أن يغيب قال : دأن يحكموا علينا أن نظل كالأنعام والبهائم فى حالة حرب. أما يوم ماتم أمه فإن المقرى قرأ «ثم هذا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسبحنه حتى حين. ودخل معه السجن فتيان. قال أحدهما : إني أراي أعصر خمرا. وقال الآخر. إني أراي أحمل فوق رأسى خيرا تأكل الطير منه. نيتنا يتأويله إنا نراك من المحسنين». ساعتهما قلت إن الحلم قديم وكذلك القهر. ففى بروج القلب ؟. ها هي أفتاسا تتراق إلى مستنقع لا يدرى قراره. كذلك الحب الذى ألقى فيه يوسف. فمن لنا من ينجدنا. وهل عليك حقاً قوة ترد بها أغراء التى تقول لك : «حيث لك». حفل زفافهما شاهد على ما انتهينا إليه

اقترب. متى. قاح ممرها على البعد. لمعت الأضواء على سستان الزفاف المرصع بأسلاك من الذهب :

- لماذا غابت حورية ؟

- اعتزلت بالمرض.. ولعل زهورها أعجبتك ؟.

صحكت قائلة .

أرسلت لى زهورا صغراء. أنت تبهم لغة الأثوان طبعها. وأجل الموت. هذا رأيها فيها وأمس صاحت : بن أحضر.. فهى مشتتكم أنتم. قبلوها كما تشاؤون.. قلت مبهوطة

- لا تحصن للأوهام. «حورية» تحترمك .

أشكرك على مجاملتك. الحقيقة أنها لا تهسى. وكثيرون منكم كذلك.. دعونا الجميع.. وهالك النتيجة.

- مشاغل الحياة ( ثم ضاحكا ) ونحن مستعدون فى هذا العالم لهيلثوس

«حلمى» مبتسما :

- البعض يقول إسى تبرزت. وهذه مجرد شعارات فارغة..

أصبح كل الكلام فارغا.. فلتقهقه كل شياطين الجحيم. ولم صدق ما يقول. إذن فحيات ضاعت فى لعبة هائلة. ومطعون أب من يصدق الأحلام بعد ذلك. تأمل الراقصة التى أمامك. ما أمتع جسدها. وقبل أعوام لم تكن العين ترى إلا «حورية». كان عناقها متعة القلب والروح. ثم أضحت العين تزوج أحيانا وراء ردف سارج أو يهد مغطى. بيد أنها ظلت مرغبا الجسد اهرق. وها نحن نفكر فى الحيانة. وفى لحظات الحب كنت اندمج إلى حد لا أمير لتقى أعضاء. ومن طراوى الزمن المجهد أن تشعر بكل شئ حولك. تحولت لحظات نشوتنا إلى عقابيد كالغياهب المقلقة أصبحت. حول رواجهما حلمنا. صاحت. سيئ. دافعت ما استطعت. قالت : عندما يبدأ الجبل فى الانهيار لا يتوقف. لاحظت أسبان أنها بدأت تهتم بتجميل نفسها. عرفت منقذة التسريحة أدبات التجميل. وأول مرة رأيتها «توال» قالت :

- زوجك جميلة ولكنها لا تعرف كيف تكون أنثى، دعها لي.

رفضت يرمها، سحرت معها «حورية» إلى حد التجريح، لكن الفلق بدأ يتناهبها تدريجيا. تريد. قلت إن هذا طبيعي ذبل شبابها من سنوات السجن الطويلة، ولعلها تلقى أنني قد أطلتها، فهي حطر هذا على القلب، ما أقساها من تصورات - صاحت:

- لم يعد هناك مستحيل.

- «حورية».. لا تحبلى حياتنا جميعا..

سحرت صيوتها الجميلة - مرح الكثر فيهما.. قالت:

- ذهب كل شيء فسادا أبقي أنا - هـ أصبح شعاركم الوحيد :  
أنكموا ما طاب لكم من النساء،  
صحت غاضبا

هذا تجريح لا أقبله، وشعصى لا يهمنى، لكنكلا تتعدين الحدود  
إلى أشياء أخرى.

ضحكت ساعرة.. قالت:

- الله يرحم الجميع، ستعرد من الكويث بسبارة وتصبح فيلتوبيا  
كصدقتك الطيب، نهل تبقى على 11

أصبحتا نقفات بالكثير، شكوكها تزداد.. وانتقر بأنه رغم تأكيداتك  
وإن النقص لا تبرا من الفرض ولا من المرض،

انصرفت «نوال» لضيقها، نظر «حلمى» إلى كوكبة صغيرة من  
زملاء السجن يجلسون في ركن المكان قال:

- قاطع الزملاء حفل زفاني

هذه أوهام.. مجرد مشاغل..

تناوب كأسين من خاقم كان يعبر المكان، قال:

- لا تعزى، ياخون موقعا منى وأنت تفهم (ثم بعد لحظة) ماذا  
يريدون؟ انتهى كل شيء، سأعيش حياتي كما أريد

- لا تشغل بالك.. أنت تفهم السبب

باحتها قال

- هذا تاريخ قديم وانتهى المسألة متعلقة بزوجه السابق، وهي  
صحية وليست جانية، لقد اضطرها للعمل معه ضديا، ثم أننا قد ابتسمنا  
في وجوه الجميع وانتهى الأمر، هل هي وحدها التي ونعت من قعر القبة!!  
أيمل هذا المنطق كن معايخ المسائل؟ أعلقوا أفواهكم قبل أن تقولوا  
الدية

انحنى يسم على واحدة من اللدعات، قدمها لي تأملت اكتظاظ  
أنوثتها مثبها، كانت جميلة كزهرة رغم شعوب وجهها تابعت جلالها  
مشوقا لمحدثنا قليلا، استأذنت لتهي، «نوال» غمر بعينيه في إثرها،  
قال:

- لاحظت أنها تأملتك باهتمام، أنت مدين لي بالشكر، أثرت  
اهتمامها بتاريخك العظيم!

آه - تأمل المهلة - لتصلحك حتى الموت - أثل هذا كنا نصنع  
التاريخ؟

- أشكرك.. ولكن من هي؟

ضرت على كفى ضامكا، قال

- لا تحش شيئا - وهي في ظروف تتعلم معها المقاومة.

يحيى؟

- أسر زوجها في عملية حربية مد عام، والوحدة مرار كما تعلم؟

ماعت نفسى نفاص حجابى الحاجر، تعللت بالحمام بعدت عنه، قال  
ملاحقا

- لا تشغل بالك.. يوسع «نوال» أن تسهل الطريق.

عند الباب انتحلت بكوكبة الرفاق. لم يقطع وصولي حديثهم. فر  
البداية بدأ كأحداث الزمان الماضي ثم انتشرت العنونة. لحدث واحد من  
وسام ٣» وغارات العمق وروى مطلع بعض الأسرار الفكهة. وقد ثالث إنه  
يكتب مسرحية عن بحر القفر وفيها من مصع أبي رعبيل. تهلفت أعماقي  
بالخمر الزاعقة فيها. قلت . عال .. صفقة رابحة لا نقل عن ألفين من  
جنبيات. عليه «فاليوم» كاملة لا تفقد. وفي الأسبوع الماضي قال «حلمي»  
كطبيب وكصديق أحذرك من إدمان «الفانيوم». ستصاب بإنهباء عصبي  
مفاجئ. فحذار مرّ شبح المرأة الفارعة الطول بجوارها أغضيت خجلًا. هل  
يشير «حلمي» يوما لزوجتي ويقول إن الرحنة مرار:

سحبني واحد إلى ركن . قال :

- أذهبك أخبار عن «صابر» ؟

- مضى أكثر من عام على غيابه. في البداية صلّوني عندما سألني

إلى حد التهديد ثم انتقطت الأخبار

- أخطرتي رسول منه أنه في ظروف سيئة.

سألت ملهوا عن التفاصيل. قال .

- عاملوه بشرامة فأضرب عن الطعام وعادده الباء القديم. بدت

التفاصيل مرعبة. حكى طويلا ثم قال :

- معلوماتي أن المسألة خطيرة فعلا. تثب في الرنة التي بمساحة

أربعة سنتيمترات مربعه.

توقف الحديث . أفتتح البوقيه. أكلوا هيك وشربوا مرثا وصحكه

أكثر مما ينبغي. قلت إني مريض.. مريض.. عدت في الهزيع الأخير ..

الليل مرهقا فتحت «حورية» عينيها. غطت طفتنا. قالت :

- نحن في الفجر.. لماذا نغطنا ؟

- كنت في حفل زفاف..

ساخرة قالت .

- العقبى لك في الحشرات !

لم أرد.

عندما أخبرت «حلمي» قال :

- خير سيئ.

- لا بد من التصرف.

- آه.. طبعاً ولكن ليس في بدنا شيء

طالعته نظرتي المذهولة. قال :

- اسمع «توال» تعرف بعض الناس.. أصدقاء زوجها الأول.

صحت بهزج .

- هؤلاء ؟

- نعم.

- ولكنهم ..

تفح ساخطا :

- لا تزعجتي.. ما فات مات. سنسافر شدا إلى بيروت. بعد عودتنا

من شهر العسل نرتب لذلك.

ضحكت. تهلفت. نظر إلى دهشا. قال :

- عبر أعصابك مرهقة جنا.. حذرتك من إدمان الفانيوم وأكرر

التحذير

\*\*\*

قالت حورية

لماذا لا تنام ؟

ذلك الحلم المستعصى متى يتحقق ؟

- آه . تأولينى النوم.. وأغلى كوب اللبن.

قامت برمة. احتضت في اتجاه المطبخ. فتحت الشرفة. كانت العتاة

تعهد من جولتها الليلية. تأملت قفرها من الشرفة كبهزان صغير أذن  
الفجر من بعيد. قال المنشد بصوت مفسول بالدي. «يا نائما بين الأتنام.  
فم وأذكر أغنى الذي لا ينال. مولاك يدعوك إلى ذكره. وأنت مشغول بطيب  
الناس». ما أتعب أن تكون حيا ولا تنام. سرى المثلث من الأعصاب. ولكن  
أين النوم؟ تبع القاري، في الثلث الأخير من رأس. قرأ «يا صاحبي  
السجن. أب أذكما غسقى ربه حمرا وأما الآخر فمصلب، عتاك الطير  
من رأسه. قضى الأمر الذي فيه تستفتيان».

٣

المصوم

ما أطول الطريق. ما أخفق رحامي برودة مطلع الليل وتساءل إلى  
أين؟ وما من مجيب. هل تعود ليالى النوم حقا؟ ثلاث ليال كامة وأنت  
يقظ تماما. الرعيق للمجاهن لأتفه سبب. الرجعة الطارئة. اهتزاز الشعاع  
وتفوق «حورية». حينئذ مقترحتان على الآخر. نظرائك مخيبة فهل أنت  
بخير؟ نعم أعصابك مشدودة كجبل مركب بشدونه بأقصى ما فيهم من  
قوة. المركب ثقيلة. وأخيل مشدود مشدود وتذكر يوم عرس عليك العمل  
عجبت وتعللت بما تعللت. رفع أكثر من صديق كتفيه بأكسما بصفت ألف  
مرة على عتبة بيوتهم. الخمس آخرون. وصدرت البرقيات ساخنة ومحتجة  
استدعك الرجل التي البرقيات في وجهك. صاحت ملامح المستغمة:

سبق أن حذرتك من التلخلل فيما لا يعنيك.

- لكن هنا يعني.

زاعقا: لست بقية أهل.

- لا أهل له وأنا صديقه.

أشرفت بكما الصداقة قديما... فاهتم بشؤونك..

- هدد شؤوبى. أخص شؤوبى.

ابتسم لجنسامة صفراء. قال.

- الظاهر أنني سأرسلك لمؤانسته

ظهرت ليد بشراسة. ها هم زبائنته يجيرونك. كالظل يمشون وراءك.  
مظاهرة مريبة يارسون عملهم. كأنهم يقولون: نحن خلفك فلا تعمل شيئا  
وقد لججوا. أصبحت أسيرا في أيديهم. لا تعمل شيئا. لا تحصل بأحد.

وأمس في الفجر. حبط الباب. فست مدعورا وجدت وجهها غربا  
عائيت حتى تذكر. قال بهلغة

- أستاذ «عمر» ألا تتذكرى؟ أنا «الشاربش مقولى»

- أهلا تفضل.

وهو يلتفت أنفاسه. قال

- لا تؤاخذنى حاولت أن أجى. نهارا لكن الاحتياط واجب.

- حيريا «عم مقولى»

- الأستاذ «صاير» في خطر. وهم يصرون على إهمال علاجه.

استطرد يروي التفاصيل المرعبة. قام. طلبت منه أن ينتظر. عدت  
بنقود دستتها في كفة. رفض بالها. قال:

- الله يسامحك يا أستاذ. صحيح نحن بأحد أحيانا، لكن الآن.

عجب.

بكت «حورية» عندما سمعت التفاصيل. نبلة باكية حزينة بلا يوم.  
عاشتني هند العصر فكرة شيطانية. سأقودهم في رحلة طويلة على الأقدام.  
أطول رحلة في التاريخ. رجل بلا يوم يقود تابعيه في رحلة طويلة. طويته  
وحزينة من الجيزة بدانا. وها نحن في مطلع شارع الأزهر كيف تأنى لك أن  
تقضى كل هذا بلا يوم؟ وقعت أشرب كوب من عصير القصب أسرع الرجل  
ج. قلت أنه لا بد وقد تعب ويريد بدلا تركت كوب

انصبر رجلاً. وخرجت مسرعة. لمحتة يجري خلفي ملهوقاً. قصرت خطواتي حتى يلحقني. الزحام يزداد. يتكاثف أين كان كل هؤلاء الناس في الأيام الخوالي كيف غشيت العيون عنهم؟ الدنيا برد.. برد. لو سقطت أو حتى جأته قال صوت مولد الحسين كل سنة وأسم طيبون. غبت وسط الزحام. تبعتي بمشقة. ثلاثة أيام بلا نوم. حبة «العاليوم» قدت صنعولها والفلق بعظم الأعصاب. لحظة ارتقاء واحدة. لحظة نوم. ترتخي جنوبي ترتاح عيوني المرحلة التي تنزأ لا يطاق. أمشي أمشي. أمشي. أمشي. رأسك عار فهل تخطف عمامة أم طربوشاً؟ اللبدة هي أنسب الأشياء. جلابيب وبذلك وبلاطى. عساتين وجربلات وملابيات لعل. ناس. ناس. ناس. يزغنون فلم لا تزهق. يضحكون فلم لا تواجههم بالحقيقة المرة. رائحة العرق انتشوى حافتها لكنها دامت أنا أمشي. الرجل أمشي أنا أمشي في هذا الشارع قال: لا بد أن يعود إلى العمل. أى عمل؟ لم يكن لنا عمل سواء. لا تجهل المختار طبعاً. ثم أكن أجعلها يوماً. أفكر ثم نتناقش. عند المناقشة جهنت. لدينا قدرة على الكلام لمحميل الباطل حقاً. ونحن باطلا. أمشي. أمشي. إلى أين؟ لا يهمني ماذا يحدث بعد ذلك. سيعود لرئيسه متعب مبهوداً. يتفح باكياً: حطمت أقدامى يا بهمة. دشتها. يا لها من نهاية مضحكة. إضحك عليها. لماذا لا تضحك. تخجل؟ لا أحد يسمعك. وسط كل هذا التضجيج. فلتضحك مرة. نبتسم. البسمة بلهاء. لا أحد يلاحظ شيئاً. إضحك بصوت أعنى. ها. ها. ها. ها. برافر قهقهة قهقهة لماذا ينظر إلى هذا الرجل؟ إسألته مشي معقول. ماذا حدث هل هو الانهيار الذي تبا به «جنى»؟ انهيار ماذا؟ «جنى» كلب بولندج ضخم وقاعد. انسان يبيع كل شيء بفخلى امرأة. شخص. إسألته.

- يا سيد يا مواطن.. لماذا تبسم؟ أنا أكلتك. نعم أنت. أنا أكلتك؟ لا. إنتظر. قف. حلقتك بالحسين.. سأقول لك سراً. هذا الرجل الذي يمشي ورائى مخبر. تعال هنا يا ابن الفئيمة قل لهم أنك مخبر؟ قفوا يا عالم.. يا هو. يا مواطنين. يا أهل القرية والترهبة والجبال

والحسين. قفوا.. الذى يحب الجدهان يصفق. كمان تصفيقه. هذا الرجل مخبر. وأنا أسأله أمانكم لماذا تمشى ورائى؟ أجب يا روح أمك..

واحد: هل أنت مخبر بعد؟ آخر: تكلم. الرجل خائف: إتركنى. أبعد عني. هذا رجل مجنون.

آخر: إسكت يا ابن الكلب.. بطاقتك.

- ليس معى بطاقة..

- هو مخبر أم أقل لك؟

واحد: لماذا تمشى وراءه؟ آخر: محذرات؟ ثالث: وعرة؟

- لا جاسوس.

اسمعوا يا عالم. يا هو. أنا جاسوس. يا نذل يا خادم الأتدال خذوا هذه الجاكته. والكرافتة. والقميص والفانلة. هذه المذبة السوداء وهذه وهذه. أربع رصاصات أصابتني في بورسعيد سنة ١٩٥٦. إسألوا «ويليامز» ضبط المخابرات الإنجليزى كم كيلو من لحمي نهشته كلابه إسكته يا معلم قبل أن يهرب.

«تعال هنا يا ابن الزانية. ماشى وراءه ليه؟»

- «يا عالم مظلوم ليس لى به شأن دا راجل مجنون».

- سامع يا معلم.. أنا مجنون.. ثلاثة أيام بلا نوم أولاد الكلب..

- يا معلم لا تصدقه.. هذا رجل كافر. من الذى ييشتموا رب

رائضى يمشى

- وأنت مالك. بعضي ربا حارقك قوى.. ولا بعضي تلاكيك.

- بذمتك يا معلم.. واحد صاحبك. آخرك. حبيبك. أكلت معه عيش

وملح. نحتوا سوى على البرش. فى الندى والطل. فى المطر والحرق. وعيان. سل درجة تالفة اللهم إحتفظنا وشعى كل عيان. فى صدره. هنا يا معلم. ثقب أربعة ستنى قد الريل الفضة القديم. ومع ذلك يحسره كبرت إلى

قلت حرام عيب، ما يصحش. قلت لهم يا لئول بالإنسانية.. رجيتهم.  
سرحوا ورائي ميت كلب مسعور، ده واحد منهم..

هناك العيب يا أستاذ.. بطلوا اشرا بقى على العالم؟

- يا معلم أنا غلبان أكل عيش.

- أبحث لك عن شعنة نظيفة.. أرسخها شغلة أشرف من شغلتك.

سرح نسول. بيع محدرات. لكن أدوية جلدعان لأ

- يا معلم.. دول كفره.. دا دافضى وابن رافضى.

برضه يقول لى رينا.. أنت هاستغفلى.. هاتسرح بى.. طب

ودينى وما أعيد ما أنا سايبك إلا بضرب المركوب. يا جندعان. يا رجاله

إتلع يا جندع انت وهوه اللامواخذه اللى يحب رينا يضرب. اللى يحب النسي

يضر. اللى يحب الحسين يضر. كرامه لك يا سيدى يا حسين يا ميت

مظلوم فى بلاد العربية كرامة للحسين، اضربوا اضربوا المنفري ابن المنفري.

بالمركوب يا سيد. إيدك لا ما توصفهاش... بالمركوب.

اضربوا. ضربت. تزايد الزحام. فى قلبه رأيت كانت قامته انصبية قد

استقامت يرى جيلا بلا نظارة. يحمل حذاء القديم. يضرب بقوة كضرب

عمي. قلت:

- يا عم «محسرة».. يا عم «محمود يا مهدي».. أنا «عمر»

«عمر الدعشان».

نظر إلى برقت عشاء بنظرة قوية.

مش مهم. إضرب.. اللى يحب «الحسين» يضرب. كرامة لك يا

سيدى يا «حسين».. يا ميت مظلوم فى بلاد العربية.. اللى يحب الشعب

يضر.. اللى يحب مصر يضر.

تنافعت موجات الزحام. كُتِل كثيفة. كفاح نهر دافى.

فصلت بيسا. أين أنا؟ أين هو؟ أين أى إنسان؟ بلا حذاء. ونصفى الأعلى

عار. أين برودة مقتيل الليل؟ وسط الزحام دافى. أنصباذ طرية وأخرى

حشنة. زحازح تسايه. أرداف وأثنا... أذرج حشنة مفعونة.. كرامة لك يا

سيدى يا حسين يا ميت مظلوم فى بلاد العربية. دافى.. دافى... أريد أن  
أثام. أهد كثرة تريت على رأسى. وجه روجى. أيتى تهتسم. تصع  
بسمته. رائحة عرق شتوى دافى. غملاً معظلى.. أخيراً سأنام.  
وسط الزحام سأنام.

## ضحكات من زمن

### القتل غيلة...

١ - إلى ذكرى شهيد عطية الشافعي : المناضل الشهير الذي قتل غيلة مبي معتقل أوردى أبو رحيل في ١٥ يونيو ١٩٦٦ هـ

١

## البش في جراح غديمة.. ولكن طرية

احتضنت قفها بين ذراعي.. ضعطتها بقسوة حائقة. شمت في ديمومه الاحتضان عطرها. استنشقت في شهيق طويل كارل أنفاس العريس. تطايرت في نفس اللحظة فكرة دامعة كانت تطاردني بإخاح منذ أيام. في الشقة انعكست ألوان اشفق عبي وجهها. اختنبت الشمس هناك عند حد الأفق. ابتلعها النهر. ودعاها معا صامتين. أحاط ذراعي جهرها دمست كمي في شعرها الطويل. قذقت الشباك العنسي بعيدا. انسدل شلاكي وأحاط ملامحها. صاحت محتجة. قبلتها قبلة طرية

قالت ، تحلت الشقرة

أدوت «المراملون». تمثلت شهر زاد كورساكوف. جلست على «الشبرلونغ» استندت رأسي إلى غنجلها في حقوت الضوء امتصت نظراتها المشوقة ملامحي. انحنيت. لثمت عيني. بهرسي عمق عينيها وسعازهما. غدت في دسامة صدرها أكنار قلعة.

(فى تلك الظهيرة حكى عن حبيبته كئيباً حثاً بضرب الفؤوس فى أرض رملية. جاء صوت خلفت يقول مسرعاً متعاناً خضرة. حكى عن عيبتها فقال إنهما حوريتان كصدر الأم احتق صوتهن فى النهاية. كأنه يوشك على البكاء. كنت صغيراً لم أكاد مرة صعب الرجال الكبار. حقق لى حزناً. أنت تظهر الآن فى جنة الحيد فأين ذهب؟ لو بقى لك من الإيمان بالخيرورة ذرة لقلب انه ينهر الآن وسط بيت تجرى من تحتها الأنهار. ولكن ذلك عزاء القلب المحزون)

أشعلت سيجارة. فذهب بعداتها بعيداً

[كذلك اليوم فى أنتريس رأس البر وكى غريبين تماماً سألها عما إذا كان التدخين يمايقها. ابتسمت. أخرجت سيجارة من حبيبته. خلعت منظارها الأسود]

تناولت السيجارة سألتنى عما فعلته فى غيبته:

لا شيء. قرأت، ومرت قصة كتبته.

- أنت تمزق كثيراً

- قرعان.

عدت بالبيرة والأكواب.

- بن أشرب.

باح حماسي

- ألا تستطيع أن تجلس معى صاحبا ؟

- لا أتعهد هذا.

زادت حرجت إلى شرقة العراة. هبط الليل ثقلاً. معاقاً كان القمر وسوت ضحكة فى قارب يعبر النهر. استندت برفقيها الى حافة الشرفة تأملت وجهها فى الضوء المتسرب من أسافل

- فى الليالى المحافاة بكسر الحب فى النهر

ثم ترد. قلت إن الظلام كالخمر يبعث على طلب العراء فى الأسرع الذى مانت فيه شقيقتها جاءت بسواد الخنادر. بكى على صغرى. حكى عن شقيقتها طويلاً عندما مسحت دموعها بشعته. أرتجفت شدتها السفلى كان العزاء ليلتها ضرباً من الجنون الكامل. بيد أن شيئاً كان يدفعنا للنساء لشترك. عرفت ليلتها إن رأسى المشغل بحزين الذكريات هو صليبي الذى أحمله

- هل تحبى حقيقة ؟

- لا أدري.

تبعثت سيجارتها فى الهواء. دنت لحناً كم دنتت به فوق لسان رأس البر. ضربت موجة عاصفة مقدمة اللسان. تفتت إلى رذاذ متطاير. ها هو صوتها حزين القرار مشروح البحة. أما شعرها فأسود غميق. تطاير مع نسيم الخريف قلبه بيدها خضراء كصبيها كانت بلورتها. انتشقت عن مجرى يهدين متعاسكين أشم على البعد عبيهما كما شممت أول مرة ليله العراء تلك.

بدأت شفتاى جويتها من وجنتيها. انحدرتا إلى رقبته وصدورها عندما وصلتا إلى البهد دارتا حول كل مساحة فيه. استقرت فوق قمته. لحظتها فقدتا رفتها العذبة. كان المرید قد تهتل فى محراب الإله ساعة ساكناً كالصمت كان. هرة الوجد فجأة. مال بشوان كظليل أبهجه ظهور أسائه صرحت صرخة خفيفة. بين الألم والنشوة كانت ليله عراة.

توقفت عن التدنن.

- لماذا لا تتزوج ؟

- أهى أنسى كبريت.

صحكت استدارت إلى:

- بوسعى أن أشهد بكفادتك.

تبدو لغرا مستعصيا على الفهم ككل شئ حولنا. هذا النهر انظم كم



ابتلع من آمل يائسة. وومضة الأصوات على سطحه تبعث على الحيرة  
وأمس كان «سليم» يجلس على هذا المقعد الأسبوطي يحكي عن الخطر  
- ألم تفكر أبداً في الزواج مثي ؟ -

نفيت. سألت بكلمات مدغمة عن النسب.

- لا يمكن أن أتزوج لفرأ

- ولكنك تعرفني منذ سنوات.

[ذلك الصباح المشحون بالقلق كم مضى عليه. وكنا يومها غريبين  
التقيا في أرتوبيس. وما هي أقرب ما تكون. لا تجعل أن تفعل أي شيء  
أمامها. تفكر وتصحك. تصح ملايسك. قش عاريا إن أردت].

أعرف أن لك «يرى». وهذه معلومات واقعية جد

عادت إلى التندمة.

- . . . وربما كان اسماً مستعاراً وهو على أي الأحوال اسم تدبيل.

عادت من الهجرة الداخلية في روب بتفججي شفاف :

- من تام أحد عندك ؟

دقيقة الملاحظة. وذاؤها خطر :

- وسليم. ابن عمي. كان في إجمار.. وعاد اليوم إلى

«الإسماعيلية»

- والأحوال هناك ؟

- كالعادة.. غارات واعتباكات وقبلى

فابت عن المكان بفكرها لمحات .

- شيء مرعج.

- نعم.. ولكن لا بد منه.

تبت عينيها في عيني. قال :

- أعرف فيما تفكر .

- يعجبني ذكاؤك أحياناً..

أنت تلوم نفسك لأنك تخلص معي. في حين أنه يجب أن تكون

هناك.

- ولكنه، أعني ذكاؤك. يخونك في أحيان كثيرة

- لا تنكر. أنا أحفظك. وهذا هو سبب كرهك لي .

... [وكان يتحدث لي الصغراء عن الحب ليلة. ووصف حبيبته  
فتعزّل فيها شعراً دقيفاً، فاستعدته مبهوراً، وطالبته بإطلاعي على رسائلها.  
معصب. ولقيت درساً في احترام ذلك الجزء الخاص من حياتنا. وأثرت  
مشكلة أيعن لثقتنا أن يجب. قال بل يجب أن تفعل. قلت : أفتي حاجه  
نحن لمزيد من المشاق؟.. أقدمنا مثقفة بالقبود. وأنصاع الطريق أكثر من  
أن نحصى صحك وقال: أنت ككل مراقق تحمل كبراً. قلت: السجن  
يترصنا وربما الموت.

سألتني : لماذا أنت سوداوي؟. وكان السوط الذي قتله يخرج من  
مدبغة مجهولة في تلك اللحظة. فيها للمهرلة .]

احتست البيرة تست سابق رقصها .

- ضحيت بالكثير قبلاً . ومن حقك أن تستريح .

- مجرد كلام.

يرج متكلف قالت :

- يوماً مستحق أحلامك.. وستأمن آنذاك تماماً..

- سأوصي ورضي بالملأى أنبا في قرافة الفقير .

.. [ذكر العمر حقاً. والأقارب رجفة لإحساس بالثورة عند ذكر  
أحلام الزمان الذي مضى. قتلها التكرار.. كما قتله السوط. ولم يكن  
كمثله أحد في الطراف بالأحلام في كتيبات الليالي..]

رني اليوم التالي لمعتها في كازينو يطل على النهر حيث رأسي

مُجيباً من بعد، انتهت بشدّة داعية، وحيدة كانت كنيسة برية جميلة،  
وتحدثنا عن الوحدة في العالم.

فقلت : أشبع شيء أن يكون حولك زحام لكنه بلا قلب. هذاب. قلت  
أن أشبع شيء هو أن تفارذك الوحدة في حقل ذرة كثيف في ليلة صافية.  
قلت: الاستسلام موقف شرير أحيانا. قلت : أكره أن أدير ظهرى للحياة  
ولو وقعت. انتهت. قلت إنها درست الفلسفة ثلاثة أعوام في الجامعة، ثم  
سبقتها في شهرين فصنعت في المطبخ تظهور المكرونة «باليشامل» وتتفان  
في صمغ «البسترا». ضحكك بصوت عال، سمع النير حديثا الطويل فبلا له  
من مستودع أحزان بلا قرار. وفي المساء ركبت المفعية عائدا إلى «عربة  
البرج»، فتح «سليم» الباب. لعن جدي السابع عشر - وكان يكرهه دون كل  
أسرتا - وقال:

- نام عمك الحاج منذ زمن وإيقاظه في هذه الساعة جريمة كفيفة  
يراعدتك إلى المعتقل لتتبرى بما فيه الكفاية.

ضحكت نصف ضحكة. لم يكن في القلب منزع لكوامل  
الضحكات.

- من تندم لأنك عرفتني ؟

قدّعت بالسبجارة إلى عسق النهر

- أكره علاقات الاستفهام.

- ولكني لست نادمة.

- معرفتك على حقيقتك مشكلة ولن أرق نفسي بعد الآن  
بالمشاكل

- أنت تخلق مشاكل وهمية. وهذا رأى «سليم» أيضا.

(ماذا يفعل الآن وسط النيران والبارود والموت، وفي أي لحظة من

الزمن يترصده قناصة)

- «سليم» يكره جنفا السابع عشر، وكنت قد هزرت بتاريخه في

مخطوطة قديمة. تصدى غفر الله له للسلطان العثماني سليم أيام العزو،  
وأثر عليه «دمياط» كلها، غضب عليه السلطان، وشنقه على باب زويلة  
ومصادر أمواله، ولولا هذا لكنا من كبار الأغنياء.

أنت عشاكي كجذك السابع عشر وأبا أهلك. وهذا يكفى.

(يبدو هنا كانيا على الأقل من وجهة نظرها، وهي مثلى تبحث عن  
عزاء. وبعل خيبة الآمال ترصدتها كما ترصدتني. ذهب كل شيء بأخص  
الانسان السجن والعذاب والموت والمستقبل انهدر، وبالمزب أثنا هذه  
العومة، واشترينا بدلا ونهضنا أحيانا بسيارة غفل هذا ثمن مجز حياة الرجل  
الذي قتلته السياط ذات يوم؟. ولحظة النساء المشترك لا يبدو شيئا مهما  
على الإطلاق حتى مشهدهم وهم يحملونه إلى المشرحة، يحرق الجسد دامي،  
على وجهه لحظة قهر مات به. وكان المأمور قصي الشارب، لزرق العينين،  
يبد أن أحمرار وجهه أصفر تماما)

- ولكن لا بد أن أعرف شيئا عنك !

- أنت تعرف كل شيء.

- كذب.

نهضت واقفة. قلت إن المدينة مظلمة وكثيرة فمتى يعود الضوء،  
وصوت وعم عبده - بواب عوامتنا - يأتي مع هراء الليل. ذلك المعجود  
الغريب، حزين غناؤه. ضاحك وجهه. أدركت الذبذبة إلى الداخل لأقلل الضوء  
المتررب.

قلت .

- ثمة رجال الدعاع الكذبي «عم عبده» أمس إلى الالتزام بقيود  
الإضياء

بلذا أنها لم تسمح . بعد لحظة :

- تعرف. أحيانا أخجل من بعض ما أقوله في فراشي. بيد أنني  
أنسى خجلي في المرة التالية.

تهدج صورتها مع الكلمات الأخيرة قلت إن حزينات الليالي تتطلب  
العزاء وسويت ضحكة عبر ظلام النهر.

.....  
.....

في صمت الظلام، أحاطت ذراعها العارية رأسي قلت أناملها  
قالت بصوت ينظر براحة عميقة  
- تذكرتك وأنا بالبحر.. وسألت نفسي عما تفعل

- نعم.  
- ولا حظ المحيطون بي أنني سأهمة فحاصروني بالزوال  
- مشكلة

- تعاليت بالهزن على احتي، واحتصب أطمئنها، فهاج ذلك أحزاني  
وبكيت.

- قلت أنها مانت مشجرة  
- نعم من عوامة كذلك. وتذكرت صديقك الذي حكيت عنه  
- «سليم» ؟  
- لا الآخر.

- «لويس» ؟  
لا. الذي قتل في السجن.  
أشعلت سيجارة فتناولتها مني

- كثيرون ماتوا في السجن، وماب الآخرون في الزحام  
في وهج السجارة المشتعلة بدت صورتها في المرأة شعرها مذي  
على الوسادة حولها  
(أعرف ممن تريد أن أتحدث. ولكن فلتطلب ذلك بنفسها).  
- لا أذكر.. حكيت لك كثيراً

- «شريف».

آء.. «شريف عطية».

كررت الاسم. قلت إنها تتفق به في لغة، فما السبب يا ترى؟ وكنت  
أحب اسمه دائماً كان شارب غزيرا كشارب فلاح لم يعادر أحقل أبدا لكنه  
كان رقيق القلب. ومن المؤسف أنني لا أعرف أين حبيبته في هذا العالم  
أنوسع الزحام. فمن يسمع مخزن الذكريات؟ ومن يهده سواها حين  
عاشق سجين ؟

- أحلك لي عهد  
- حكيت لك كل شيء ونحى في «رأسي لبر».  
في كل مرة تحكي... تذكر جدبنا  
- نهضت به كثيراً.

قتلوه ؟  
- نعم.. ضرباً بالمباعدة.  
- كان صغيراً ؟  
- في حدود الثلاثين.  
كلايب.

- نعم.. ولكن الزمن تغير..  
- أحلك لي من هنالك.

تسللت أنغام كورساكوف عبر الصالة. كان حفيف النسيم يداعب  
سطح النهر. كحة «عم هيلد» تتصاعد من بعيد  
\*\*\*

أقلقاً كان الصباح. شمس يوليو قانطة جاءت جلستني بجوارها  
في الأوتريوس «صخيم» في معس حاد وهو يعادر بنا حدود للدينة،  
أفترت. سدتني. اعتذرت. شكرت. لم يكن معنى سوى حقبة صغيرة بها  
بعض الخالص. مجموعة الكتب في يدي. سألتني مرة أن أسدل الستار

على الدند، وأخرى إن فتح رجاءها العذرى خلف مجرد بسمة جو  
جسدها كان وشيقاً وليلاً كدسامة أنهر كان صدرها، سألتها عما إذا  
كان التدخين يزعجها، نفتت بالتمسامة أخرجت غلبة سجاثرها قالت:  
ببببى المرح، كنت أحشى أن أفعها وحدي، أستاذت في تصفيع  
الكتب، تركت لها قالت بعد لحظة

- أتعرفى الفلسفة ؟

- مجرد اهتمام.

- ولكنه لا يناسب بولس ولا «رأس البر».

ابتسمت، لم أعلق.

٢

كل شيء مجموع... حتى حزين السماء

أعلق الشاويش «عبيد» باب العرفة في أول المساء، ارتقت على  
حشيتي مرهقا، كنت قد عرفت ثلاثة قرابط، وقلت أنها ستجدر غدا،  
استلقي بجرازي على فراشه، أشعل نصف سيجارة ناولس إياها أحدث  
نفسا طويلا وأعتتها إليه، قلت:

- تعبا اليوم، تمجول ومال صغراء إلى مزوجة يهود مستحيلا.

- ولكنه سيحدث.

بدت بسمته رقيقة، كانت جرداً من وجهه الطمولى المرح، وقلت أنه  
يبدو وسيما، نوى بهذا تنعزل فيه حبيبته ادهولته، وجد، الرجاء حول دونه  
المياه في نهاية العرفة يوحى بأن الزملا، يخططون للعد، أنوما تعطش  
للحظ متى تنتهي المهزلة من العالم؟ انتهت للسيجارة لم أكن قد أرتويت  
بعد، قلت

- يذهلتى تفازنك،

هو رأسه وتأمل سنه الكهها، المتلى من السقف، تحدث طويلا

د، هدد كلامه بحاسى راسى، تذكرت جدي السابع عشر قبل أن  
أسم تصاعد صوت من العرفة المتدلة يفتى بصوت غبى، صعد من فوق  
حائط الدرة صاح طالها من المص أن يرفع صوته مر سجان المساء في  
المبر صاح:

نام أنت وهو عتير ٣ - مخروخ العتاء.

قلت إننا نعلم كثيرا بالمد شتات أنوت للعطر وهذا هو كل شيء،

مخرج، حتى حزين السماء،

\*\*\*

في صف الشمس الطويل تاهت نظرات عيرى، زحام البشر لا  
وعايت كساء البحر، ها هي العشة فأين الشخصية الخضراء؟ تصاعد  
صوت من خلفي صاوي

«طارق» أمشاة «طارق»

كانت مبللة بما البحر في مايو مشجر بأوراق ثوت زاهية، جنمت  
جسده مشرب شمس الأصيل دعتها عليها، قالت إنها تحب مياه الأصيل،  
يكون البحر دافئا وحاليا، قلت إن ذلك كله جميل، مكى أكره الغروب،  
يتعسى رجبل الشمس، يتقبض قلبى عندما ينقض الظلام على الحركة  
والحياة والنضوج.

- مشاعرك غريبة، الفلسفة مجرد وداء تلتف به، أظن أن الفلاسفة

يرددون القول

ضعكت قدلا

- لا تهافتى، لبي كل قارىء لكتاب في الفلسفة ميلسوما.

- أظن أنك شاعر، ألم تكتب الشعر أبدا؟

ذلك النيش من طرى الجراح، متى يكف؟

- أعمل بالصحافة، كان لي يوما صديق من أرق الشعراء،

- وأين ذهب؟

- مات.

حادث منها التفاتة إلى وجهي غام في عينيها شيء. قالت.

- يا خسارة لعله كان عجوزاً

- نعم في الثلاثين.

تحدثت عن موت فصاحت لعمق سناجتها. سألت : هل غدت به حبيبة ؟ قلت : بل غدر بهما معا الموت. كانت رفقي في النهر تقتات بافصرار عينيها بذلك الحزين المرهف في ملامحها. تحدثت يومها هن الصحراء طويلا تلك السرات المغلقة كيف مرت. رغي أي مستقر بالقلب والنفس ترقد الآن بقاياها، أليس من واجب الوفاء أن نرود يوما ضريحها تلو الصلوات وتدعو بالرحمة لسنوات العذاب.

- أنت منهم ؟

- نعم.

- حدثت هذا من البداية عاوين ما كنت تحصله من كتب فصاح.

ثم بعد لحظة صمت عرفت بعصم أيام الجامعة.

- من ؟

- نسيب الأسماء أذكر أن بعضهم غاب في أواسط الشتاء. وعاب

الباقي في مقبيل الربيع.

ارتجف جسدها. كانت الشمس تمطس هناك عند حد الأفق.

\*\*\*

في ذلك المساء بكت. كنا لحظتها نحشى على اللسان شيه وحيدين. أمواج البحر تطع الصخر في جنوب تأمت سمينة هناك في عمق البحر حكيت عن انتظار السفن المجهولة كان متناها بلا شاطئ. مجرة مساحات مرهبة من الرمال والقبض لذلك لم يفكر في الهرب وما أتعمر ألا نجد ممرًا سوى وادي التيه. ورغم هذا فقد حلطنا دائما بالساعات المجهولة تأتي محملة بالطعام وبالملايين وأطنان من انسجائن ترسو علم

- ١٦٦ -

على المنفى. نحشى في داخلها نحشى. مسألة يا سلامة روحنا وجيها  
بسلامة يلعب ونضحك. نحشى. اشراقنا للمطر وتصلر توب توب.  
ربيع عائدة إلى عالم الألوان.

- وكان صديقي الشاعر قد كتب مرة قصيدة كتبك.

تأبعت عيساه حركة السفينة. وكانت الشمس تعرب حلقها بما

قالت:

- ولم تأب طيباً !

كلا . وكان هذا قيل ان يقتل بأسبوع.

طعنت موجد صاحبة مقدمة اللسان. تلقاها صامدا. تصاعد رذاذها  
فأدرك وجهها صعدت إلى حافة الكوريش مستندة إلى كفي. جلست.  
أشعلت سيجارة.

قلت إنها كانت ليلة جمعة ؟!

[ نعم . وكان الشاوش «عبيد» سجان المساء. فتح القفزة وقال  
الديب حر، جنهم. سأفتح لكم حلة لكي تشمو الهواء. ولكن لا أريد  
ضجة. جلس على حافة ألياب. حكى عن أولاده. قال انه لم يره منذ خمسة  
شهور دعا أن يرد الله غريباء كل واحد يروح لحاله يشوف عياله. صاح  
«شريف» ليس عندي أولاد يا شويش «عبيد». قال ترجع للعروسة إنشاء  
«بله. صمت لحظة. كان وجهه الصحنى جامداً رفقه تدهور الصبر والصحة.  
دعا بعد لحظة رينا يسترها معكم. لكن لماذا لا تعيشون بكيفية خلق الله  
في حانكم، مالكم أنتم والحكومة ووجع الفم؟ قال شريف والعلابة يا  
شاوشنا ؟! حلك لرجل قفاه ولم يرد. قال هجاة عاوز الشمس. جناه بتليل  
من الفصل ويقايا حيز. أكل ونجشاً. شارك شريف نصف سيجارته الأجير  
عن صوت من لعمرة. المقابلة «أنا في دموصي أردتوت عزية بزيها» قال:

- يا عم يا بتاح عبر ٣ محرق لعنا. الضبط التوتجى سحر بعد

شربة

كنت أجلس خلف «شريف» مباشرة. قلت:

- ٧ تكن حبيبها يا عم «عبيد». ألا تحب النساء؟

غابت عيناها عند الباب الخديدي المعلق في آخر الممر. قال

- في بلدنا صبييت، إنما ولد، عندما يهين تقف الدامية كلها على

رجل واحدة

تصاحك وضحكي عن قريته. جاء رميلان من مراحى سوهاج. هبت

نسمة هواء خفيفة. «هبت لأشرب فوجدت الماء في الدلو مشجعا على قهر

العادة عندما عدت كان يتحدث عن قواريط ثلاثة يملكها في البلد.

- أطلع على المعاش الستة القادمة إن أدن المولى ساذج للأرض.

- «شريف» بأشبهتم في الزراعة يستطيع أن يبيدك.

في تلك الليلة حفظ له «شريف» المزرعة على عتبة سيجائر فارغة.

هنا حفائر الدجاج. ربيبة الخصاص هذا.

سرح «عم عبيد» مع الخاتم.

- وعرض السمك يا شاورشنا؟

ضحك يرح خجلًا

\*\*\*

- هيه.. وماذا حدث بعد ذلك؟

كان فراسدا لينا، وبكتي قلت.

- رويته لك مرارا

- «طارق» لا تكن سخيها؟

- أكره التبخس في طري الجراح.

ولكنني أحبك وأنت تروى عن صديقك الشاعر

- قلب أنهم قتلوه.

- ضربها بالسياط.. أليس كذلك؟

- نعم

كلاب.

- فبها كلاب. ولكن تعير كل شيء.

أكمل.

- حكيت لك في ليلة «رأس البر» تلك كل شيء؟

- ركنت حزنا.. وأحييت حزنا ليلتها.

- وبكتي. فمسحت الدموع من وجهك بكفي.

فقيمت أمامك في لحظة لم أدركها.

- وليلت شفتيك في عمق الليل. والبحر شاهدا الوحيد.

- وعند الأكل سقينة كتلك التي حلم بها

أحاطت عنقي بذراعها العاري.. كطفلة تأتي أن تنام قبل أن تسمع

حدوته المساء. بقوس قلت:

- طارق.. احبك.

\*\*\*

أفي الصباح فتح الباب بصجة هائلة. فتحت عيني على أقدام

غليظة تدق الأرض في غطسة، قلت تفتش. مددت يدي. أحسبت شفرة

حلاقة.. كنت أضعها تحت رأسي. قال الصابط.

- كل واحد أمام قرشته. فتش يا عسكري.

استبقت الزملاء مكثريين. ثاجب واحد أو اثنان. وقف «شريف»

بجراري. همس

- حملة عسكرية في هذا الصباح المبكر

قلت هامسا:

- هذا جزاء الذين يعلمون دون إذن

وقف الضابط وقف عتريته. قلت لنفسي انه دخل كلية البوليس

بالواسطة. وما هو يحاول أن يظلم بوقفته المشدودة قامت. ليبت أنه لم

يلتحق بها زورا. يدرس علينا فحولته المكهنة في هذا المنفى. سيرى كثيرا

وسمع كثيرا سمعوا لزوجه في المساء. يروي لها قصة الحملة الشجاعة

التي قادها محموت مراقبنا إلى أشلاء موزقة في وسط العرقة. حاول واحد أو اثنين إعادة تنظيم فرسهما انتهى السجان من تعيثيى ابتسمت. لم يمش على شجرة الخلاقة. انتقل إلى «شريف». مر بيده على غلابه. اصطدمتا بخروشة ورق. أخرج ورقة كان يحفيها في وسطه تناولها الضابط. اعطت يد «شريف» على الاثنين محاولا انتزاع الورقة منهما جده سجان ثان للحلف. طوقه بدراعيه. التفتا جميعا حولهما. قال انصابط وهو يفتح الورقة

- مشور أم محضر اجتماع ؟

قرأ فيها قليلا. ثم قال

شعر ؟ عيناها ؟ ونحلم بالسفائن المجهولة ؟

توترت شفقا «شريف». استمر يهيمه سمية هائلة

ولن كتبت هذا لأن تخرج من هنا. والشبان كالأرز بالخارج

رام أكثر من واحد محتجا. تصاعدت هبهات من هنا وهناك ولا

دأى لكثرة الكلام. «حاسب على أفعالكم».

قال «شريف» ساخرا.

أفتشك على انتصارك في هذه المعركة. ولكن لا داعي للكلام خارج الموضوع.

هو الآخر رأسه قانلا.

- خمسة أيام حبس لتفردى على الأقل.

وهو خارج. قال :

- طالما دعوتكم لشيوعية النساء. وستحقق دعوتكم بتساكنكم.

انفصت الاحتجاجات من كل جانب. صاح «شريف» .

- إغرس يا كلب. يا حقير

أطبق الصمت على المكان. نظر الضابط إلينا نظرة متعززة. أمر

علاق الباب. لنص صمت ثقيل و دقائق الأندية العسكرية تمكرك صمت عياح.

\*\*\*

قادره إلى الغناء. صعدنا إلى برفد العرقة المطلة عليه. كان ميسر رغم ارتعاشة خفيفة كانت تعترى ساقيه. جاءت والعروسة صليب جلدى متجههم. مربع الشكل تثورها في الأرض. وضعوا رقبتهم في تجريفها. مدو دراغيه على الجانبيين. كبتوا الكليل. والقدمين وقف المأمور أمامه. اهتز شارب الأصر. إجمرت خدوده المنتفحة:

- نظن نفسك رجلا يا ابن لقحية ؟!

لم أر نظرت. لكن رأسه المعنى جاهد في الارتفاع رمض كلمات السباب في إنفقه. قال :

- أنا رجل غصبا عتاك ومن أسفالك من الكلاب

ويصق في وجهه.

- الكرياح يا عسكري.

جاء السوط طويل. مجدول في نهايته بسلك صلب. عقد طوقه عدة مرات صغيرة همس صوت بجوارى :

- عدة العقد محالب للامحة.

ابتسمت حزينا تهدل شعره الطويل على وجهه. كانت لحيته طويلة كنه - هبط السوط على ظهره الصف حول صدره جز على أسنانه رافض أن

يثن. صاح المأمور

- لن أتركك حتى تقول أنك امرأة .

صمت ولم يرد. تتالت الضربات وهو ساكن. شافنى أن أرى ملامح وجهه تهدل شارب الريفى الكثر. جرت أسنانه على شفته السفلى. تعصّد

عرق غريرا من كل ثانيا جسده. فك المأمور أزار سترته العسكرية. لهث

بشفة امتد على سمود كهريا، في الفناء. ألقى بالسوط للشارش  
«عبيد». ضرب «عبيد» مرة ومرتين صاح

- اضرب جامد يا سجان

- الارتعاج القانوني نصف متر يا أقدم..

هجم عليه كوحش. خطف منه السوط. ضربه به :

- امش يا بن الشرموطة أمش.

تكرر الشارش «عبيد» «عبيد»، واستمر هو بضربه..

لن أدعك قبل أن تقول أنك امرأة، أسمع كل زملائك. لا بد أن  
يسمح كل هؤلاء.

أشار إلى أشباح الواقعة خلف التواجد. كان زملائنا في كل العرف  
قد صعدوا إلى بوائد شابرهم. تصاعد صوت في غرقة بعيدة  
- دعوه يا كلاب.

من الذي بدأ إذ ذاك يشد تشبدا. لا أذكر. ماذا كانت كلمات  
التشيد تقول؟. تأملت من الذاكرة. كما تاه المذاب نفسه. هل سمع في خدر  
العذاب أصواتنا البشدة؟. ذلك المصعب من أي أبعاد القلب تعجر. والسوط  
يهبط ويصعد. كان الرجل قد توحش حقيقة. برقت عياد الزرقوان. امتدت  
أدتاه. بدا لي خطتها كذب يرى من قباب قريتا لم ينته حتى إلى الزبد  
الذي أحاط بشفتيه. وهو يكرر بإيقاع كأه يضبط المسافة بين كل جلده  
- قل. قل. قل. قل..

حمر السوط أخاديد دم أحمر عميقة في كل أنحاء جسده. تفرقت  
ملابس النصف الأسفل منه أصبح عاريا تماما كوليده في سنوات مجاعة.  
تهتك جسده إلى مزق صغيرة صوت الكبراج وهو يترق في الهواء. عرصب  
كالخوف.. ونحن نشد. نشد  
أنكفأ رأسه.

مات.

\*\*\*

- ١٧٢ -

اصطدمت الموجة باللسان طالتي ردادها. غاب بصري السارح خلف  
السبينة ألتانئة عند حد الأفق تعلقت دمعة متألقة بمرشها الطويلة.  
مددت كفى. مسحت عينيها قلت:

- لم أشهد دموع عبيته عبيد.

رقعت وجهها إلى أعلى. واجهني مع خمرت آخر ضوء. في شمس  
العروب وجهها المذهب. لحقتها بحث القصب عن العراء. ريت خدها. كم تحرق  
التذكارات الحزينة من لحظات المرح. في قرار القلب حكمة جهات أن  
تنتهي احتضنتها غابت شفتي في دسامة شفتيها. كان البحر شاهدا  
الوحيد

٣

برمّل حمامة مكسورة الجناح

عند الظهر تحدث واحد بجواري عن قضاء الله كيف يره ؟ وشغلت  
بالبحث في الموصوع. تحدث آخر عن الأمانة التي عرضت على الساعات  
والجبال والأرض فأبى أن يحملها وحملها الإنسان فكان ظلوما جهولا  
جهاز «التبكر» يذق في المر دقاته الرثيبة المرعبة. نظرت إلى أنليهمون،  
ولدت لعله يحمل صوتها. في أي مكان من هذا انعالم الخائق الرحام  
تختفي؟. رمى واحد بشرط طويل من الأخبار أمامي. قرأته بسرعة. عامت  
أعما. قتل. قتل. قتل. أشادت زميلتي إلى خبر في يدها قالت:

- أداعت اليوبيتلبرس برقية عن جريمة القتل التي حدثت أمس في  
أنبوب. سبعة قتلهم مجهول كان يحتمي بين أصواء النمر.

في بعض الأحيان تمذهب الحاجة إلى «ويري». لو تحدث الآن، ربما  
خف من القلب بعض أجزائه. كان دعم عبيد - براب عوامت - يجلس  
بجوار السلم. يذبح سيجارة هزيلة كجسده التحيل. قلت إنه صامت كاسهر



ولكن ما أبشع غصبه. هش أطفالا صغارا خال عليهم خطر الماء. كان النساء جانفا برطوبة لرجله. استلقيت على مقعدى فى الشرفة. هتهد فلوج فتاطيس العروامة. هتخذنى معها مسح بعض إرفاق اليوم. جاء صوت «هم عيده» مقتيا بصوت حزين أسلمته إدى فى إعياء الفراغ. صب فيها أحزان صوته العجوز تسالت مسحكات أطفال من الدور الأعلى فرقى. قلت إن الظلام الخائق يذبل الضحكات. لذلك تيدر قصيرة العمر. يومها يكتئ.

كنت أصغرهم عمرا وأقربهم دمعا. حملوا بشتة إلى المشرحة هناك خلف عير ٧. رأوه. من الواحد صاح واحد : قتلوه الكلاب. اكفهر وجه الأمور هرقا. تمالث هناقاتنا. جاء الضابط مدعورا. فتح الباب. وجانا بصوت مرتعش أن يهدأ. زميلكم يغير ولم يحدث له شيء. كذاب وحقير وكلب كاسب ذلك حملتموه إلى المشرحة. رفعا دلاء الماء والمياول وأوانى الطعام. حمل واحد يد فلكنسة تصاعد مد الفصبة. كنا حزانى إلى درجة الجنون. لم يكن موته حتى تلك اللحظة قد عسى شيئا يمكن أن يهيم. تراجع الرجل وأغلق الباب. خلفه

سمعت خطوات ثقيلة على عشى العروامة. انشقت الظلام عن شبحه الصيل. كان التأمل الطويل فى رمال الصحراء قد صبب المراثيات أمامى. وأنا غارق فى مقعدى متوحد مع الظلام. اختفى لعمان مطع النهر مع لون عشى العروامة لذلك لم أدر من أيهما جاء. بدا لى عجوزا قاتبا نحيف الجسم كموميها أسطورية دعوه للجلوس. تمع. قلب :

- كان غاؤك شجيا يا «هم عيده» فلماذا توقفت عن الغناء ؟

قال إن حزين الغناء يوجع القلب. رجل عجوز أنا. قلبي ضعيف. أخاف أن أوجعه. ضحكك من كلماته تارلته سيجارة. قلت أننا جميعا موجودون قال

- قلبك أخضر لم يزل (ثم بعد لحظة صمت) بعض الناس يسألون عليك ؟

- من ؟

- رجال صغارا وبنون.

- وعم يتسألون ؟

كل شيء. الأثرون والداهبون. الكلام والصمت. النساء والرجال وأيضا الضحكات.

- وكيف أجبت ؟

«عرت الله أن يسهل لعبيده واعتذرت بتقدم العمر وضعف السمع جلس على حافة الشرفة. قلت إن جسده الصليل يمكن أن يقع فى الماء. اذا دفعتة هبة صميم. لكنه بدا راسقا فى جلسته.

- لماذا يسألون عليك ؟

- حساب قديم.

تأملت ملامحه المنفضة. كانت عيناه واسعتين حادتين رغم تهديل الجنون.

- أنت عجوز جدا يا «هم عيده»

ضحك ضحكة طويلة أكثر مما لتحتمل أنقاسه قال :

- ولدت أيام هوجة «غرابى باشا»

ما امتع أن تهدد سام الغيلة... بذكرات محنطة.

قابله :

- لا .. قفوه وراء البحر.. شعته مرة فى «الحسين». كان طويلا

وضمنا. ولا أهر يد فى عز شبابه. ولكنى قابلت «سعد باشا»

ما أسغف أن يكذب رجل عجوز

- كان فى أواخر أيامه.. جاء إلى «مسجد وصيف» مريضا مر واهور

البحر الذي ركبته ببلدنا نحن من الأصل من القرشية»، تواهى طنطا.  
انتظروا الزاوية على شط الرياح. لما ظهر حوصت من الرياح يهدوى كانت  
«زمير» جديدة ومقام السيد البدوي. الخلق كلهم رموا أنفسهم في الرياح.  
كنت أول واحد وصل. أطل على المرحوم «ويضاوصف» قال : أبعد يا ابني.  
تعلمت بهال مركب. قال : يا ابني تفرق. قلت : لا بد أقابل الباشا. قال :  
الباشا مريض ولا يقدر أن يقابل أيها واحد. أصبرت متوا حبالا صمدت.  
كانت هدومي مبلولة. عصروها لي. أدخلوني عليه. كان راقدًا على سريره  
يجلانية بيضاء مقلقة وطافية. رميت السلام. رفع يده إلى وجهه وقال  
وعليكم السلام. اسكك أبه يا بني؟ قلت : «عبد القري» قال أقعد  
يا «عبد». قلب هدومي مبلولة وأنت عيب. شد حبلك يا باشا. قال  
شدوا حبلكم أنتم. أنا حلاص. رغرت عيناى بالدموع. قلت القلب والعبد  
والرب راضون عليك يا باشا»

.....

فتحت عيسى على ضجة في الغرفة. كان سليم يخلع حذاء العسكري  
الضخم الحر شديد. طاب في الحمام. حاول فتح صلفه الدلاب الوسطى.  
استعصت عليه. قلت :

استجلت «بري» دلائها هدومك في الصلابة الأخيرة مع  
الاعتذار طيما.

ليس يظنون البيجاما. سأل منها. رددت بتمتة

- ألمهم كيف أحوالك ؟

- اشكرت في عملية عبور ناجحة هذا الاسبوع.

بحساس مريف قلت .

- عال أقبل دعوتي لسهرة بعمل فيها بهذا العمل العظيم .

- تشكر. سأقوم بجولة في المدينة عصرًا. معى رسائل وطلبات

بعض الزملاء. وقد أساءر البلد بالليل أوحشنى عليك الخراج وخالتك  
لجاجة.

أخرج من الشلاجه بعض الطعام جلس بأكل على منصته صغيرة في  
مواجهه الفراش.

- لم تكتب شيئًا منذ وقت طويل.

- بعض لقرف.

إدعى الصباح كان جهاز السيكر يدق دقاته الاكية في الممر خطيب  
شرط. كان عن جريمة قتل في أروجوأي. قال الخبر إن الفاعل مجهول. رغم  
أن جريمة تم في وضع النهار وأمام المحكمة. في تلك اللحظة قال صوت  
خلفي : هل لم بعد جرنالا أسبوع ولا رزق تواليت بالدورة. سميت مقربين  
من أجهزة. قلت : لدينا مصنع جاهز. ضحكنا بصوت عالٍ.

مصمم مقام الدجاجة. قال :

هنا بطر . صحتي مرموق ومرتب ضخم رجيبة معطاء .. ماذا

تريد ؟

- الحال من بعضه.. كيف أحوالكم هناك ؟

- قلت إنه عال. وأصحابك الصوفيت شدوا حبلهم على الآخر

- أصحابي ؟

لا تزعل يا سيدى. أصحابنا جميعا على عيسا وعلى رأسا  
يعنى غنطنا في البحارى. رأسك أبوسها

ضحك وأردف.

أنت مريض بالحساسية. أؤكد أن الحالة عال جينا

- هكذا قلت في تلك الأيام..

لشعل ميجارته. قدد على الشيزلونج قال :

- لا تعبر الوصع حقاً.. لا يسكر الحقيقة إلا أعمى والشك مر

مدمر

ألوف الأرواح ليست لعبة.

مدح بصيق

- نعم، هي ليست كذلك، طارت مصف ذهني في نكتة، شبان كالورد لن يظل يهكي على ما حدث طول العمر. وسنحرب بيوتهم قريباً  
ألا تحب الموت ؟

صمت طويلاً قال إنه يحال أحياناً ولكن الأمر يختلف.

تعرف. المسألة بسيطة. عندما تمر على حفل درة كفيف في ليلة مظلمة فإن حميف السيم سوف يغيبك. ربما يكون هناك من يترصدك. وإذا نلت ستروح هدواً. إما إذا كانت معك بنقية على شجر بالخوف أبداً  
هزأت رأسي وكان قد راح في صمت طويلاً. قلت إن عليّ أن أسأل محررين الجرائد عن عدد الجرائم المقيدة ضد مجهول. وحظ لي أن عددها بما لا يقاس. سأل :

- والأحوال عندك ؟

- لا شيء.. أصحابك يتلصصون عليّ.

قال باهتمام مفاجئ :

- كيف ؟

سئل «هم عبدة» بواب عوامتنا واختفى في الشهر الماضي بعض الزملاء.

- ربما كانت مجرد إجراءات عادية. هل تفعل شيئاً.

- أصطاد اللهب وأحصى الجرائم المقيدة ضد مجهول.

- الخيطة واجبة.. حولك رجال غامضون.

أين هم ؟

- لا تتخافت.. ألهد نساء غامضات أ.

\*\*\*

جلست أمامي في الشرفة. بدأ ظلام النهر كغابة من الأذرة الكثيفة بلا سابل كانت. ومن بعيد تتصاعد كحة «عم عبدة» فتؤنس وحدتي، قالت.

- لا تهو على أحسن أحوالك. ومطرتك لا تصبني.

هزأت رأسي. قلت إن الرصاص يطلق من الظلام. والفاعل مجهول. تصرخ الضحية. يصبح صوت من بعيد «جايك.. جايك يا واد» ولكن القاتل يعتصم إلى الأبد. رقتج شراك الطريق أفواهاها الفاعرة كي تقتنص صاحب الصوت البعيد تحدثت عن مسرحية قالت إنها شاهدتها في التلفزيون فسألتها عن تفاصيل باهتمام مني. أحدثت تروى بيد أنني لم أسمع شيئاً تعلقت عباي بشتيتها رادعشي أنها تنفج بلا صوت. ابتسمت ببلادة. قالت فجأة.

- أنت لا تسمعي.

- كنت أذكر في أنك لم تسألني عن «شريف».

ابتسمت وقالت :

- ربما سأسأل بعد لحظة.

قلت بيرة حاصة.

- ألا تريد اهتمامك به قريباً ؟

- يعني.. أحبه كل ما يتعلق بك.

- أحياناً أذكر في أنك قد تكونين عرفتة يوماً ما.

- لا.. لم يحدث.

- كان طالباً في الجامعة في نفس المنه التي كنت طالبة بها.

- لم أره

- وكانت به حبيبة مجهولة ، فهل هي أنت ؟

ضحكت . قالت

شكركم تصحكني

- لماذا تحبطين نفسك بالمعروض ؟

- أحطت أدق مشاعري فلا تكن طباعاً .

عدت بهنقاً

- مع أناس مثلنا عين المعروض بظرك .

- لا أفهم .

- بعضهم يسأل عني ويثقب ورائي

تحدث بعينيها ثابتتين في مواجهتي . فيهما حزن صامت متصل .

اعتذرت بكلمات سريعة . جاءت كحبة «عم عبدة» من بعد قليل عرت

سقفة صغيرة أمامنا مباشرة . قال صوت داخلها

- السلام عليكم .

وددت السلام في عجب . قال :

«عطني سيجارة ، الله يكرمك

قدفت له ببقايا العلبة . أخذ يجذب بقوة حتى مضى . قالت :

- «سليم» سافر .

- نعم . للبلد . عده راحة ٧٢ ساعة .

- أكرموه هذه المرة .

- قام يهزول ساجد يده في «موتر أمور» غداً ، أتأتين ؟

- عداً سوية أختي

مر عام بهذه السرعة .

تقريباً

قامت . أدارت الراديو . تسلت موسيقى هادئة . بدأ الجو عكراً رغم

محاولات الإصحاحه شربت كثيراً دحنت طويلاً عادت يربوب أحمر . طلقت

شعرها الطويل . فقهقت بصوت عال . قلت .

- أنت بخير ؟

- نعم . ولكنني حزينة .

- حيراً .

أختي تعرف . . نذهب طويلاً . كانت قد تزوجت حبيبها بعد قصة

غرام طويلة . تنقلت معه في كل البلاد . كان تاجراً ورحالاً وقارساً . وسيماً

أصغر الشعر أزرق العينين . كان لها ابناً ولأولادها ألبا . حل رأيتهم . هذه

صورة لهم معي

أخرجت الصورة من حقيبتها . كانت لطيفتين جميلتين . تأملت طويلاً

البرنية في عنابة

- جميلان . البنت تشبهك كثيراً .

- أمهما ترأسي . الله يرحمها . . ماتت معلقة . بعد سنوات ثملت

فيها بالسعادة . لكن لا شيء يدوم . كله يتكشف عن مرار .

- تصور أنها بعد كل هذا الحيد . . اكتشفت أن زوجها قاتل معترف .

مهرب مخدرات وفraud وقتل . جاء ليلة مذعوراً ملطخ الثياب بالدم .

تصاعدت صرخات النساء الجائزفة في منزل مجاور . دخل الحمام . خلع

ملابسه استحم . أشعل النيران في الملابس ارتدى أخرى نظيفة . تعطر

بالباسميد ضحك وقال : لها قتلته . أنا أستاذ في التصويب . طلقه واحدة

في منتصف الطريق وينتهي كل شيء . . ويستقر الدرة الباقي . وتحدد في

الفراش . ودعاها إليه .

يا لها من مفاجأة

ضحكت ضحكة طويلة عميقة

- مذهلة.. أليس كذلك ؟

- يمكن أن تحدث في فيلم من إخراج حسن الإمام؟

- أو تنشر في جريدة وحيدة فلا تؤثر عليك، بيد أنها حدثت.

تلوث شعبنا أشمئزازا وقرحا، قلت .

- وكيف واجهت الموقف ؟

واصطت الحديث، كأنها لم تسمع شيئا

- كانت قليلة الكلام.. فقط امتلأ قلبها بالنوب، أصبحت

مشركته الفراش عينا ثقبلا. ألم تجرب مرة أن تشارك إنسانا لمحتقره

الفراش رائحة نتنه تثبت من عرقه، كالدم المفقود، انعاسه يخراء كأنه

يأكل جبة، يده التي تتحسس ظهرها مكبئية الملمس، قرائنها دموى لزج.

وفي عمق لحظات الحب كانت تصرخ مرتعبة وتقوم عارية من الفراش تجري

في أنحاء الشقة، تحطمت أعصابها.

- هيه !

نقلوها إلى مصح للأعصاب. هناك قضت فترة وعنفما تصورها

أنها شقيت تماما أخرجاتها، عاشت مشوات هربية الأطوار، تسافر وحدها إلى

المصائب والمشائي وأخيرا ألفت بنفسها إلى عمق النهر من شرفة عوامة

كتلك.

ضحكت ضحكات طويلة طويلة قالت :

- وكانت جميلة كزهرة شعرها أسود، وعيناها خضراوان.. رقيقة..

وفي الأيام، هكت أمي وناحت قائلة «يا طير مقصوص الريش، ومكسور

الجنح»..

نقل رأسى فجأة، قلت إنني سأضيف هذه الجريمة إلى الإنسانية التي

سيقدمها لي محرروا الجنائي عن الجرائم المفيدة ضد مجهول، سألتها، "

- قيدوا الحادثتين ضد مجهول واحد

- الرجل الذي قتله زوجها، طبعها

سألت: فجأة

- ماذا كان اسمه ذلك «المأمور» انذى حدثني عنه؟

- آه.. حدثتك عن العديدين منهم.

لذي قتل «شريف عطيه»؟

آه عبد اللطيف «عبد اللطيف وحدي»

عش فجأة طبهاك يا جرح ماتوا وأنت له حي، قالت

- هذه أشية «عم عبده» المعضله .. لم تسألني عن اسم احتي

- وماذا يهم ؟

- يعني أسما «رجاء».. أليس أسما جميلا ؟

٤

الكفارات

في «نوتر أموره» حكى «سلم» طويلا عن «عزة البرج» والحاج

والحاجة والشوارع والناس. استعنت بنصف أدن، راسا كاسي

- صحة العملية التاجية التي قمت بها

- صحتك.

ضحكت. تساءلت عن ذلك المجهول متى يأتي فيحل كل المعيات.

يستريح القلب الذي أختبأ البحث عنه في الصباح قال محرروا الجنائي كل

الجرائم الكبرى مفيدة ضد مجهول، وفي توافه السرقات يضبط الجنائي

فقط وتأمن هذا الرجل العائد من بطن الخطر يبدو نظرا كأن قصه لا

يجري في إثراء.

- لماذا لم تأت «رهى»؟

- اليوم سرية أختها

بمراح

البقية في حياته.

لم أرد . بعد لحظة قلب .

سألت كثيرا عن برنامج الاحتفال ودققت في التفاصيل حتى ظنت

أنها لا بد آتية

(وكانت حزية أنرج طلبت أن مشرب كأسا في صحة اختها... لأنها

كانت حاضرة مقصورة الريش، مكسورة الجناح)

- صحتها .

- وصحتها... واجهتها بشكوكك لعنه الله عليك فألتها أيها اللوغد.

ومع هذا فقد تمت لك كل خير. وقالت لي أن أنصحك بالأ تعبر حقول الليرة

بغير سلاح، وإذا مت فاحذر أن تقتل غيبة

- كلام طريف . تركت الفلسفة أثارا

- وأخال في البلد ؟

- عاود حدثت غيرة قرب «دمياط» وقتل سبعة أو ثمانية

- وعنتا الحاج ؟

ضحك. قال

الفلسفة وباء ينتشر إلى العزب والكفور طلعت في دماغ عمك

الحاج اشترى يدقيه بصف عمر أخذ يلعبها. قلب له ولكنها بدون

ترخيص. نادی الحاجة أمرها أن تدبج دجاجة استمر يلعب في البندقية ولا

كانى هنا.

جا، العشاء. صعد بعض الراقصين إلى البيت.

- قلت له ياها الحاج لا تعرض نفسك للمستولية صاح . آخر

أنت لن أديع كالفرخة ستكون أول رصاصة من نصيب السائل من

الترخيص

تناول فخذ دجاجة وقال صاحكا

قلت في سرى إنه سيحرب بيتنا كما فعل جدنا السابع عشر .

شربت بعض النبيذ قلت إنه أحمر كالدم وكانت أمي غريبة.

صحكت كثيرا وشربت كثيرا تحدثت عن الحزن وسألت عن الكفريات ما

هي قلت إ طعام مسكين وعتي رقبه. ونقنقت باسمي.

كانت أتذكر أول مرة ١ كانت على هذا الفراش. ليلتها طرقت

شفتاي بنهدها. استقرنا فوق قمت. فقدنا رقتهم العبدية. كان المرید قد

تبيل في محراب الإله ساعة. ساك كالصمت كان. هرة ألوجد فجأة مال

نشران كطعل أبهجه ظهور أسنانه. وصرخت صرخة خفيفة بين الألم ونسوة.

قالت ليلتها كنت طعلی الصعير الشقي. لكن العذاب ترمد سمادتي..

إذا كانت أحتى قد انتشرت في نفس الليلة وربما في نفس اللحظة.

سرح بصري في شعر أسود طويل يتدلى من مقعد قريب. نازعتني

بمسي أن أريت عليه. رفعت عيني. انغمست في عيين تتعمران في. لحظة

بها كل شيء. غريبا ومضحكا. عينا الزرقارآن. شانه المنص. رشح الصلع

قليلًا إلى رأسه. لكنه هو هو نفسه. ضبطني عيناه في حالة تلبس.

أعنيت رأسى بقوة العاد. ذلك الزمن. خمس سرات طريفة الثباط

والسباب والعمل الشاق والمسي والموت . . هي هذا الرجل. قمت برغبة

حقيقية في المراجعة قدمت لسليم:

- العقيد «عبد اللطيف وجدي» النبيذ «سليم» أين همي.

ضحك قائلا .

والعميد . . هذه زوجتي «رجاء» . الأستاذ «طارق سعيد»

الصحفى المعروف. تمرأين له طيحا.

كانت هي نفسها. شعرها لأسود الطويل. عيناها الخضرارآن. لم

يخفج وجهها بشيء. كأنها تدرت على الموقف طرأ أعرام. قال محدثا

يها:

- الأستاذ «طارق» شاب وطنى، لكنه مشاكس. شركنا بعض الوقت

في معتقل الواحات.

ها هو العذاب يُحتصر في كلمتين. أحت رأسها بهجلال. ظل

«سليم» ينظر اليها مذهولاً مبهوثاً. اسمر هو

- حينئذ جاداً كما توسى كتابانك.. تتزولا معك كأساً.

جلست بدق غير راج. قال :

- هذه لرسوة سعيدة أملت «رجاء» أن تتعشى هنا الليلة ولولا هذا

ما رأيته.

- فرصة طيبة يا منام.

- مرسى

تجرت في الصمت كلمات قالتها أمس وأختي. كان وسبما أصغر

الشعر أزرق العينين. «البيت تشبهك كثيراً ؟ أمها ترأسي» «جاء

ليتها مدعوراً ملطخ الثياب بالدم» «ماذا كان اسمه ذلك المأمور ؟» عبد

اللطيف. عبد اللطيف وجدى. لم تسألني عن اسم أختي. اسمها «رجاء»

اليس اسم جميل ؟

عندما عدنا إلى مائدتنا قال «سليم» .

- غريبة هل كنت تتقم منه ؟

- رجا. ولكنها سألتني أمس عن الكعرات

وهما منصرفان حتى رأسه بعونا. بعد لحظات جاء التبادل. انحنى

قدم لي صينية أنيقة قال :

- تركت لك السيدة هنا

«مناجيع العوامة. ودولاب الملابس»

١

٥

الضحكات

٥

كان الهواء حاصدا البحر يضرب اللسان بقسوة أمواجه عالية. كأنني

من ظلام بعيد في عمق وادي التيه. في نهاية اللسان رأيته جانسا بقات

القصور. يغنى.

«يا ليل.. يا ليل . وأنا ما أعرفش أكذب

وانصفدة شايه المركب

وأبو فصاد. ريسها

والقط الأعمش حارسها

يا ليل... يا ليل.. وأنا ما أعرفش أكذب».

صرخت : يا «عم عبده». سينذرك الهواء. في البحر

سمر يضحك.. ويضحك. ويضحك

صرخت المرجة اللسان بقسوة لتفتت إلى رذاذ صغير قلت : «زل يا

«عم عبده» انزل . ستقع.

فهمقه ضاحكاً .

- أنت شاب خرج. رميت نفسي في الرياح وقابلت وسعد بات ؟

- لكن هذا ليس ربحاً.. إنه البحر

ضحك.. ضحك

- وماله. إنشا الله يكون المحيط قلت له شد حينك يا هانا قال

: شدوا حينكوا أنتو أنا خلاص.

- أنت عجوز مخرف

- وغرغت عياني بالدموع. قال : خليك شديد يا عبده واتشكر

للقرشية كلهم. قل لهم واحد.. واحد . سعد غنون لكم كثير

هتز النسان. تصاعد صوت إيقاع خطوات. فتحت عيني. وجدت

شبحه القصير أمامي يسألني :

- هل ناديتني يا أستاذ ؟

وجدتني مائتاً على شيزاويج في شرفة العروامة

- أجلس يا «عم عبده»

صعد على حافة شرفة العروامة. جلس. قلت

- أحبك يا عم هبة... أحبك...  
ورغم الظلام فقد لمعت في وجهه العضوض عيار قويتان.

مسلة ورد على

الضريح

و... لكاف، تلومها وحده... وكل شيء أصبح  
تاريخاً...»

دق جرس التليفون طويلاً بعد السكون في ضجة مفاجئة ارتفعت.  
كنت سرحانا تماماً استعنت بصري لدى كاي يشبك مع قضبان القطار في  
عوارض صامت وأزيز المروحة مرهق كأنما تدور في داخل رأسي قالت «ساء»  
- لا بد أن أراك، عتدي خير سي-»

صوتها مقنن ومختنق، وإنهاله اللينة السابقة لم يفارق الجسد،  
كنا معا أمس، ولم تكن هنالك برادو سوء،  
«هل هي حيلة أخرى لكي أهربك إلى الفراش؟» أما نكتسي»  
مائلة هامة.

أعبر المشي الموصل للياخزة... استقياني الجرسين ببسمة عارقة.  
والجاء ساكنة تحت شمس شتوية. رأيت ظهرها من قفاز ضيق نضر الحمرة.  
وعلى المنعد كان الباطن الجليدي لأنيق. أمتص النهر بظرائها في استغراق  
تام.



دخلت بشراة وقلق، جاءت القهوة وعصير البرتقال كالعادة بد  
الهالات القذمة تحت عيونها وأضحة وقشلت بشرتها السمراء في إحقاقها.  
- ذهبت للطبيب، وقال اننى حامل في شهرين..

- هه !

ندت الصرخة من بشكل مفاجئ. استدرت أقرب الجو حول. عدد  
قليل متناثر في القعدة أعليه من العشاق مثلنا لم يتحصى صوته من حذره  
كلها

- كيف لم تتركى ذلك قبل الآن ؟

قرضت إبهامها دوى وعى :

- ظننت الأمر تأخير عادى.

دارب رأسى دوره حادة جاء كأس البراندي سريعا. لابد من مراجعة  
المفاجآت بطريقة تضمن ألا تفننا وأى ليلة تلك التى صنعت هذه اشكلا  
لمعدة ؟ وكيف مشير الأمور ؟ كانت البداية ناس غير مقصود لى عمر  
لمكتبه نظرت اليك لحظتها نظرة فيها عيى لائم واعتدوب. أحمرت  
أديك وستطر الى الزعم بأنها وضعت وليداً ابن سبعة شهور. وهكذا  
تخرج أوى معامراتك بمصيده من النوى الذى ينير لعاب صحالة الإثارة  
والجس.

قالت بفرحة :

أليس لديك حل ؟

بدت بقبضة جدا لو تثقب اليامرة الآن لفرقت وكان ذلك أفصل  
الطوبى. لم تكن كذلك ليلة أمس. بالعكس كانت شهية ومنطلقة أقسمت  
عليها أن ترقص فلم تقانع وكنت صابط إيقاع مبتدى. ولكنك انتشيت  
انتشاء طويلا. ولستعت بكأس آخر مع استدارة العودة، لمحت فنى  
وصاة تشابكت أصابعهم وتدنات رأساهما وأحمرار ساحن فى وجنتى العتاة  
بعض ما يقولان

هل تنذرهما بالفصل الختامى للمهرلة التى يشتركون فيها ؟، ستهتم  
بالكارثة التى حلت بها وجهها أصمر الأسرار فأبن ذهبت حمرة حمرة  
بالالتهام ؟ هل طالت الأتف قليلا وبررت عظام الوجنتين ؟ أم أن هذا كله  
وهم لفتل أى شئ

- خير سيرة حقيقة.. لكن لا نخشى شيئا.. منجد حلا

يقبل من الارتياح الخائب .

- صحيح !

ريث كنفها مطمئناً صبيت لها كأسا فتصمت قليلا ثم ازدردته  
خبر حل محرى لكل شئ. سيدو الأمر أمامها بسيطاً الآن. وربما وجدنا  
حلاً حقيقة وليس عسيرا أن يوجد نصت حول يوضع كلمات حواسية  
وصحكة اعتبار فيتمس كل شئ. بيد أن ملك أحلام المحصور بين فنى  
الرحى وهناك احتمال يتصمم بأن تكون واحدة من الحيل النساب اننى  
يتحدثون عنها كل يوم، ولكن أستطيع حقا أن مثل بذلك ابراعة ؟ لم  
أنت نفسك ما كنت تتصور أنك تستطيع أن يؤلف كل هذا الكلام بدى  
فك لها في عشرات اللقاءات. والآن فلنشرى فى صحة عجزنا عن فهم  
شئ. سيضع أحاسا يده فى يده. يقول لك زوجتك موكلتى اليكر الرشيد  
«سواء عى سنة لله ورسوله». وعلى مذهب الامام أبى حنيفة النعمان  
رضى الله عنه فيسود لكذب كل شئ. حتى الوثائق الشرعية. فلا هى بكر  
ولا بهزنى. وعندهما عرفتها كانت فى حالة تحسدا عليها. لمعرفات.  
وسنوج بعد ذلك زوجا لامرأة لم تثق يوم بأنك مجرد الرجل الثانى فى  
حياتها، رغم أنها أقسمت على ذلك بدموع ساحة أكثر من مرة. قد أحلى  
راسك بالقرون. وسؤل يقفر بين رشقة البراندي ورشال السجارة كيف  
تضمن أن هذا الحمل من صنعك حقا ؟

- كل عقدة ولها حلال.

بيسة يانة قالت :

- الإلهة

- بل وهذه على رأسها. صحتك.

وصحة الصلحك والفرح الذي أدى بها إلى ما نحن فيه من بأس وشكوك. وكان الابداء بين روف الكتب والمراجع. رعت قاصتها لتحضر لى كتابا طبه. وفي المشى الصبق مسست أعلى جسدها. واجهني بظرة تأديب عابثة. ونحدثنا عن الكتب كثيرا. كانت عيناها ترقان بشئ، احترت في تفسيره. وشاقى لسراها الداني. وأثادني جسدها المتأرد. وكان الكحل في عينيها حالك السواد. لذلك بدا بيضاءها شاهقا ومحددا ولحدقتها البتار كعبون لفظة كانت عيونها. تفرست بهما بطاقتي وأمامها سد الاستعارة ومساء صيغى صين برواد المكتبة يحيط. قالت:

- أنت مهندس؟.. غريبة

- ليس ضروريا أن يكون المهندس شديد الاناقة!

- عتدرب عيناها

- لا أقصد. ثم أن أدنك مربية. فنسك طالبا. إذ لا علاقة

بين الهندسة وما تستعيرة من كتب؟.

هذه كلمات داعية لزيد من الحديث. تعبت على حرصى. عطلت -

بقرار مبي - جهاز الحبر داخل عن العمل!

- متابعك لزاجى فى القراءة يد على ذكاه ياملعوازيل «سنا».

بدلال:

- تعرف اسمى؟

- إمصاك مقروء.

ارتست عيناها. مالت حذقاتها للصحاء. خلفت قناتهما..

واكملت:

- ما تطلبه من كتب دى طابع خاص وطالبه قلّة ودائما يكون

وداهم شئ

ويبدو أن اهتمامها بجوار شخصك إلى أشياء أخرى.. وادن قليلا

مهدر نحو إلى العمل.

- ماذا تصين؟!

قالت ببساطة.

- هذه كتب لا يقرأها إلا المتطرون.

بنفس البساطة

ليكن. اعترف أنى متطرون.

- اشتراكى يعنى؟

حتى الاشتراكى أصبح مدكم مشطرقا. أنا شيوخى.

ثبنت عينيها فى عيسى لحظه. لمحت عيها دهشة مزوجة ببعض

الارعاج وبدأ كأنها تريد أن تحتفظ فى ذاكرتها بصورة كائن غريب لم تر

مثله من قبل. قالت:

تعجبى صراحتك. هذا ما حسنته. ولكنى ظنت أن هذه الأمور

بعضها خلافا.

تنازلت الكتاب. ونعت على سد الاستعارة قلت

- ليس دائما.. وخاصة لمن كان مثلى غريق ولا خوف عليه من

البلل.

أجبت على عينيها المستفهمتين قائلا.

- أعنى أثنى كنت فى السجن حتى فترة قريبة. وغالب سأعود إليه.

وبعد سأعود إليه. ولكن هذه المرة متوجهاً بأكتيل من العار، وليس

كذلك كانت المرات السابقة. فأين ذهب الحماس الذى اشتعل له القلب. وأين

الرفاق؟. بل أين العصر الذى دفعه. وقيل أسابيح قال «جودت» أنه روى

وطيفة عُرِضت عليه أميرا

- مات جنيد فقط تصور أولاد الكلب. عبادة فى الاسكندرية

- مانتا جنبه فقط تصور أولاد الكلب عبيدة في الاسكندرية  
وأخرى في القاهرة أغلقهما مقابل مانتى جنبه يا أخى هورء..

ما أصعب من بهيمة لنا كنية، وليس غريبا أن تلقيا في السجن من  
جديد هو في قضية رشود - وأنت في قضية هتك عرض. ولكننا ليست  
ناصرا لعلها تقودك الى الحكمة في قضية إثبات أبوء؟ وأمرحتاه.  
فلشرب في صحة عجريا عن فهم اى شئ هنا سقوط مشرف وتراجيدى  
حقيقة وهو أمتع من السقوط السكشيرى بمراحل - ورواها فيما تعلم أخوة  
ياكلون الحديد ومراكزهم حساسة. وفى استطاعة اى منهم أن يعود بك إلى  
المكان الذى قضيت فيه ربح عمرك لتقصي به ما بقى منه وهذا لباحرة  
كانت مفتقى الحب أيام البراءة وفيها تاجبا ذهبت في عيبها. وأحسنت  
بشوة حريفة، وأنا تلامس أناملها ومرة حركت ساخي فالتصت تحت المائدة  
بساتيها فتحدثت كل حواسي. نظرت غاصبة، أبعدت ساقي بسرعة  
غشت ملامحها سحابة صمت متجهمة. وبعد بأدل من شهر كانت تبيح لى  
أدق أسرار جسدها، ولم ينته عجبك إلا بطرقان من الخمر. ولم تكن عندك  
قد انتهكت بعد لذلك كنت مشوقا لنصة جب من العصر الرومانتيكى؟  
ومنى قضى على حزام العفة كدهرة تاريخية؟ منذ كثر لصوح المنازل،  
وانشئت مصانع الماتيج. ومرة سألتك

- هل صحيح ما يقال عنكم؟

- وماذا يقال؟

ضحكت. كنا نمر في شارع حطفي مظلم ومخال.

- فيما يختص بالأخلاق، لا تواحدنى

ضغطت على يدها.

- ليس في السجن ساء ولا خير ولا مخدرات. فلو كنا نهوى

الأشياء، فلماذا لا نحرص على ترقيه؟

أحطت كتمها بلزاعى، ومع ضغطة خفيفة أجملت :

- مضى على تعارفنا شهرين ولم أهلك بعد - وهى عفة لا يأخذ  
بسه بها واحد من المتقولين عليها.

أغمضت عينيها قال حيزها :

- وهل منعك؟

آء... كنا نلعب بالنار - فمن الواعظ السخيف الذى قال أن معظم  
النار من مستنصر الشر.. ليتما يصدق الحكيم التافه..

...

- بيم تذكر.. أصغنى القول.

فلنمد من رحلتنا المرهقة، غريت الشمس وتناثر عدد جديد من  
العشاق واحتب زجاجة البراندى مكانها بيتا.

- كنت أقول لنفسى أن حيك هو أحب شئ إلى..

- بدأت تسكر كالعادة - أنت لا تتحمل الخمر..

- هذا صحيح. ولكن بعينيك سكرت وليس بالبراندى

- تتكلم جدا؟

- لو حملنا تاكسى إلى حشنا لتأكدت أنى لا أكذب.

قال لسانها الذى بدأ - هو الآخر - ينقل .

- شيطان

بدأ الأمر كله بعد ذلك مهرله تبعث على الصحك المروع. منظره

رايت تدفع الحاسب للجروسون. تدب على نحش الباحرة فيهر بك ربه

نبحث بعينيك الملهوفتين عن التاكسى. وهى تسير وراءك أسيرة رغبته

طاغية. لتعترف بلا مكابرة بأنك تقدمت في طريق القوامة شوطا يحسدك

عليه رواده الأوانل وليليل مغرب الشمس كما نلرم النفس... فما أغرب ما

حملت الساعات القليلة التالية من تغيرات. وأول مرة أجبروك على أن تسير

عاريا جعلت حتى لتلك المحجل. رلى السجن رفض «جروت» مرة أن يلبس  
ببجاسته الجديدة لأنك لا تملك مثلها..

كيف أصبح هكذا؟.. و من استول. فتحت حقيبتها لتخرج  
متديلا عوجدت بها كل معدات المصاحبة..

انتهيا من رحلة التوتو المشهود. وهما الجسد صاحب ولم يعد سوى  
الفتور. لم تنصرف الآن لأحست صنعا. رها هي المشكلة تطل برأسها من  
جديد. وثمة سزال يعابثك. كيف طاعت قديمها وتبعك رغم ما كان؟.  
لعله اليأس لتدل. وهذا الصوت الخافت لذي يتصلل الى ادبيك شبيها  
لاشك. فما أسرع ما سسى بدمى يبدو الشبح كموا. كلب جريح فى ليلة  
صحراوية مظلمة والضوء الوحيد هو عود الثقاب الذى اشعلت به  
سيجارتى.

- لماذا تبكين؟

لأرد. حين غمر الضوء الحجرة، عطت جسدها وكان عاريا تثبثت  
بكفى واستمرت تيكى. ليس فى القلب شيء يقال. رها هى قصى كسيمة  
اليال. تغسل وجهها وتقف أمام مرآتك القديمة. تحشط شعرها بسرعة.  
وبعيد حبط مكياجها. والغريب أنها لم تس معدات المصاحبة لابد من  
قول أى كلام.

- لا تهلى فصا... ستصنع الأمر قبل أن يستفحل...

أشرفت بسمة أمل على ملامحها. جلست بجوارى على السرير.  
وبدقة حنان مفاجئة ربت على شعرى الموهتر. تناولت لسيجاره من  
فمى.

- كنت واثقة أنك لن تتخلى عنى..

أه. ها هى الأنشطة تلتف بك. ومطة بعد أخرى ستسحب الأرض  
من تحت أقدامك فتعلق بى الهواء. ولا مفر من التأجيل حتى ندير لأنفسنا  
حلا

- سأرتب أمورى... يومين على الأكثر وينتهى الأمر... تلتنى

بلائا..

هنا..

استعزتى ابتسامتها المستهتره بدعوة لم استطع التحكم فيها قلت.

- هنا. لا. فى الباحة..

ثبتت عينها فى عيني مستعظمة فى عجب قلت

- قد يأتى أبى من اليد غدا. أو بعد غد

هرت رأسها غير مصدقة. مضت.

\*\*\*

ما أمتع أن أجلس أمام أبى لأستشيرة عماده وقورة وغية أبيصت  
من رداء الأرواد والتعاويز. لم يصدق أبدا اتهامهم لك بأنه لا تؤمن بالله  
وظل كلما زارك فى السجن يسألك بسداحة إذا كنت تهلى أم لا؟ وكيف  
برحه بالقصة المحجلة؟ ومن يشير عليك فى مآركك الملمون وفى المنهى  
لمحدث الأصدقاء. عن أزمة الشرق الأوسط طويلا وأكثروا بحماس أن رقت  
الوجه قد حان. وتكرر الحديث عن الامبريالية الأمريكية ولكنك لم تسمع  
التفاصيل. وشتوا صديقا أو صديقين من أصدقاء زمان. وتذكروا أكثر من  
حادثة من حوادث السجن. وفهقوا فى قلق وتساءلوا عما إذا كان ومن  
السجون قد انتهى بالسبة لنا قاما أم عاذا؟ وأعلن واحد فى الجور حائق  
ومشع بالطرية. وأنه يتحصر على هواة الصحراء الجفاف الذى استشقاه  
فى السجن. ضحك الأصدقاء. وقالوا أنه يود أن يهرب من شى ما إلى  
السجن. وألخوا عليه أن يتكلم هل يريد أن يهرب من زوجة. أم صديق؟.  
لعله دائس سعيد؟ صديقة أم عشيق؟ أم لعل أبدا الفتوة ذهبت إلى غير  
عود. ولم بعد هناك مقر من التعلل بالسجن للهروب من لواجبات  
الزوجة؟ نأخذ الأصوات. ما رأيك يا مسعد؟

فلمتق من رحلتنا المرحقة ولشارك في هذا كل يوم. هل تجد الشجاعة لكي تحدثهم بما يواجهوك من مشاكل أصدقائك، أعمام، أعمام، وأخواتك؟  
سواء مرات. هذه الوجوه التي غيبتها الزمن فثابت بعض السوالف. وانتشرت التبعات تحت العيون. وما يخلو جسد منها من مرض أو أمراض. وكله قاموس معروف. وما يميز. أمما. متهمنة. حتى لا حصر لها في الكلبي والمثانة. وبعض الرصاصات. حتى «جود» أقرب الناس وأكرم. ترك الصراط أثناءه على ظهره. ألا تبدو إثارة موصوعك وسط أحاديثهم بكتة! كلامهم هذا حقيقة. ولكنه غير هابط كهذا. وما تفضي جلسة إلا وتذكروا موقف من مواقفكم القديمة. يبدأ الحديث بذكرى فككة. وينتهي بموقف تراجمي عميق. وما هم بخصوص في الحديث المعاد - «سعد» طول عمره جاد. ولكنه الليلة مريض بدوستريا في الغالب.

«مريض حقاً ولكن ما هو المرض بالاصطلاح؟»

- أقترح أن تشتري له راحة بيضاء على حساب

جاءت الزجاجة. قال في.

- هذه دعاية سيئة لنا في هذا المقهى.

أكل واحد من لمة وهو يأكل:

- أعجب. الناس يتصورون أنه لا يفيق من الخمر. في حين أن معاناته

جميعاً متهمنة.

- أصبح الماء يمتصني أوصاني الطبيب أخيراً بأن أدقته. وقد لاحظت

أباء من سري. ولكن لا فائدة.

«أد». وستوجه في شهر العسل بزوجه حامل قبل الزواج. تنقياً

لحظه وتجميل حياتك إلى امرأة دلالة»

- أصبحنا كالمسلمين الذين يبحثون في دوائرهم القديمة. أليس

الأفضل أن نبني أهراماً - كالمراعاة ليتفرج عنها السبا

- ١٩٨ -

لقد المائدة صمت.. تحدث أكثر من لسان.. هذا كلام له معان متعددة يا سيد «سعد» والغالب أن معدة حضرتك لم تعد تتحمل البيرة. لذلك سرعان ما تلطم وتعتكث علينا كلما شربت كوباً المطلوب من حضرتك أن تجيب على السؤال التالي: هل ما قلته سياسة أم شعر؟ اقترح آخر أن تبحث عن وسيلة لتجديد أنفسنا. طوبى بأن يحدد اقتراحه. قال: يذهب للبيعة. تحس أكثر من لسان للاقتراح في صيغة هائلة. هذا اقتراح في. يا زميل. مضي رمي ولم تلتق بالكثيرين وهذه فرصة لكي تلقاهم في السجن مرة ثانية. لا داعي لإقلاق رجال الأمن. يذهب جميعاً في أتوبيس ويعود به إلى المعتقل فوراً كما حدث في عدوان ١٩٥٦. ليست البيرة هي أنقاسه ولكن المزة كذلك. عندي اقتراح آخر. متطوع في الجيش الشعبي. ياله من مشروع عظيم. ولكنه قد يعطك عن الإنتاج كما تقول الصحب إنتاج ماداً. اختطبات الفصلية والثروة المعبية. وأيضاً مشروعات الإنتاج العظيم. الذي هو: إنتاج الأبطال. شرعياً؟ شرعياً أو غير شرعياً هذه مسألة شكلية. أنتم لا تقرأون الصحف. أحصي على كلامك الباس. أنا أقرأ صحبة انوفيات. وأنا أقرأ صحبة الفن. وأنا أقرأ برنامج التلفزيون بصحبة خير سيكولوجي بقراءة أخبار الجرم لإراحة أعصابي. وماذا كانت النتيجة؟ شؤم كوجهه. وكيف كان ذلك. الهند الثابت في صحبة الجريمة هو صور النشبات اللواتي تختفي. وكلهن صغيرات وحبيبات. أصبحت أحشى على امتى من الخروج إلى الطريق وحدها. «النوادة» أصبحت أكثر استمرجات الرأسالية ربما في مجتمعنا الناس المتحرر حيناً هل يمكن اعتبار «الدعارة» عملاً له فائض قيمة؟ مسألة تحتاج لدولة لكن من المستبعد من هذا البانصر؟ أسوأ شيء حقاً هو أبواب المشكلات العاطفية. فكلمة وحى خيال مريض. حيالك هو المريض. نحن لا نفهم في الحب فلا داعي للكلام فيه. أحببت ثلاث مرات. وكل مرة أخرج من السجن فأجد حبيبتي امرأة وقور، سمينة، ولديها طفلان على الأقل. وحامل في الثالث. وعادة ما تقابلني مرة واحدة لتطالني برسائلها وصورها إذا بعد عن شيخ

لسجن فقد أفكر في الحب. يا راجل يا عجوز مثاهيرك قد الكوذ عسرى  
 ٤. عاما فقط. ولكنك مصاب بدسنة أمراض وشعرك يتحدى اعتنى صبغة  
 في العالم. الغرب في أبواب المشاكل الناطقية هو العلاقات الشدة بين الأم  
 وابنتها ولأب وابنته والأخ والأخت. يا ساتر... هل ينشرون مثل هذا الكلام  
 حقاً. وأسوأ منه نحن دعاة حرية المرأة حقاً ولكنى ألعن اليوم الذي رزقت  
 فيه بنشد. العلاقات الأوديبية ظاهرة عالمية جديدة بهت عليك الحبيب  
 السيكونجى الحضرة الرأسالية تهاور وتحتل حلقيا وهذه ظاهرة  
 متوقعة وما موقعا من هذا العالم الأردبي؟. لم يعد لنا موقف من شيء  
 ولا فصل أن نكف عن الاهتمام بأي شيء. أقترح أن نطالب بقوة حادة لهذا  
 الجرائم: الرجم أو الصوب بالسياط مثلا اقترح رجعى ولا يعالين  
 شيئا. السياط عقوبة عادية ومؤدية. ولكنها لم تزديب «سعد» مرة كلفت  
 اللجبة المركزية أن يهتف بسقوط الديكتاتورية العسكرية في وجه نائب  
 المعتقل فعلها وجلدت مائة جلدة شروحا جسدي الله يلعنهم. ومع ذلك لم  
 تتأذّب كانت أبام. الدكتور «جودت» كاذ يفتن وهو يشارك مع الشاويش  
 «عبد» سليمان. «دكرياتك مرعية» «عبد» سليمان. كان مصابا بالساذن  
 الحقيقة أنا نحن المصابين بالساذن لماذا نتذكر أمجادنا؟ ألكى نتمتع  
 بها الآن. البطولة موقف مطلق القيمة. لا نغير الأيام من قيمته. هذا مجرد  
 كلام نغزى به أنفسنا فرحم الله أيام رمن قلوبا كانت عليه ونعموسا تقيع  
 بأعيسى على الوعظ الخائب. ولكنه كلام حقيقي كنا نمر بمرحلة البكارة. ومن  
 انذى اقتضى بكارنك؟ أنا لا أقول. ولكن «البيرة» التي تشربها هي التي  
 تهزل. أؤكد لكم أن العالم فقد بكارته. انتشرت موانع الحمل... وكثير  
 الأطفال غير الشرعيين. هذا فضلا عن تعدد الأزواج. هذه انكاسة إلى  
 المجتمع الشاعى. هناك ألف جمعية لرعاية الأطفال غير الشرعيين حسب  
 آخر إحصاء. ظاهرة مخجلة المنجل حقاً هو ما نقوله هبط مستوى الجل  
 كما هبط صمط دسى مرة قلت لرئيس المجلس العسكري الذى يعاكمنى  
 يحكم بقانون هبط ومرور محكم على خمسة سوات أشغال شاقة

وجود أدلة. كفوا عن ذكر معاسن موتاكم. أكره التاريخ الفرعوسى جذا  
 الفرعاء غالبا تتباهى بشعر بنت أختها. سأفتح محل بقالة ولن استخدم فيه  
 الدفاتر. العمل التقدمى الوحيد الذى سمح لنا به حكومتنا المعبدة  
 للاسبرالية هو أن نريد إنتاج الأطفال في بلادنا. شرعيين أم غير شرعيين؟  
 ليس هذا مهما فكله زيادة للانتاج.

\*\*\*

جريت أن أقول الكلمة. وكنت جلعا شأن القاتل غير المدرب جاءت  
 في موعدها وبقة فتنتها لن تجدك هذه البراة الظاهرة في عينيها  
 والمالب أنها فسرت كلامى في المرة السابقة آلاف التفسيرات التى يوحى  
 بها خيال مأروم يبعث عن خلاص. لا بد أن نسحب يهدوء ودون إزاحة دم  
 ولكن كيف؟. وهل افترق العاشقون اللذان كانا هما ليل أيام ام مارالا  
 يارسن حبهما. شربت عصير البرتقال وشربت قهوتى. ولم يعد هناك مهر  
 من الكلام.. وها هي تدعك للحديث. على حد هذه السكين سيدع حينا

- لا أستطيع أن أتاخر.. عاد «فؤاد» من السفر أمس.

«ها هي تذكر اسم الأخ الخطير.. فهل هو تهديد حى؟»

- حمداً لله على سلامته

بسة غامضة.

- تشاجر معى وأنا خارجة... لم تعجبه الجولة. ضيقه وقصيرة

وأجبرنى على استبدلها.

- عنده حق.

أحلت لنفسها سيجارة. وأخرجت ولاعتها من الحقيبة. بشكل تلقائى  
 سئل بصرى داخلها:

- يكون الحق عنده لو كان زوجي.

دخلنا في المتعطفات الخطرة. الصمت كالكذب مبهمة ولا طالع. بدع  
على وجهها سهم مقتعل.

- يعترض على جولة.. فمادا لو عرف بالياقي.

«بدأ الضغط على الجرح، فليخرج - إذن - صديقه».

- لن يعرف.

- هل فكرت في الأمر

بدفعة .. وقبل أن أتردد:

- نعم سنبعث عن طبيب. ومن السهل أن نتخلص من الجبين

«لا مفر قيلت الكلمة وانتهى الأمر. وننصف الآن إلى مهاراتي  
المتعددة مهارة استن بأكبر الطرق بدائية. وه هو الشعور ببتلع ملامحها  
ثم يتحول إلى اختناق تنمر معه العروق.. ولا بديل لصعها سوى  
أنكلم»:

- اعلم انها عملية خطيرة ولكني أنق في شجاعتك

«أنت معجب بنفسك حق. ولعلها تثق بنفس الدرجة أنك جبان»

- كنت أرد أن ينتهي الأمر بطريقة أفضل. ولكن يبدو أن الظروف  
الظروف. - وسوف نتزوج طبعاً وبكى في ظروف أهدأ

ونمت قبلة.. قائم بكبير.

- أن لي أن أعود أستطيع أن أدير أموري بنفسى.

\*\*\*

ضاعت عنها محاولات استعادتها. أعقلت التليغون في وجهها  
كلما اتصلت فأصبح الرين المتواصل هو الرد على أى محاولة لاستعادتها  
رمع هذا أصبح شغلك شاغل أن تجدها. والعريب أنك لم تكن تدبر

بالصيط لماذا؟. وهان للحظة كل شيء. مقابل أن تراها حتى لو كان هذا  
شيء. أن تتزوجها. ولكن صوتك كان كنيلا يقطع الاتصال ليرد عليك  
الرين المتصل. ومرة واجهت أذنك صوتاً خشنا يرد عليك في جفاء. فوضعت  
الساعة في رعب. وفي عملها قالوا إنها في إجازة ولا يعرفون متى تعود.  
وتأمر الصمت والوحدة عليك. أما رغبتك فيها فقد عاشت مرة أو مرتين  
وأثناء بحثك عن قميص تلبسه. وجدت أحد حمالات صدرها وسط الملابس.  
وما هو القميص على جسدك يدركك بها. وكان إصرارها على أن ترد هداياك  
بأخرى مساوية لها في القيمة مشار مناقشات لا تنتهى بيسكما. وقالت:  
- أنا لا أبيع بقسى لك.. وأيضاً لا أشتريك

بدت المسألة معادلة رياضية صعبة ألهم جدا. وحاولت أن تشيها عن  
فهماء. ولكنها أصرت بعناد صخري. وما كان أحلاها معانده. كم كانت  
ظفرتها تشيرك. وفي المرات الأولى بدت ساذجة. كأنها لم تعرف الرجل  
قبلك. ولرات قليلة مارست لذة أن يسلم إنسان نفسه لك لكي تكشف له  
أسراراً تنورهم أنه يجعلها بعد أنك استوعبت الحقيقة بعد ذلك ببطء.  
فألمت نفسك لها تفردك بخبرتها التي لا تعد. وفي كل مرة كب نفع  
عبيك دهشا لما كانت تعمله أو تقول. وتقدر ما كانت متعة. كانت معدبة  
ظل الشك فيها يروادك عشرات المرات كل لحظة. أبين تعلمت كل هذا  
وكيف يمكن لرجل واحد. في لقاء واحد. أن يترك كل هذه البصمات على  
جسدها وروحها.

\*\*\*

- ألف لعنة عليك يا سيد «جودت» أين احتجيت؟

انحد سمينا ومكورا

- عبادة اسكندرية دجاجة تبيض ذهبا. والنظار أننى سأعيش هان

طويلا

- ظننتهم اعتقلوك 11

تفخ دخان الهيب في الهواء وقال :

فعلوا ذلك بما فيه الكفاية . بلعنا سن اليأس .

وأجل وأصبحنا آباء لأولاد سباح .

وأية ذلك سمعتك التي لا مزيد بعدها أين رشاقة زمان

- أنت تنظر دائما للوراء . ولذلك أرجو أن تصاب بمغص كلوي .

كذلك الذي أصيبت به «مدمواريل سونيا» .

ومن «مدام سونيا» هذه ؟

- زبونة إغما . جنان رسي : مال وجمال وشباب ومغص كلوي . ثم

هي مدمواريل وليست مدام .

- نشرب كورفوازييه لنستطيع أن نفهم الموضوع ؟!

عبرت أطول من عمري . رغم أن ظنك يجعل طابعه استفلاشيا

وأضحى

جاء الكورفوازييه . هذه الجيبها النس حُيِّت من الكتوس .

على أننا قد انتهينا حقيقة . وانشكك أنه هو نفس الرجل الذي قاد أقدامنا

إلى طريق الشواطئ العليا . لتقيا آلاف لمحات وبرت العيون بالخصم

وكان صلب دواما . فمن الذي ضهرنا فحوك إلى كائنات بروتوبلازمية

سانته . وفي أي رواية قرأت أن الخمر مفتاح الفرج .

- صحة «سونيا هانم» .

- صحة المائل والشباب والجمال والمغص الكلوي .

«صحة اليأس وعذريتها التي انتهكها الزمن . ما أسرع ما يسكر

الأحر . هذا الصمت المحيط بما يدعو بكشف النفس . وحارجه بارد وليس

كذلك الداحل . فهو يفتى . ولا بد من فرجه يمتنع عنها اليحار سري الحك

من الأطراف إلى مراكز الرمي . ولر لم يحدث هنا المرقف لظلالها

لاستدعيها وعاود زمان الحب معا . أد ما كان أمتع لياليا

- لم أعد أجد وقتا للمتعة . ثلاثة أيام في الإسكندرية . وثلاثة أيام

في القاهرة . . . حتى السبعا لا أراها .

- حظك حسن . . السبعا روثية . رأيت أخيرا قبلما تأخها جدا

«امرأة من إياهن تحوم حولنا . أخيرا أصبحتنا معط أنظار الساقطات .

حجنا للبكاء وللدموع» .

- نعم . حياتنا في الواقع تفاهة مركزة . ولكن هل تصدق أن تحمل

فتاة من شباب وبغترقار . وتجنب منه ابنة . وتدور الأيام ويلتقي الرجل بإبنته

وهي شابة جميلة . فيحبها وتحبها . ويهم بها ويهم به فولا أن يأتيهما برهان

ويك متمثلا في آذان البحر المعاجز ؟

- حياال مريض . والواقع أن الدنيا قد تغيرت . سأقول لك سرا . نقدم

لعيادتي في العام الأخير أكثر من عشرين «أسنة» تطلق إجراء عملت

إجهاض .

«كيف يدفع الحديث . ومن لدى يتحكم فيه ؟ وهل تنقل الأفكار

حقا كما رسم بعض الفلاسفة» .

وماذا فعلت ؟

- في البداية رفضت . .

- أتعنى ؟

أردف دون توقف :

ألقيت عليهن درسا قاسيا عن شرف المهنة . صحتك . انكورفوازييه

جميل ولكن عيسى «سونيا» «أجل . لو رأيتهم هما اللتان أجبرتني على

إجهاضها . . أقصد على إجراج لخصوة من الكلبي . والتمن بسيط . . علاقة

حب مستمرة ومستمرة ووعده بأن استخدم مهارتي فأعيدها عذراء بيلة

الرفاق .

«فكشرو الدنيا ألف دورة - هذه الخوارق للذهلة كيف تحدث ؟ تقترب

الرمال المتحركة من كل الأقدام والنوامة تبتلع الجميع واحدا بعد الآخر . قوا

حسرتاه على أيامنا التي لن تعود . سيشتت الأعداء . ولكن أليس من العدل



أن نال نصيبنا من الدنيا، تعلبنا كثيرا وأن أن نستريح. هذه الأفكار الخبيثة متى تسلمت إلى القلب؟ والمذهل حقاً أن راحة شعيتك من قمة رأسك إلى إخمص قدميك. وها هو يبدو الآن قريباً منك جداً كما لم يكن في يوم من الأيام. حتى أيام الحماس المشتعل ولنشوات العلياء وحتى يوم وقف بجوارك في قصص الاتهام بتحدث بشجاعة تهر القلب وتقوى أكثر الرجال صغافاً. فيعمل كل المسؤولية عن الأوراق التي ضبطت في شقتكما المشتركة.

صب لنفسه كأساً أخرى. وقال :

- وأصبح على أن أسأجرتهم شمة حاصة.. والمشكلة أنها في كل فترة يجيئني بصديقة مصابة بحصره في الكلى - نمشرب أمراض الخصوة في البلد.. صحتك .

ضحكت وأنا أقول

- يبدو أن الطبقة الجديدة تتدارل لنا عن بعض امتيازاتها، مقابل مهادنتنا لها

إلتهم خياوة ملحة .

سرعان ما يجرى السياسة. ملعون أبو الذي امرعها ثم أن النساء لسن امتيازات.

- أتمر بندمي لأنني لم أدخل كلية الطب.

- لا يجرى الخيال جيداً.. والحقيقة أنني في سن لا تسمح لي بأن أرمي أكثر من امرأة، فوق التصاب الشرعي ولهدأ لم يعد هناك مفر من استبدال المفاتيح بمقابل تقدي..

ومن الذي يفسر هذه البدهيات الحيرة. ونظن نفسك قد سقطت - صافاً تقول في هذا السقوط العظيم إدركنا يا مولانا «الشيخ كورموازييه» يا قطب الرجال. ونائع موصد الأبواب، انتشرت عمومتنا في كل مكان، فوا حشرتاه على أيام اليكارة

- ولكذك لن تأخذ مقابلاً نقدياً من صديق عزيز مثل سعد،

ضحك بعريدة لغت إلينا الأنظار. قال :

هل لديك معص كلوى أنت الآخر؟... ولكذك لست هاتناً .

جارتته في الضحك :

- بالطبع لست أنا، ولكنها «سأ».. صديقتي

أكمل كأسه الأخير وضعه على المائدة قائلاً

- هذه حكاية تدعوني لاستصافتك لشرب زجاجة أخرى في صحة

الأسنة «سأ»..

\*\*\*

استقبلتني في صالون العيادة قال

- احضرن. تم كل شيء على ما يرام . ساحتاج راحة في تريد عن يومين تنهدت انراج الكابوس ستعود إلى أهدنا في الموعد الذي حددته لانهاء رحله الإسكتدرية.

أنشعل سبجارة وقال

- حرمت نفسك من لأهوه . (ثم بضحك شاحبه) ومن يدري لعله لو

ظل حياً لأصبح ثوريا عظيماً كأيده. والحقيقة أن الأولاد كائنات مزعجة ومن صبطت أهنى يتحدث عن مظاهرات الطلاب بحماس مريب.

وهل تعود أيام انتع حقاً؟ وكيف أمكن بهذه البساطة حل المعصلة

التي هيرتك. والعجيب في أنني انتى استأنفت الانتصاب بك بعد القطيعة. وحين عرضت عليها الحل لم تقانع. وعند اللقاء ابتسمت ابتسامة ذكرتك بلياليها اناصيات. فكيف يقرودنا اليأس دون إرادة صاف؟ وإلى أين؟ وهذا الحديث المتصل عن ابنه. ليس مهما الآن. ألا يدعوني لرؤيتها ؟

- أنت مدين لي بخمسين جيبها. كن حذراً في المرات القادمة مل

في مذمتي وأنت تعرفها ؟

- أقل من العام.

صمت لحظة. ثم قال :

- ليست هذه أول مرة أرى فيها صديقتك. سبق أن أجريت لها عملية إجهاض، وأعدت لها عذريتها. والحقيقة أنها لم تكن تحمل الاسم الذي تحمله الآن. فهل ليسها «سنا» حقاً ؟  
- ماذا تقول ؟؟

«صراخ، صراخ، صراخ».

- اهدأ قليلاً. رجيتى «سنا» ألا أخطرك. وهي لا تعلم بالعلاقة بيننا. لكنى أفضل أن تعرف، لكى لا تتشدد فى لوم نفسك. فلا تجعلنى أدم لأننى راعيت صداقتنا

...

«إسكندرية الأشياء متعقدة ولكن السير الطويل فوق الانفعالات أنهكتنا.. ففى ركيف ينتهى. كنا نحمل القرون طوال الوقت، لكن الأوان قد آن لنسب الضعب كله.. لديك مروت العبادة حارياً. وفشل «جروت» فى إعادتك. أنت فى حاجة حقاً لسكين تشر بها خلايا أسرطن. التى انتشرت فى جسدك. وليمكن ما حدث دوماً بها. فهل كانت تأتيك رغبة فبك أم لأن قراشها كان يعلو أحياناً من ضجيج؟ والدواء الحقيقى للألم أن تبتز مصدره.. كم مضى علينا فى هذا السير المرهق ؟.. لم طارعت بك ليصقت على وجوه النساء اللواتى مورن بك.. بيد أن فكرة اندست فى تلايف العقل فجأة: لماذا غضيب هكذا؟ لماذا تلومها وحدها؟ وكل شيء أصبح تاريخاً. وهى جميلة وفى النفس رغبة فبها.. فلماذا مكبتها؟ هل جلدنا موافقاً من كل شيء. ولم يبق سواها.. متى تنتهى بلاهتها؟»

واجهتُ محلاً للزهور دعنتى البائسة ببسمة تجارية. خرجت حاملاً باقة من الورد. عدت إدراجى إلى العيادة.

(١٩٩١)

## نصف كروب حسن وهووع الصبايح

«... أناغرة اللبل أنت يا حبيبى...  
أرى إقن ذلك اللبل الطاهر ؟...»

١

بعت اسمها وحكمت مسعود الصعدي.

عندما فتحت عيسى فى الصباح، قررت أن أقول لصديقى «حسن» رأى الحقيقى فى سلوكه، بيد أنى عدلت عن قرارى تحت الدش. رأيت من الأفضل أن يكبح الإنسان جماحه المتطرفة. وأنا اشرب كروب اللبل، انتهيت إلى تشخيص عيىنى لحالة «حكمت مسعود الصعدي». قررت أن أكتبه وأصه إلى ملته بمجرد وصولى إلى المستشفى وأنتهيت فى تلك اللحظة إلى الاقتناع بأن رجلاً مثل «غونار يارينغ»، هو شخص سعيد بلاشك، لأنه يتجول فى العالم، رادن فإنه لا يعرف الملل. وأنا أخلق ذقتى فكرت فى أن جارتى تتبع المذهب الحنفى، بدليل أنها استجعت لتزول جنابتها فى الصباح وليس فى الفجر. وقلت، ربما كانت مالكية أيضاً. أظن أنهم أيضاً يبيعون هذا قطع ومروك «حسيده» المناقشة بيوم وبين نفسى اضطرت للاقتسام فى وجهه. تركت يدي التى امتدت للبحث عن كتاب

«الفقه على المذاهب الأربعة» معلقة في الهواء. قلت: في الظهر سأبحث في الكتاب عن رأى المتأهلة في إزالة الجنابة. تاهت كلمات الترحيب على لساني، ذلك أن الشيخ «رمعت» كان يترجع في الثالث الأخير من رأسى ويرى «أيسا تكبروا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة». فتفتت «الله. أحسنتم يا مولانا. كان «حسين» أن زوجته سيقتنا إلى السيارة. وأخبر عليا أن يثني بها فوراً تصاعد نغير السيارة واشيا بطيق صدر متعرج. وقلت أن صدرها صغير كالنبته.

استقبلتني باهتمام تليفزيونية مذبذبة. فقلت أن اهتمامها تتناسب مع شعرها المستعار. كانت «هلرند» في ذلك الصباح الشتوى، وهذا يعنى أنك في يوم «الإثنين». وشت البلورة التابلون بها، فقالت أن الكومبين الذى تلبسه أسود أصبحت أعرف الأيام بلون شعرها فهي شقراء في يومى السبت والإثنين. وسراء في يومى الأحد والثلاثاء. أما بقية أيام الأسبوع، فحسرها كستنائى غالبا. كنت أفكر في أن احتمال رأس السنة هذا العام، ينهى أن يكون مهولا كما يجب لسنة تودع عقد. كملا من القرن. لذلك يجب أن تكون كرنفالا هائلا، ولما لا تكون جعله تنكرية. ففكر في القناع الذى تلبسه. أمامك بضعة أيام. لم نتحدث إلا بعد أن قدنا بها أمام مبنى التليفزيون. تنفست لحقتها براحة. فتحت صدرى. شممت نسمات النهار الندية.

انتقلت إلى المقعد الأمامى بجوارى. اهتزت عروسة قوقازية معلقة على دجاج السيارة أمامنا. ملابسها زاهية الاضرار. ملامحها دقيقة وعيناها جميلتان داعبت وجنتيها ضحككت. قلت: لو كانت امرأة حقا لتدلتهت بها حبا خيل إلى أنها تنضم لى فكوت في أن الحكيمه التي تعمل معنا في القسم تبدو مستجيبة، ولكن لأنها تحمل الاسم نفسه الذي يحمل له زوجة صديقى، فأننى أتردد كثيرا في مغارلتها. وأمس انتحنا «ضحى» - وهذا هو اسم زوجة «حسين» أيضا - تعرض على أوراقا، مجاورا

ساعدانا، سرى إلى عيبرها داعيا وجادبا. وللحظة كدت أحضن خصرها إلى. ولكن اسمها - «ضحى» - طفا فجأة على سطح الوعي. باشت رغبى. أبطأت السيارة وهي تدخل زحام مينار التحرير. تحدث «حسين» عن يرباع زوجته. قال أنها ستسجل حلقة جديدة مع اليوم. أردف: من الصعب أن تكون زوجا لامرأة في شهرة «ضحى» رأيت غير مشهور.

ضحكت دون أن أنتج شعنى. غمرت للعروس القوقازية. نظرت إلى بديين صاحكتين. قلت:

ولكنك تاجر ناجح ومعروف في السوق.

قال بلهجة محايدة:

- بشيرون إليها دائما كلما شوهنا معا. وفي لأسبوع الماضى عرض عليها مخرج سينمائى أن تعمل معه.

أوقفنا إشارة مرور. قذف البائع بصحف الصباح. ألقى نظرة سريعة على المانشيت الرئيسى للجريدة. قال:

- متصيح لسويس أكوام حجارة، بعد قليل.

«سبحت بقوة. كان البحر هادئا. عبت مبللا الى «لكابانوس». طليت رجاجة كوكا كولا شربتها وألقيت بها فارقة على الأرض»

أردف:

- حسارة

لهجته محاسبية. شارع القصر العيسى هادئ. أما الفيلا فإن «جبل عتاقة» كان يحتضنها. قلت أما لا نتكلم نفس اللغة، فمن يترجم.

- أظن أنهم عوضوك بما فيه الكفاية.

قال ساخرا:

- ملائيم وشرفك وفي التجارة ليس المهم رأس المال، ولكن : السرق والإسـم التجاري وحجم التعامل.

ها هي الهمم تغل برأسها من جديد. وأحياناً يبدو كأن الدنيا قد حُفبت منه مسحاً يدعو للاشمئزاز وأين ذهبت فكرة الصباح قبل اندش. لولا صداقة الطموحة والصبا لعانيها كثيراً من سحابة ما يقول. وربما وضع سيارته تحت تصرفها وتعرض لخطر حقيقى.

قلت .

- ولكن الوطن فى خطر، وكل شئ يهون .

صحك مذهقها قال

- لن أكرر حلقى الدائم معك . عيبك أنك تصدى كلام الجرائد وأنا المحدث أى إبن كلب من الذين يكتبون فى الصحافة، أن يصحى حتى بمجرد موعد مع موسى بلدية من أجل الوطن الذى يكتبون عنه بلا ونهراً.

تصاعد إحتجاجى صاع فى موجة صحك صاحبه أنهى به كلامه.

قلت معاتياً

- كثيرون ضحوا، وكثيرون سيضحون، والحقيقة أنك لم تهتم أبداً بأشياء من هذه.

فجح ضائفاً قال

- ماذا أخذت من الحرب؟ دمر فرع السويس وفرع بور سعيد وحسرت الرهائن والاسـم التجارى نظير ملائيم.

ثم أعن بالرد عليه. قلت أن شيئاً ما يجذبى إليه، فما هو؟ فكرت فى أن أبحث ذلك مع خطيبتى «كوثر» فى المساء. ولكنى لم أقرر ذلك نهائياً، إذ لا بد أن سؤالا أو أكثر سيقتران لى ذهنها. برى هل فكرت يوماً أن تلتقى بيت مثله؟ وهى أى منطقة بالنصيط من كيانها المتعرج بالحياة تكمن تنتها رجاءيتها؟ فى الابتسام؟ أم فى رنة العين لعلها فى الشمس الرقيق. قال :

- هل دعت؟ حلك على. أعلم أنك صحبت بالكثير، ولكن لعلك توافقنى على أن خسارة مجهود العمر شئ مزعج.

رائفته. أردت أن اتخلص من إلحاحه. أعود لاستيطان فكرة ما كانت تشعنى. صمت طويلاً. سألتى بجأة عن «كوثر». قلت

- ليست على ما يرام. تشاجرت أمس شجاراً مرعاً

استمع إلى التفاصيل بأنباء. توقفت العروسة القرقازية عن الإهترار. وأنا أروى تذكرت أنها قالت أشياء سقيمة. حذفها من القصة. ضحك.

- النساء مشاكل معقدة. «كوثر» لا تفرق كثيراً عن زوجتى. وهما ابتسا حالة، وأرى أنكما فى حاجة إلى تغيير الجو

- يعنى؟

- أظن أنكما تشكوان الملل. إسمع . لماذا لا تسافرا؟

- إلى أين؟

- إلى أى مكان. أو حتى لا تسافرا. ولكن لا بد أن توهم «كوثر» بذلك.

لا أفهم..

انتهاز فرصة الإشارة ليشعل سيجارة. قال :

- أنتما فى حاجة إلى موقف تراجمدى.. تصور لو قلت لها مثلاً أنك مريض بالسرطان وأن انطبيب أكد أنك لن تعيش أكثر من ثلاثة شهور ستدب الحرارة فى عواطفكما الباردة وتستعيدان أيام الحب السعيدة. أو تزعم أنك ستسافر إلى أى مكان وتدعوها لوداعك فى المحطة.. ضحكتم..

- ولكن هذه فكرة سينمائية مبتذلة

- لو سمعتك «صحنى» لأشبعتك سباً. هذه فكرة حلقة التليلة بى

- لر سمعتك «ضعي» لأثيمتك سباً. هذه فكرة حلقة انبيلة في برنامجها «دروس في السعادة الزوجية».

ابتسمت. قلت أن الله سلم. وعليه في المستقبل أن يشهد إلى ذلك حفظاً للسلام العام. كاد وهو مستغرق في الحديث أن يرم بالمستشفى دون أن يشرف. ودعمته دخلت.

\*\*\*

روائع العقر نهبط. نساء متهدلات أكلهن الرز. ذهب الجوع بتضارة العسرية. اعمل مهرونون هذا المرض شاطهم. جلس بعضهم يلهم. رائحة الفرومالين اللعينة. موظف الاستقبال يصرف تذاكر الحمراء. تمورية تصح البلاط في نشاط حياني واحد وآخر من يعبد يدت حجرة الأظياء. خالية. مريضة من عنبر ٣. صاحب طلعنها إلى دورة المياه. بحث في خيرا. ابتسمت. لو كانت أصيانتها تتحقق أليس من الأفضل أن تحتفظ بها نفسها؟ كانت حجرة مكسي نظيفة. بدليل أن المقعد كان فوق المكتب. ارتبكت التموجية. فانت.

لا مؤاحدة يا أستاذ

ببسمه أراالت إرتياكها :

- لا عليك، أظني لي القهرة لو سمعت

بدأت تنظف المكان على عجل. تعثرت في سجادة الأرض. كادت تقع فتحت باب الشرية. رفعت أنامل ما حولي في انتظار أن تنتهي من عملها. أطلت من مكاني على زحام المنتظرات في «الاستقبال» أطفال. وأمهات ولا أكثر. بعضهم يلبس المدرسة. مرايل من النيل الرحير متبلدة بالمرق والنراپ وأثار الخلويات الرخيصة في جيوبها. يقع من المبر الأمهات : ملايات سوداء مليئة بالرتوق. رجوه ساهمه مثقله بما تحمل من هموم. تأين نظرة الصعاء. في حذقات الأعين؟ يسحب الذكر نفسه على

أصبحنا من متفرجى الشرابات. ك يوم سباحى بحر العرق النضج. وكم حست الجيوب: طلقات. قبلة «ميز» تحمها الكف في الجيب. والأصابع تمسك مصدر الأمان. عدت إلى المكتب. الأوراق ملقاة بأصاها هنا وهناك. تعال تسبح في بحر الكلمات بلا معنى. نعترق بشوة مريضة بين أحضان «كرثر». نثرثر بين الحين والآخر بكلام لا معنى له. ما أجدر أن تصبح يوما أنشط التيار بالخط الكرى تكتب على باب المجل «رأفت المشلاوى». ماصل سابق. (الأدلة رصاصة في الفراغ اليسى. ندبة فوق الحاصب. وطعنة سوكي في الصعد الأيسر) مستخدم لتوريد جميع الشحارات لزوم الاحتفالات والمواكب والمقلات وشعر المناسبات الركيك. مؤلف كتاب «الطلقات في مقاومة الآفات بأحسن الكلمات».

تأرت ملقا كان يرقد متزوا في ركن المكتب. على غلافه «سرى جنة» المعلنات الواردة به تستخدم لأغراض مهية ولا يعنى لأى جهة الاطلاع عليها أو إستخدامها. ابتسمت سائر. كان عثرانه «بعث اجتماعي لحالة المريضة حكمت مسعود الصعدي». قرأت تشخيص الطبيب لحالتها. «روماتيزم بالقفص. ضيق بصمام الميرال. درجة الإصابة - ٤». رتبت الأوراق انقلية هي الملف تبدو كالزهرة. فكيف يكمن الموت في قلب الرهور كالحديقة النكراء؟ يومها كان صبح كهذا الصبح. جلسة كهذه الجلسة. وترتيب أوراق كالفى أفعله. أول ما رأيته منها أصابعها الرقيقة أمام الكتلة الخشبية التي تحمل إسمى في مقدمة المكتب. خيل إلى أن يصري يخذعنى. إذ كيف يتأني أن تثبت هذه الأصابع في لوح الزجاج الذي يعطى سطحه؟ رعت رأسى في فراغ اعرفة اليارد رأيتها. أطول من المكتب قليلا شعرها أشقر يشع شمساً عيناها خضروان بلون الحلم بشرتها رائنة. نقيه. ملامحها دقيقة. دقيقة. قالت بدمعة.

- أيا وحكمت مسعود الصعدي.

كدت أضحك. تقدم بمها يرقار لا يتناسب مع سها الصغيرة تسكن سنوات بالكاد. ملابسها فقيرة بطورة مشجرة وجوبلة صوفية قديمة

شعرها مصفر بشرائط بلون البلورة.

قلت :

- نشرفنا بأست «حكمت» لكن كيف دخلت هنا ؟

قالت بصوت حفيض وهي تحيط قمها براحة كفها :

- أقول لك بشرط لا تقول لأحد

فلكنسى حالة نكوص طفليتي قلت وأنا أحصى صوتي مثلها

- لى أقول لأحد هيد، كيف دخلت ؟

قالت بابتسامة شيطان وليد :

ضحكت على «حالة منيرة» ودخلت .

نظرت إلى مقعد بجوارها كأنها تستأدى لتجلس . قلت :

- «حكى لى»

نظرت إلى مقعد بجوارها كأنها تستأدى لتجلس . قلت :

- «أعندى»

- متشكرة . أصلى تعبانة شوية ..

أتاح جلوسها فرصة لتأملها عن قرب . تبدو جميلة كرهرة غسلها ند

الديجر .

قلت أستعئها :

- هه .. كيف ضحكت على النمرجية ؟

ضحكت ضحكة طفلة أسرة

- قلت لها الدكتور «وداد» تريدلا، جرت مسرعة، غففت اليا

ودخلت.

إبصمت كأنها تشهدنى على ذكائها قلت

. نت شاطرة

- متشكرة

تبدو شديدة الأدب . قلت

- جنت وحدك 11

- لم يرض لى بالمجرى معنى شعل . جنت مع جارتنا . ونفى «سعيد

أعندى» أن يعطينا التذكرة قال: إنا تأخرنا، ركبت الأتوبيس وحياة ربا .

ومع ذلك تأخرنا .

تبدو عارفة بكل شئ . إسم النمرجية، و «الدكتورة وداد» . وأهله

«صحر» الحكيمة أيضا وسعيد أعندى كاتب الاستقبال .

- أت عارفة المستشفى جيدا

- أصلى عيانت من زمان . جنت هنا كثير وأنا صمير . ثم انقطعت ..

هايزة أكشف الله بجليك .

لهت .. بوقتها عن الكلام برهة .. طليت لها شبا . ترددت قليلا ثم

شرته . كان الجو بارد . الحجره رطبه كأنها ثلاجة عاسدة الموتور ثارت

«صيره» أرعت . أرعدت . جرت هى فى الحجره . احتصب بالمقعد الذى كنت

أجلس عليه . قالت «دميرة» .

- هذه قلة أدب . لا مؤاحدة يا أستاذ . قد ضحكت على هذه

الشيظانة

قاطعتها :

وعبها «بأست منيرة» . إذا ما جات بعد ذلك إدخليني فوراً

نظرت «دميرة» بهجيب . قالت :

لقد أرسلتني للدكتورة «وداد» . وأرسلت انت «صحر» الحكيمة

إلى عنبر ٣ ثم دخلت الحجره .

بحسم :

- أنتهيأ أين الدكتورة «وداد» ؟

- تمر على عنبر ٣ .

- بمجرد عودتها أخطربنى ..

مضت التصويرية. هادت هي إلى جلستها لاهئة. في عيبيها  
الجميلتين نظرة أسب. ربما لأنها لم تزد لى ما فعلته بالحكيمة قالت بعد  
لحظة:

- ألى تكشف على أنت. هل رعلت مى؟

رمت على كنيها .

- لا. لم أرعل. ولكنى لسب طبييا. أنا اخصائى اجتماعى

بحيرة .

- مشرب اجتماعى يعنى. كآبله «محاس» هل تعرفها؟ هي  
الصمان الاجتماعى بالساحل.

وبصوت خرس :

- رحت إليها كثيرا. طردي العرائش قلت لها يا أهدى معن والدة  
العظيم غلاية وأبرى عجوز. وحالى شغل. وأحس «ليرا» عيانة بعقلها .  
كيب الكلام. وقدت عودي بعد شهر. ولكنى لم تصرف لك شيئا مع أنهم  
صرفوا لأم مسعود جارتنا اتقيى جيهه مره واحدة..

\*\*\*

استقبلنى الطبيبة بشطرة متسائلة. كانت تقمص عددا من رسوم  
القلب بعدة ويكتب قراءتها. شرحت لها الأمر دعته إلى مصصة الفحص.  
ترددت قليلا قبل أن تستجيب لأمر الطبيبة بتعريه صدرها. ابتست. أدوت  
لها ظهري. وقفت على ميرن صغير بركن العرصة أن يعنى استفرقت  
الطبيبة وقتا طويلا فى الفحص. بعد الإنتهاء منه. قالت بالانكليزية :

« حالة موهجة لو ظهر رسم القلب كما أتوقع. «ضحى». «ضحى».

جاءت الحكيمة تتمايل. دست نظراتها بين عيني قالت الطبيبة .

اضبطى جهاز رسم القلب. سأجرى لها أشعة نظرية

دعته إلى جهاز الأشعة. بصرى الهك يحادر أن يصطدم بأرداف  
«ضحى». كانت تتحرك بحيث تصطاد أردافها بصرى. وهي مسهمكة فى  
إجراء رسم القلب. تابعت ريشة الجهاز الصغير وهو يرسم النبضات. قلت أن  
ذلك كله يعنى أشياء. قد يكون بعضها مرغيا. كما يعنى «الرسم البيانى  
لزيادة وزنى. فهل هنا دليل على الراحة أم النبلد؟ رؤية صرورة قديمه  
لتنسى تعنى أشياء كثيرة. صحتك «كوز» طويلا عندما رأتها قالت  
كنت رفيا كبوسة. وحلقا. فما أحسن شريك الدوغلاس. ريلف ك  
بببب لآتمان ضائع لا يجد من تلمه. أما الآن فها أنت تبدو مرتحا. وإد  
ما تروجا. إرداد وريك. سيكون هذا شهادة لى بأسى زوجة ناجحة. فما  
مدنى هذا كله؟ تعمل الطبيبة فى انهساك. «ضحى» تسلف أردانها  
اساتته. فأين قوات الدع التى تستطيع أن تصد هجوما يوجهه عقل  
اليكترونى. كذلك العقل الذى وجه غارات حلوان وزادى هوب؟  
فى الاجتماع الأسبوعى للقسم. قالت «الدكتورة وداد» .

- حوكل إلى الأستاذ «رأت» حالة جديدة تدعى تدعى «حكمت»  
مسعود الصميدى». وقد أجريت لها الفحوص الضرورية. وتكشف ألسانج  
عن أنها حالة صالحة جدا لتضم إلى عبة البحث الذى لجره.

تراكبت هي وعدد من الأطباء. وأستاذ القسم بالعديد من  
اصطلاحات الطبيبة كنت قد حفظت لمصطلحات. أتقتت ترددها دور أن  
أهم معصها بالتحديد. لكن ذلك لا يبدو مهما كما لا تبدو «حكمت»  
نفسها مهمة بالسبة لهؤلاء جميعا يتحدثون عنها كما يتحدثون عن شران  
التجارب وكلاهما ولكن من يعانى حقا ما تعانيه؟ من يلهث كما تلهث.  
يصاب بالدوار تقطع أنفاسه تضيق. يصغر وجهه تهرب الدماء منه  
تقلنى بالأورام كل مساحة من جسده. الاجتماعات تبدو جميلة. رجاء مسقون  
بردى أدورا فى مسرحية بلا معنى. يكررون ألباذا يحفظونها عن ظهر  
قلب. فلماذا لا يصغرون أفتحة عرق وجوههم؟ متى تخمين هذا المظف  
اللاتكى الأبيض يا دكتورة «وداد»؟ مشوق أن لداء اللحم الذى يعطيه

مطفئك الشلبي هذا بدت لفكرة يومها سرداوية ومتشائمة، كمكرة محل  
التجارة التي تعابث بومك وأرقك، فمتى يذهب هذا الليل الساجي ويأتينا  
الضحى؟ لا تنقص أحدهم الجديدة حتى «وداد» نفسها، يبدو كل شيء  
عسفا وقود لأبحاثها لا ألوان ولا أصباح. في أحسن متعددة تسمى بهاتيا  
أما أنشئ، رغم جمالها الذي يبدو صارحا ولتقر بأن هذا جميل وعظيم.  
لكي شيئا ينقصه حتما، بما هو؟ آه، ها قد تذكرنا القط فجاء ينظ.

رفع رأسى عن الملف. أغلقت. كانت قد وصلت إلى منتصف  
الحفرة قال:

صباح الخير يا أسند «رأفت». سأشرب قهوتي عندك. احتل  
الأستاذ وأطباء الإيماء العيادة والمكتب ولدى عمل هام

سحبت مقعدا جلست خلف مقعد مرسطة الطول بهتها «صحي»  
يبدو من انقلب جلس على مقعد أمامها. تحولت المنصة إلى سوق.  
أشعلت أوراق رسم القلب. ملفات. مقص. زجاجة صمغ. دباسة. اهمكا  
في العمل. اصطادات عين «صحي» عيني أكثر من مر. يرتب عنهما  
نظرات عروى وتشجيع. أصبحا حبيبين فيما يبدو بلعة العيون. النظرة  
داعية مما الذي يصعدنا؟ أهر لا تشرأز من كل شيء؟. تحمى «وداد»  
جسدها بمعطى الأبيض ونظراتها الطبية. شمره مكرم فوق رأسها قلت أن  
البحث عن الأنش في هذا انكيار الرقور المشبل في معبد العلم يحتاج إلى  
مجهود. ها هي العين تضطاد ما لم يستره المعطف من ساقها يشير الجراء  
الأخير من ساق بأن الفخدين ممتلئتان ودسمتان. القاعدة في رأسى تقول إذا  
كانت المنطقة من اركبة إلى القدم كالتهم المقلوب معنا يعنى أن الأفعاد  
دسة وليئة الجلد أبيض ولا مع. وكيف تلتف هذه اعنته المتعجرة بهذا  
الاهتمام الرنور بالأشياء؟ ها أنت متليس بفكرة إقطاعية رجعية تنتمى إلى  
العصر الوسيط.. فهل هي كذلك حقا؟ أم أنك مشرق للبحث عن الإنسان  
داخل هذا الكيان الذي لا يرى البشر سوى موضوع لبحث دون أن يخلق قلبه  
بخطاب الذي يفأسويه. لو قدر لك يوما أن تعربها من كل هذه الأقمعه،

فماذا أنت فاعل؟ أقسم بين شاحك مقاديره أن يحبل ثورعى إلى المعاش  
قبل الأوان لأضربها بالسوط قبل اضاجعة. هي وحدها التي تعرف حقيقة  
المرمى وحظوظه. إرتفع اهتمامها بحكمت إلى الدروة. بيد أنه كان في  
الحدود التي ترسمها لكل شيء.

- إنها حالة عودجية كما قلب لك. فتذجر بدلالات خطيرة وهامة.  
وإذ صحح ما أفترسه فإنها تصلح موضوعا لمقالى الدس للمجلة الطبية  
لأميركية.

آه، أين السوط يا أولاد الكلب؟. رعية قمع السكر المقلوب الذي  
ينم عن جمالي الفخدين، لأضربك بالسوط وأعلمك العذاب الحقيقي.  
وليكن ذلك آخر أعمالى لثورية

رفعت رأسها فوحت بملف في يدها. قالت  
- يا أستاذ رأفت فحسا منا طيبا لحكمت لسميدى. وقد تضخم  
كما ترى، فهل تضخم الملف الإجتماعى أيضا؟.

آه «الملف». سرعان ما تحول إلى أروى فكيف تتحول نظرا العين  
للسجية إلى ورقة؟. والبسمة والنمازتان الرقيقتان فوق الوجنتين؟  
أذكر كوى بأدوية «الصحة» والمرارة. قلت

- أنت نشطة جدا يا دكتورة وهذا طبيعى، أما بالسبة نى فقد  
أجريت مقابلة مع الفاة نفسها وحصفت على بعض المعلومات القليلة، ولكن  
لفسة في الرقت نفسه.

أو مات برأسها. قالت:  
- هذا جميل... وبالطبع سترور أسرتها في المنزل..

نعم. وصحتها في خط سيرى هذا الشهر، بعد حوالى عشرة أيام.  
مارلى الحكمة بإشارة منها بعض صور الأشعة قالت:

- هذه صور الأشعة الثابتة. وتقارير عن آخر سرعة ترسيب الدم  
أجريت لها، وهو مرتفع جدا



تتكلم بعصا تنسى أنى لست طبيبا. أخذت أتناول صورة الأشعة وقد رفعتها أمام عيني. ها هو قلب «حكمت» مجرد صورة، لا تتكلم معي لأن عيني لا تحسان لغة الكلام على البدائن البلاستيكية الشفافة. أين الضحكات والبسات التي تملأ؟ أين الحروف والجوع وصراخ «ثيرا»، أحدها إلهية النقل؟ وأين أقدام «عم مسعود الصعيدي» المشتقة من الحذاء طول العمر؟ وأنا أمرك وجهي لا تظهر برؤية الصورة، نفدت نظرتي عبر سطحها الشفاف في منطقة معبرة، رمادية، لتلتقي بعيني «ضحى». لا هذا هو الكلام واضح فيها وبلا تردد هذه النظرة - كما يقول قاموس النظرات الذي أعرفه - تسمى دعة للرقد مرفها فتت أعيشوني يا شرطة الآداب، ها هو تحريض عظمى على الفسق، ويسا قلب مريض تعيش بسامته، ومحارب العلم أمامنا يرتدى معطفا تلجيا، فليتمظ أولاد الكليج وتتضفى في عبيك الساكنين حصوة ملح، فإننى حزبي وملوب، مفتون وقائلي علامات استعظام لا تنهني.

قالت الدكتور بلهجة نحاسية :

- القلب محتضم جدا - هل تعطى فكرة عن شروعي لا جماعية؟

نارلتها الصورة، قلب .

- التفاصيل التي عندي قليلة جدا، تعيش مع أخت كبرى مريض عقليا فيما يبدو، الأم متولفة، الأب شبه عاطل، ويعمل أعمالا مشرقة وسكتي، «عزة الورد».

كانت تكتبه، قالت :

- «عزة الورد»؟ اسم جميل.

أجل «عزة الورد». والآن بدأت هكذا مزهرة ونقية، ظهورا كحبات الندى الموزلق في صوم الفجر دن جرس التليفون، كانت «كوثر» قالت بلهجة تقلد فيها محلة سيمانية .

- أنت غاصب منى!

توشعنا بالصبر اللهم طورك يدورح

- لا أبدا.. تعرفين أنى لا أقدر على إغصابه.

لاحظنا أنى خففت صرختي تظاهرتا بالانتمالك فيما بين أيديهما.

أثقت «ضحى» نظرة أريكتي. أعطيتهما ظهري بحركة غير ملحوظة. قالت هي :

- ولكنك كنت المخفي.

طرات الفكرة على رأسي فجأة. قلت بلهجة عاطفية

- ليس هذا هو المهم الآن، لا أريد أن أسافر ويبت غضب

قالت .

- تسافر؟ إلى أين؟

- واحد قريب مات في الجبهة، سأحضر تشييع الجسادة. وسأبقى

هناك أسبوعين تقريبا.

صاحت على الطرف الآخر :

- غير محقوق، هل أحرم من رويتك أسبوعين كاملين؟

أبهجني كلامها. هل أن أن نقر أن برنامج «دروس في السعادة الروحية» هو ألميح الترامع على الإطلاق؟ هل تمرى الحرارة في أمانا الرطبة؟ لنذع الله ألا ترى الحلقة التي أعدتها بنت حالتها، وإلا إنتضعا وانقلب عينا قصدا قلت :

- تعلمين أنني لا أطيق البعد عنك. ولكنها الظروف

قالت في إستسلام اليأس :

- ومتى تسافر؟

- الليلة - نطار الكمنة والنصف.

قالت فجأة

- هذا يعنى أنك لن تحضر احتفال رأس السنة.

- للأسماء

- هل تأتي لتودعني قبل السفر ؟

طائتي على التمثيل تنفذ، نأكلهم إمددنا بعورك. قلت :

- لن أستطيع ولكن سأكون في المحطة في الساعة الصالحة والنصف. هل تأتيين ؟

قالت :

- نعم .. سأتي ..

وضعت الساعة. في نهاية المعادلة، كان صوتها متهدجا كالمرشة على الهكاه. فهل هو جزء من التمثيلية أم أنه صادق ؟ فكرت كغيري متهدجا. ها قد نجحت خطة. نجباني لك أينما التليفزيونية الشترا، السمراء، وضم الكراهية المتبادلة. ولولا أنك زوجة صديقي، وأسمك مطابق لاسم تلك المرحضة الدائمة لتعرض على المص المعلن، لكان لنا معك في آخر.

في المكتب المقابل، كانت الطبيبة تنظر بتمعن إلى رسم القلب.

قالت

- اشك في أن هناك شيئا ما في «الأورطي» أيضا

باعت مرحتي.

٢

المحتجون

في القاعة والنصف لمحرك القطار ولم تأت «كثرة». أوشكت على الانتحار كمدا لتخلفني عن وداعي. ففرت من القطار قبل أن يغادر الرصيف قاما. قلت أن الطغرس التي رستها لحقتنا الرثيبة لن تمارس. يا للأسماء! ضاح جهد اليوم هيرا. كانت ستأتي فتجدي قلقي «دخ بشراقة. أنف معها قليلا تسألني لماذا أسافر فأقول : واحد قريبي، مات فقلته إحدى الحارات

على السويس تنزعج. كيف ؟ ... لا تسافر الصحف تزعق بأن أمان إلفابل تلقى على المدينة. هل أنت مجنون ؟ أصر على السفر. لا بد.. الزواجي يحتم هذا. والخطر ؟ ليس مهما في سبيل الواجب. أنت أعز شيء عدي. أرحمك

إذ ذلك يتمم بسمة غامضة. أقول :

- لا نخاض على يا حبيبتى .

أقبلها على وعلى هذا الرصيف. تلمس جسديا الشهى بجسدي. تدرب في قمع وجهها كالقطة في صدرى، تشرق عيناها بالدموع، أقبلها. أنقر إلى القطار وهو يضى. تنفح في على رصيف المحطة، تصرخ . أكتب لى. أقول بيضة من ٧ يومه لخطرك كل يوم، إظمتى .. سأعود بمضى القطار. يغادر الرصيف، يعتمد شبحها الرلوي، يقبض في ظلمة البعد والليل. تلوح بتدليلها الصغير. ألوح بيدي. عند قلبوب، أغادر القطار. أعود بالانوييس إلى بينى، بعد يومين أتصل بها، لا بعد ثلاثة أو أربعة. أقول: عدت يا حبيبتى. لم ألق البعد هناك. فلترضي شطارتك أينما التليفزيونية المتعجرفة. هل يستطيع خيالك القاصر أن يرسم هذا «الإسكربت» المتقن ؟ صحيح أنك صاحبة الفكرة. ولكن مطورها ومنفذها، وعدا سابعها في محلي التجردى ذاك الذي سأفتشده.

ها هو كل شيء قد فشل سقطت خلفنا سقرطا درعا. فهل تشتت بي «صحي» التليفزيونية ؟ يا به من يوم «بلوندي» مظلم. فكرت أن أنتظر القطار التالي ساعة أخرى لا تنصر. رديا تأتي. آنذاك تظهر قليلا في الحكاية. ما رأيك لو زعمت أن لربك هنا قد ترك أرملة شابة تحتاج رعاية. ولندس في الحديث ما يفهم منه أنها أرملة جميلة. وبه كان يمكن ود قديم، حب أم رد ؟ تتركها عاندة هكذا وتترك حيالها الشكاك يؤلف ما شاء. هذه فكرة أطرب.. سيريد قلبيها عليك ولهاقتها ثم أنه عتاب

تستحقه على إخلاصها للوعد. أدت قرص التليفون برقم صرلها قالت أنها خرجت قبل ساعتين ولم تعد.

فى شباك التذاكر، نظر إلى والتذكير دهشاً سألنى لماذا أسافر

- فاتنى القطار.

نظرت عجزاً، كلامه مجهد كوجهه، طاقم أسنانه قد بلى ..

- ولكنك أول من وصل إلى هنا، زاحمت، تشاجرت حتى تنفست تذكراً، القيت على معاصرة حول مصالحك التى ستتعتل إذا تسافر

إبتسمت. ناولته التذكرة لئلى يجعلها صالحة للقطار التالي :

- قطار التاسعة غير ممكن، إنه قطار حربي، محصن لنجيش هناك قطار آخر بعد نصف ساعة.

- لا مانع .

تابعت حركة يده المرتعشة وهو ينتزع جرماً من الآلة، ليحير القطار. قريباً من عتبه جدا.

- أنت فى حاجة إلى نظارة طبية

ضعك كان ما يزال يعالج الآلة. قال :

- لا شائدة . أرى بسوءها خيراً مما أرى بها. أكثك الرمن انتهينا صبحك.

- لا تهو عجزاً جداً ..

- مجاملة طبية ولكن لا تغير الواقع.

- صحتك جيدة فيما أرى

- لم أحاول أن أحصى نفسى أخشى أن يقول الطبيب كفى

العمل. وهى كلمة لا تكلفه شيئاً سوى ثانيتين من وقته. ولكنها تكلف من كان مثلى فى رقبته كوم من اللحم، أنشأه لا حصر لها.

إنهك فى إعادة الجزء الذى انتزعته. قلت أقسم أن قلبه مريض، وأن هناك جلطة فى الشريان التاجى. وسيرة دمه صفر. قال :

- لم يفتك القطار .. فلماذا لم تصاعرا

فكرت لحظة، قلت .

- كنت أنتظر من يودعنى، لكن لم يأت أحد ..

أخنى رأسه ليرى جيد المكان الذى سيعيد فيه الجزء المنتزع من جسم الآلة تحسسه بأصابعه. قال

- عملت فى هذه المصلحة أربعين عاماً.. بدأت عطشياً ثم

كمسارياً. سافرت آلاف المرات، لم يكن من رداى أحد على الإطلاق. واستقرت فى الحال ها بعد أن غدت فى الصحة.

أخيراً استقر الجزء المنتزع بمكانه من الآلة. كان يخفى صلته من اليد «بيبريه» بأهل اللون، متسخ. وضع التذكرة على طائرته الرخامية. لهث بشدة أخرج علبة دخان صفيحية وورقة رقبة وأخذ يلق نفسه سيجارة. أروى :

- لم يكن يودعنى سوى صوت أمى الله يرحمها. كانت سيده طيبة.

كان صوتها يتصاعد بالدعاء لى فى أى وقت أخرج فيد. فى الصباح، فى الظهيرة. وحتى فى الفجر كانت كفيفة. ولكن قدرتها على اكتشاف أقدامى كانت قلوة غريبة. غريبة ..

إنتهى من لف سيجارته، أشعها تدار التذكرة وضعها فى الآلة.

قلت

- وكيف كانت تدعو ..

إزدره بغساً من سيجارته الهشة. كاد يلقى عليها قال :

- أه كانت تقول : روح الله يكفيك شر سكتك يا سي..

ابنست. ساذج هو الرجل كأمة. عجزوز ومغرف مثلها. وكنت أنتظر  
أن يقول حكمة بليغة، فمحص الجبس فولد إبتذالا وتكرارا.

قلت :

- هذا دعاء معروف كل الأمهات. ثقنيه، ولا أدري أي شر  
يقصدن. فهد...

- إسكت يا أستاذ.. أنت شاب ولا تدري شر السكتك، الله لا يريد  
ولا يحكم لا على عبد ولا على حبيب. أمثالنا هي رقتهم كوم لحم، عيال  
كالغراخ والحمام الصغير لو سقط الواحد منا تعري لحمه، جاع، استجني  
شرب الأذل حتى أطراف الأصابع.

في لهجة العجوز أحسست برعب غريب خفت :

- التذكرة من فصلك ..

وهو يناولني التذكرة..

- آه... لساعة الآن التاسعة وصل ٩.٨ وهو الحرى.. أ  
الموايد دون ظهر إلى ساعة.

ما كدت أخطو خطواتي، حتى سمعت صوته، متاديا

- يا أستاذ.. يا أستاذ..

رفعت وأمسى إليه :

- إسع . قطار التاسعة والنصف هو آخر قطار حتى المساء. إذا  
نأت . ساهر وتوكل، الله يكفيك شر سكتك.

هدأت خطواتي على الرصيف، كأن الجهود يغفلتون في سرور  
طارقة يتسمون تأملت وجوههم. قلت أنهم صغار جدا، ومتسمون. ألف  
واحد على السلام ولم أكن أعرفه. راتحة غريبة في أجسادهم لا تدري ما هو  
بالضبط لكنها تشيع الدفء في هذه الليلة الباردة. ضحك واحد من بعيد  
قال الآخر أجازتي ٤٨ «س» قبلك وسحت ١٣ يكرر مصطلح

عسكرية. أعرفها جيدا. لغتهم غريبة. ملابسهم صوفية خشنة. فهل يمكن أن  
تدق؟ هذه المحطة التاسعة؟ أحذيتهم خشنة تدق الأرض في سلاية. قال  
حنال عجزوز من الرصيف البعيد «عاملين أبه يا ولاد؟» واحد . يب. آخر :  
مولاد ثالث : الحديد يلى وأحتا لم يثينا. الحنال جدهان. واحد إزيك يا  
وعم بدوى. كما تركتوسى في الشهر الماضي. أنتم من أي سرية؟. الله  
سيت يا عم بدوى. ذاكرتك ضمنت. عجزرت وراحت عليك جاء يلهت من  
الرصيف الثالث، قفر وصعد بالأحصى. كيف حالكم يا ولاد؟ بلنا عال.  
عملوا إبه لجامعة دي؟ ألم تسمع الاداعة؟ سمعت، الضرب كان جامعا  
جدا ولا بهسك، أجدد، كله في الحجارة وشرفك يا «عم بدوى». خدموا  
السويس أولاد الكلب، بركاتك يا سيدي الأرمين. قلنا لا بهتم. كله في  
الحجر نحن الذين بئينا ونحن مسبي غير، يا عيال أنتم لا تعرفون غلاوة  
السويس عتدي. أخذت من لحمي طبقات، الشباب، والرجولة، والكهرلة  
أجده رجاء، وامتع النساء. أطيب الأمهات، إلهي وأنت جدهي، بحق محمد  
حبيبك. لا تقسى بيل ما أشرفك يا سويس منصورة، وراسك مرفوعة هل  
سحطيك. يابن الكلب أنت وهو، همكوا «بدوى» لا يخطب شئني، أنت  
وهو هات ما بيدك، وأنت. وأنت. وأنت.

أنا يا

- ليه؟

- أنت يا عم بدوى ترفض أن تأخذ نقودا مقبيل المشال.

- سبحانه الله. هذه هي الشيل، يا جدهان يا عالم. يا هوه إئت  
مستجدا؟ إئت كركي ١١ قلت ألف مليون مرة، على يدو لسيدي الأرمين  
وستي الظاهرة لا امد يدي وأخذ قرشا من العسكرية أنا يا ولد أنت بايع  
نفسك للجهادية.

إسأل قائدك أنت في سرية من؟ اسم الملازم يتدعك أيه؟ كل  
عساكر وصباط خط القتال عارفين أن «بدوى» لا يأخذ نقودا من العسكرية.

الضباط من ملازم لواء عارفين. المرحوم «عبد المنعم رياض» بنفسه كان عارف. أنت تهرأني. تهين شيبتي أنت كركي يارولد. مستبعد. من أجل قمرشك الماسع أسرع شرف العائلة من التراب. إسأل كل خط «الكنال». «بدوي أبو مصطفى» يبقى من أبوه، من جده، يارولد دأب جدى لم والياض. لمرابي، نال الفصح والفرد، وحتى التين والفراخ والبيض، ووصلهم لحد المسكر فى التل الكبير. إحنا بما معنا من جنود الجنود للجهادية، صبرنا ما قلنا هاتوا حاربوا إنتوا. إحنا كتكم. رصاصة البدقية. ومقام المصطفى لولا أنك كركي لاشتكتك للقائد أمام ذاته.

الله اهدأ يا عم بدوي. على مهلك. بالراحة. المجدد لم يقل شيئا الذي لا يعريك يا سيدى يجهل مقامك. حقلك علينا وأدى رأسك.

- طبيب. خلاص. تعالى يا «دفعه» لا تزعل من عملك بدوي هات ما معك من أحمال. أقولك نصيحة. إذا كنت متزوج أطلع إلى الجماعة معتدله مارش. مارشهم. هارشم. كلمة فى حدوتة. الليلة ليلة الجمعة فاهم يا قفل. لا تكن «كركيا» فى العسكرية وهى السرير. الست تنتظر رجلها الغائب بشوق. لا تكن خائبا. معتدله مارش على طول. المرحوم «عبد المنعم رياض» نفسه وعدنى أن يسمى ابنه «بدوي». مرة قلت له يا أبو رياض إيه أحرثها. قال اصبر يا بدوي. قبل ما يموت بجمعة كان هنا؟ جريت. شلت لى الشنطة. قال لى: إيه رأيك يا بدوي؟ قلت حال شدرا جيلكم. سألنى. يصرى ميسوط. شرقت عيسى بالدموع: ألا ميسوط. ميسوط موى. سينا. دى غالية علينا قوى يا «أبو رياض». دى أكلت لحمه ياما، الواحد مننا يمشى ويموت ياكل بالكاد عشرة كيلو لحمه ويمكن أقل، دى واكله ييجى نص مليون كيلو لحمه، دأ غير الدم. بعد ده كله نفرط فيها. قال: لا تحب يا بدوي. يومها عزم على سبيجارة رعلب. قلت له يا «أبو رياض» دانت كلك نظرك أنت تعرف أن «بدوي» لا يأخذ شيئا من العسكرية. طهبط على كتفى وقال. أنا عارف. دى مش أجره. دى تحبة. يصح أحبيك بسبيجارة وترفض. تحبتي. مقبول يا جدد. سألتك. أنا قرأت فى الجورنال إنك عاربه. ليه؟

تسم. قال. ما خلاص بنى يا «بدوي». قلت له: لا.. كله إلا ده يا «أبو رياض». الرجال لازم تخلف رجاله. قال: بعد ما نخلف يادى الله تبقى شوق. قلت له. حلفتك بالحسين تسمى إبتك «بدوي». قال: على عينى. الله يرحمه. كان ذكرى. يا سلام يا ولاد. ودينى وما أعبد السبيجارة معى حتى الآن، ما دختها، شايها حرز.. ده.. معتدله مارش يا ولد على الجماعة طوالي. غدا مساء «عد كذا كنت» احكى لعمك «بدوي» ما حصل. رنقى السويى.

التفتت هنى الماهرة خلفهم شبح «كوثر». عند مدخل الرصيف. شفت حبيبتى كالكريز فى أوران التنضج. شهيتان مصومتان، فإذا امرجنا بلا كلام. حركتا فى القلب أشواق الاحتضان والنوب والموت. فإذا ما تكلمت باخت الأشراف. وأغثيت الأحسان. وآر لنا أن نوت قرقا. قالت. يا تأخرت عن رداعى لأنها كانت عند لكواغير زمعتها. أردقت.

- أنت لا تعرف «ميمى». كان اليوم مشغولا جدا. بعد لتسريحات رأس السنة وقد رجوت أن يقدمنى على روية بحرى. وتطلب ذلك وقت. «ميمى» لا يحب هذا. ألحمت. كدت أقبل بذهبه. وأحيرا وافق. مدش جنا «ميمى»، لذلك تأخرت.

لم أكن قد وضعت ذلك المشهد فى طفوس حلفتنا الوثنية. وأيضا فإن عبارة «روح الله يكفيلك شر سكتك» كانت تطن فى رأسى كذباية روقه. ملححة وشمعة وممنى يصل الجندي الصغير إلى منزل زوجته؟ قلت أتو نص الجمعة كما وضعت:

- كدت أسافر دون أن أودعك..

أبنو كمشل ردى الحفظ:

- لم يكن من الممكن أن أتى لأودعك وشعرى ليس فى «الثورمة». ما رأيك فى هذه التسريحة؟

آه.. جميلة. جميلة جدا.

لقت معطفها ذو الباقة الزائفة نظراً من الناس، وكيف غطت  
روائع الجنود عطرها النفاذ.

- لماذا تسافر؟

- قريب، استشهد في الحرب، أريد أن أشيعه.

ألقت نظرة على نفسها في مرآة موضوعة على الرصيف لشحنها.

قالت:

ألم يجد وقتاً يموت فيه إلا هذا، حبل رأس السنة في الطريق لماذا

لا تكفي بإرسال بوقه؟

كنت أذكر لحقتها في أن هناك أنواعاً من أنثى الخيوان تغرد رائحة

لاجتذاب الذكر، تضاعفه وتأكله بعد المضاجعة.. قلت فجأة.

هذا أفضل

خرجت معاً ونحن نهبط السلم إلى القاء:

يجتذب يسالك الأنتار.

بنظرة مبهمة

- هذا طبيعي

بدفعة قلت:

- لنفرض أن ميمي كان قد رفض.. فهل كنت تتحلمين عن وداعي؟

- لا أدري، لا يمكن أن أدعيه ترائي وأنا لست في «الفورمة»!

كانت كنها في كني. لاحظت فجأة أنها تلبس قفازاً صدياً. لتحت

قبضة يدي. سقطت كنها من بعضتي

- ماذا حدث؟

- لا شيء.. خشيت أن تعرق يدي فومضخ قفازك.

\*\*\*

- ٢٢٢ -

قلت أن علي أن أبحث عن قناع يصلح لمعزة رأس السنة. وفي الحب  
كانت وضحي، تشرف على تعليق الريات ونحن في الصالون. ذهبت  
رجعت وأصدرت ألب أمر. سلحت علي يقتور. تحدثت عن حلقة جديدة من  
برنامجها. كانت سمراء في تلك الليلة. وهذا يعني أنه يوم الأحد. أخذت  
أتابع نتيجة لعام في رأسي لأعرف ما ستكون عليه ليلة رأس السنة. قلت  
أنها لا يد ستعاجت بشيء جديد. وغالباً ستكون حصراً الشعر، وربما حمراء.  
ضحكت لحاطري. أنهى «حسين» مكالمة حول مأكبات رى سيشرتها.  
والأرقام بالأكرف. وضع السماعة. قال بارتياح:

- خمسة آلاف جنيه بمكالمة تليفونية

نظرت إليه. ظن نظراتي إنبهاراً في العالبي. قال موضعاً:

لا شيء. منذ ساعة كلمي عميل يطلب مئة مأكبة رى سأل من  
عنده. قلت عندي. بصراحة وأنت لست غريباً لا يوجد عندي شيء. ولكني  
أعرف الذين عندهم. وهذه المعرفة في عرف التجار رأس مال. اتفقت معه  
على السعر. بتليفون آخر اتصلت بمن عنده المأكبات اشترتها وأمرت  
بشحنها إلى طاليها. الرق خمسون جنبها في المأكبة الواحدة. مكسب  
صاف أربعة آلاف جنيه وتسعمائة وتسع وتسعون جنبها، وستة وتسعون  
قرشاً، بعد خصم قيمة المكالمتين التليفونيتين بالسعر التجاري.

هناك بلذكانه. قال وهو ينظر إلى الثبل عبر رجاء الشرقة

- أرجو أن تعقل وتترك عمك السخيف هذا وتأتي للعمل معي.  
سأعطيكم مديراً لمعرض شارع عدلي مرتب خمسون جنبها وعمولة ٥ /  
كبدية.

قلت وأنا استعد للخروج معه

- أشكرك على هذا العرض الذي لا أوافق عليه.

قبل أن يقف المصعد أمامنا قال:

- مناقش المرضع. ولكن لا تقل أنك ستعرد إلى «شقاوة» أيام  
رمان.

إبتسمت ولم أرد. حياء الباب باحترام يليق بصاحب العمارة قلت  
أن صداقة صاحب عمارة شيء مفيد جدا. وإلا ما حلت يوما بالسكن في هذا  
أرضي الراقي، فضلا عن الدعوات المتعددة للقاء وللشاء. وأيام رمان لم  
تكن هناك فروق. مقعد واحد في مدرسة ابتدائية ثم ثانوية بالسويس. فهل  
تظن أن مجهودك في كتابة مواضيع الإثبات له تساوى هذه التسهيلات  
التي يقدمها؟ وحذار أن تتزلق أقدامك فتراك التلفزيونية للامعة مجرد  
واحد من «محاسيب العائلة» تخلع عليه ثياب زوجها القديمة بيني وبينها  
ود مفقود. ومرة شكنا «حسين» من أنه يفقد متعته معها في الفراش. لأنها  
تأريس الحب «بالباروكة»، وهو يعلم بالبحث في شعرها. بأن يقبله. يحصله  
توترات شوقه ولهفته. ويرغم الود المفقود فقد أهدتك بت حالتها. وشجعت  
إرتباطها بك. فلماذا؟ فمركت السيارة يا أحدث أتابع العروسة القرقارية  
المترافقة قال:

- ماذا قلت في إدارة معرض عدلى؟

- يفتح الله.

- أشعلت له السجارة:

- لا أهزل. أئن أقدم المعرض بلسم ويسم «ضحى».

- هل هو عرض تلهزيوني؟

- لا افهم..

- أن رجل تاجر. وأحب الكلام المباشر ونحن قبل هذا أصدقاء.  
فد.. رادن غلادخل في الموضوع مباشرة  
- أعلم وتعلم أن بيني وبين ضحى ودا مفقودا. فما شأنها  
بالموضوع؟

- ابتسم. دخل زحام شارع ٢٦ يوليو:

- هذا طبيعي. أنت صديق. وهي تخشى أن تجرني إلى ما تسميه  
هي «شقاوة» زمان. فهي تعتبرك متطرفا وهداما. وأعفارك تخرب الهيوت  
العامرة وهي تعلم أن صداقتنا قديمة. وليس من السهل قصمها. وقد ظلت  
أنها وقد أهدتك «كوثر» ضمنت أن تعقل. ولكن يبدو أنها غير واثقة تماما  
ثم هي تريد أن تهين لكما دحلا مناسبا ومن ناحية أخرى فانا أبحث عن  
إسم أقدم عطاءات عقاراتي متصترا به. فالصرايب أصبحت جزارة.  
والحكومة بدون ملاحظة ولا زعل. وبدون التعرض لمواطنيك بحرهما. بت  
كلب. وما أسرع ما «تصدر» قرارات التأميم

صبت. قلت أدركوس يا عالم. ما آخره هذا «الضحى» المظلم. في  
الاستشفى مخربض على الفسق. وفي المنزل مخربض على الخيانة  
الوطنية؟ فحتى يتركنا الليل إذا سجي. - سرحت في العروسة القوقازية  
- ذكر. جيدا ورد على...

بعد لحظة:

- تهتم بهذه العروسة كثيرا.. لأنها من بلاد أصحابك!

- أنها طبيعية جدا. وهذا كل شيء.. إنظر. أنها «مبة». ومع ذلك  
فهي لا تلبس باروكة..

شدت شعرها.. لأؤكد له قلتي. شعرت بضيق مفاجئ.

وهو يمر عبر شارع رمسيس تذكرتهم..

- انترني هنا.

- إلى أين؟

- تذكرت أن لدي موعدا..

مضى.. تركني وحيدا على الطوار.

في المقهى كانوا متجمعين كما تولعت شاي. شيشة قهوة على  
الريحة عذرة حلوان الأخيرة. زفت. لا تصدق ما يقال عن أن المدنيين لم  
يصابوا هناك مئات القتلى. أشاعات فلا تصدقوها وتعرض أنها حدثت لا  
يهم. لا حرب بلا قتلى يقتلون المدنيين في فيتنام بالمثل كل يوم ولا أحد  
يربوا. مليون أبر «بيكون» الكبير وعياة التي سنكسر رجله ورجل  
الذين وصعروا تقاويه. يقال أن عذرة «حلوان» الأخيرة قتل فيها عشرون.  
كذب. إشاعة. يا أولاد الأنعامي كلاكم يتخرج تحت بند تخريب الروح  
القصية. قبل تحفظوني بصرعي قارئ الطولي أم أنكم تحرمون والسلام.  
أنت عكسة رسمية يا أستاذ «رأفت» معاداً أنتي بك. اليوم ونحن لم نرك من  
زمن؟ أوحشتني مقاهي انوسيس رقلت ألقاكم ها أجعلها أن نسمى هذا  
المقهى. قهوة أبطال الشعب. اقترح أن نسميها إيسا حديثاً سودرن. معلا  
نسميها «الانوسيس ٥٦». ليكن أبطال الانوسيس ٥٦ سابقاً كنا أبطالاً حقاً  
يا أولاد الكلب لم تتشر جريدة سوريا. ولكننا مع ذلك أبطال. شيش بالك.  
جهاودو. مارس يروح أملاك. يا أستاذ «رأفت» من ينظر إليك يحمده  
المهاجرين. أنت دعاية سيئة قد تمرى بالحكومة بانقاص الاعانات. هل تعرف  
إحصائياً اجتماعياً بوزارة الشؤون إسمه «حليل عطية»؟ نعم دهنتي. لا  
يحي على ورقة وقلم أكتب توصية. حيث قدامي. دفعتمكم. لا مواظبة  
وقت. قطران. البنت حيلت هي وأنها في شهر واحد. فأبشركم بخراب بيتي.  
هذا دليل على نشاطك الزند أنت وزوج بنتك. فتهنئتي للمرائين في حياها  
الده من حظ لمحسهما عليه الكثيرات. ولكن هذا الحظ ينتج عنه نتائج  
سيئة. لا حلوة بدون تار وهذا عقاب من المولى لكم على إغراقكم في  
اللذات. كنا أبطالاً سنة ١٩٥٦ وأعلننا الآن على المعاش. إسمعوا فصل  
الحطاب. لا أحد بيع أحد أن يكون بطلا ولكنهم هجرنا جهة النساء.

والأطفال ليست لعمية. ولكننا نسنا نساء. ولا أطفال بدليل أن زوجتي وبنتي  
حك في وقت واحد. الطابئة في حطر فاحطر النصر طيبه. ستكش الملك  
حالا لم يعد لديك ولا عسكري كنت أحسن مؤجرة «بولد الذي التي القيلة  
على «ويليامز» يومها رفضت. في المرة الماضية خدمتهم الظروف قدم  
بتقدموا إلى الانوسيس. والا كانت نهايتهم. بساسة أن زوجتك وابنتك قد  
حيك أنصحبها برؤية برنامج «دروس في السعادة الزوجية» على القناة  
حسنة. تقدمت الست «صحي» بنت الانوسيس. شجعوا منتجات الانوسيس  
شي ظريف أن تلقن الانوسيس بقية البلاد دروسا في السعادة الزوجية. آيه  
سعادتنا الزوجية أن البت وأنها حك في وقت واحد. قل لي هل تتفق الأم  
والبت على مواعيد الحلقه الشرعيه؟ عيه ما على أهل الانوسيس. رجائه  
وعنه الله. بيوتا صارت أجارا ونحن نلعب الطاولة أذكركم بقانون  
الطوري رقم ٦٥٨ سنة ١٩٥٨. أنت عكسة رسمية يا أستاذ رأفت.  
الحصن في حطر وهذا يعني أن الدور على الملك. وبو ساهزمك ولو كنت  
انزمتي حليمة. كيف حال «حسين بيك». ما رأيكم لو بحث لنا عن عمل.  
أو تبحث لك الست «ضحى» عن دور فثله في التلفزيون. هم يمثلون أما  
نحن فنسرت «حسين» سعدنا في سنة ١٩٥٦. اشترى لنا سلاحا وهربا في  
غربته فعل ذلك لأنه صديق الأستاذ «رأفت» على فكرة بنتي مريضة  
وسأليك بها المنشئ قريبا نشر «حسين» بيك إعلانا في أهرام اليوم  
يزيد ويهي يضع أمواله في خدمة الحركة. لماذا لا يقبلونني وزوج ابنتي  
ممثلين في التلفزيون؟ أهدبك مثالا بمدى تعلسته من جدتي. وقد يعيد في  
حالتك. وما هو؟ آه لما أنت أمير وأنا أمير من الذي يسرح بالمحيرة؟ لا  
أهمهم. ولا أن الملك في خطر قدقدود. واحد شاي. اللعبة القادمة هي آخر  
لعبة لو ذهبنا لهم وقتنا نريد أن نعارض على إسعنا أحد. بل سيرحبون بنا  
في المعتقل الملك في حطر. اصمتوا حتى نسمع شره الأخبار.



غادرت «الارتوبس» كما وصفت أمام مزلقان «عابدة». لماذا سموه هكذا؟ لا - أحد يعرف. عبرت شريط السكة الحديدية. سألت مارا أليست العزبة هنا؟ قال: «عزبة بلال... لم عزبة الورد؟»

قلت: عزبة الورد - نظر بعينين عمساوين إلى البيوت القريبة. قال: «عبر الشريط واتجه يميناً. شكراً. الشكر لك. تبدو البيوت طينية فما مدى ما تحمل العربة من أسهاء. ومتى تهب روائح الورد. وتكتمل العين برآء؟ هذه منطقة غريبة، كيف يوجد مثلها في المدينة الضيقة ولا أعرفها. يا للقفار! بيوت طينية كأخم. طافعة بالهم فأين الورد؟ حتى تقصد على هذا التدهور الباهر. تأتي بلالدا كالصباح. فأين القبة و «الهابيب»؟ يرافو خواجه رأفت. هاو آرو How are You تأتي زيارة الورد يا خواجه؟ إليك إذن هذا المستنقع البشري من القاذورات. طلبات مياه للشوارع كما لو كنا في قرية نائية لمبات جاز تنظف. وإذا فلا كهرباء. كهرباء يا خواجه؟ أين المرأة لأبصر على رجبي لعله ينظف. نساء محصورات كأن الحكيمات قد أكلن لحومهن؟ تأمل هذه النكرة. هل كانت أرداف «ضعى» بهذه السمامة عندما دخلت المستشفى؟ ولماذا هزلت أرداف المريضات في شهر ٣؟ أكلت بنت الكلب أردافهن. شوتهن. سلطتهن. صمدت منها «إسكالوب». أكلته. لمت أردافها. تمذدت. سلطتها على. فمتى يدعون قوات الدفاع ضد الحرب الاليكترونية؟ إتسخ الخلاء بروث البهائم. تقصمك الميون كأنها لم تر أفنديا بعدة طول العمر. فصلتها بالتفسيط فلا يهولنكم أنها صرف المجلبرى. باق على لسطان. ورباط العنق؟ هدية من صديقي روج العيقزونية لايد من نقل البنت إلى المستشفى اليوم مهما حدث؟ أين الورد يا عزبة الورد؟ هنا ما قائته الذكورة «وداد». رفعت مظارها الطبي فيا لجمال العيون ولكن لماذا تبدو العيون كما لو كانت زجاجيا ملوناً بلاتقان ولا أكثر؟ قالت:

- تدهورت الحالة جفا يا أسعاد «رأفت». وقد تصاب بنكسة مفاجئة تقضى عليها. لذلك أرى أن تنفع الأسرة بنقلها إلى المستشفى لكي لجوء

أبعثنا في هدوء. هناك مرور حال بعنبر ٧. حاولت إقناع ولدها اليوم ولكنه صمى صلب الرأس. أرسلته إليك فلم يجده. أرجو أن تغبر خط سيرك وتروها غداً..

ظهرت إلى ما ظهر من ساقها عبر المعطف الأبيض. أعلنت لنفسى نتيجة آخر معاينة: الفحلان ٩ على ١٠ أما وياطن الركبة بهذا اللون فلا بد أن معاينة النهد سنفر عن ١٥ إلى ١٠.

قلب: ر ر

- وهذا يعطى فرصة لعلاجها. أليس كذلك؟

بلهجة معاينة:

- أرجو هذا

- هل هناك أمل في ذلك؟

- ٧ مستحيل أمام العلم. ولكن في حاجة إلى نهاية طويلة.

كنت قد حققت العوان، حاولت أن أستدل على لاقطة الشارع بنفسى «ون سزال. ولكن يبدو ألا فائدة. مظاهرات فضولية تنمد إلى رأسى مع رائحة بوه نفاذة. محاط وصاق. نعايات حضرات. قطع تجرى وكلاب. ذباب أسود، أرقي. وأخضر أين الورد يا عربة الورد؟ شم يا خواجه. متع معطسك بالروائح تعمدت على «بارغان» «كوثر» البارسى. شم الآن رائحة عرقها الصديد والبراز. جروح ملوثة بأريطة قذرة. الذباب يأكل عيون الأطفال. أم تضع طفلها الصغير في المثلث بين قدميها المتركة على الأرض وقصة ساقها. تهز. ليتجو تسلس سائل أصفر لزج. نزلة معوية ستقضى عليه خلال أيام. ما أجمل وودك يا عزبة الورد. كيف حاله يا خواجه. هاو آرو؟ كمونات آلي نو صبور رأفت؟

عمن تسأل. هم مسعود الصمى. أه النصرانى؟ هناك عند الدكان في آخر هذا الشارع. شكراً. بركة مياه آسنة. يسبح يا خواجه. إحصى النود وأنواعه: البلهارسيا والانكلستوما وكل طفيليات العالم. تعلم بجياه

«فيشي» و«كارن لومبارد». هاني الميكروسكوب يا «دكتور» و«داد»  
 يجلس على هذا الشاطئ الأسن، إجلسي المظف الثلجي والستان  
 والسوتيان وكل شئ، إحصي هذا العالم الوردي الجميل بميكروسكوبك،  
 زعي نم أردافك الزائد يا «صحي» على تلك الهوام البشرية. يرمذك  
 بهتف بحياة العم والعلماء. وتشرب الويسكي ليلة رأس السنة من هذه  
 البحيرة المتخمرة، معتقة وحق كبرز أودن التصج في شفتيك يا كوترني، أنت  
 نهر من أنهار الجنة، ولكن صيده هنا. تعالوا نصبح يا أولاد الكلب  
 والخواجا رأفت» يسأل الترجمان عن التلمسبح في نهر النيل، ورأس الخواجا  
 ضخم، وفيه مثلث ضلع نصف متر وزاويته حادة وغدا سيحتفل بليلة رأس  
 السنة. يطلع كؤوس الويسكي، الكأس الواحدة بأربعين قرشا، ويهتف عند  
 السكر بسقوط الفقر، ويتحدث عن العدل والحرية.

طرفت الباب فافتحوا، جاءكم الخواجا بأوراقه، إشروا أصبح لكم  
 ملف، هنا شرف لكم، تكتب أيدينا المرفقة الطرية أسماءكم الشخصية الملونة  
 بالقبار على ورق كوشه. أجم. نظرة الينت اثني فتحت مذعورة آه ما  
 أجمل العيون لولا الخوف من شر السكتك، أنا «رأفت» من التشمي  
 عشان حكمت، أجل، إتفضل، هلام وعفونة، فلن تشرق هذه الشمس  
 الساطعة في الخارج، نلح الباروكة انشروا في الشمس فتصوي. أين  
 «الورد» في الندى المزلتق بوز الفجر؟ «حكمت» نائمة في الداخل، إخفض  
 الرأس رالا نصظدم، فهذا جحر فتران وجراء صغيرة، يرتفع الصدر ويهبط،  
 وشعرها الأشقر شهيد على اللسادة، أعيون ممضية، لوجتان شاحبتان،  
 إنتماخ أسفل العينين، إفتحني العيون فإني شين للتطهر يا طمعي كلبي  
 الخواجا الذي جاءك «الملف» من بلاد الويسكي والبيروك والبوستيش  
 والشارب الدوجلاسي، جنتك «جاء» المحاياة»، لأرد إليك الحياة، كما فعلت  
 المفريت في ألب لبله. من أنت؟ «لبرا...» اه أحتها الذاهية العقل؟  
 إحترس وإلا طالك جون الورد، وتأمل هذا الدرس من دروس السعادة  
 الزوجية. طفلة بشيخة بين الحياة والموت، مقطاة بقطاء صوفى مردكش ومزقة

بسمونه في لريتنا «حملا»، قطع آلاف الكيلو مترات، ولعلهم وجدوه يوما  
 ملئي في الطريق، أو سرقوه تفكر في أن تكون ستائر شفتك أوريبال.  
 ومرة فكرت في أن هذا النسيج الصوفي الذي ينسجونه على أنوال بدوية  
 ويصغوه بأنفسهم، يصلح للستائر ما وأهلك الآن يا خواجة. يتركون طفلة  
 مريضة في رعاية مجنونة! أين «عم مسعود»!، خرج!، أين ذهب؟ يركب  
 حدود لحمار الورد شلبي، هل سيغيب؟ لا، زمانه في الطريق، تفضل،  
 إفتحني العيون السندسية فإني طامئ للمصا يا طفلي، لا تردى عمك  
 الخواجا حان، وأين ذهب الدم من شفتيك يا كبرأ قارب النضج فمن  
 أفتاله؟

عينك يا «ليزا» واسعتان بالجنون، لا ينقص الجنون فعوليهما  
 عني، تأخر، العم مسعود، زمانه جاي.

- أنت كنت هناك.

هناك أين؟

- أنا شفتك هناك؟ هناك أين؟ عبد العبدرا، أنا شفتها كنت أنت  
 هكذا ليطة بطول الليل، رست مع المرفقين دعوت مع الداعين، تلوت  
 المزامير، قلت يا عاده، كراماتك الدنيا كانت برد، أنت كنت جسي، مشيت  
 كده تنططت، رستت الصليب، الناس مشيت، قصت لوحدي، «حكمت»  
 كانت معها نامت، غطتها بديل أجنلاية، في نفس الليل طلعت هناك عند  
 قبة الكنيسة، أنا شعها، أنت شفتها، صحيت «حكمت»، قلت بهزم صوتي  
 يا عاده، أنا عيانة، حكمت عيانة، بركاتك يا أمسا العبدرا، وحياة «سانت  
 تريزا»، رجعي لي عفتي، إشتي أبوي، إرزقيه يا عاده، داحنا غلاية يا  
 عاده، غلاية وحياة ربنا يسرع، صوتك معانا يا أبرنا غبريال، ميطت،  
 دموعي نزلت مع، أنت كمان عيطت، قلت يا عاده، قالت أنت حافية،  
 زعقت، شعها عسي يا أمسا، وحياة الرب غصبا عني، ضحك عني، قال لي  
 بابت جيت لك متديل بأوبه، قلت له أنت بتضحك عني، عاوز تعمل قباحة.

قال لى المتدين حلو قلت له أنت فاكرا أنسى عيرطة. فاكركنى مجنونة. بركه  
فوقى يا عدوا. وقصى فى الخطأ. ومقام الرب غصبا عنى. قطعت المتدين  
وزمينة فى الشرعة. كنى أحمر. والمسيح الحى ما أخذت منه شئ زود  
يومينى قرشين. كنا فى ورشة طوب فى أبر قرقاص. يا حسارة. غابت  
العدو وراء القبة. كنت لسه بتكلم. لم تسمع كلامى.. بكيت. بكيت  
«حكمت».. أنت أيضا بكيت. قلت لحكمت. ستأتى مرة أخرى. صاحكنى  
لها مرة أخرى. وغلاوتك يا بنت تزيير كان غصبا عنى مرة واحدة فقط. لم  
أفعلها مرة أخرى. يا حرايى أنا أسد بين مغدى بالظن ولا أفعل هذا.

وولولت. ولولى يا «ليرا» عمك الخواجا بكى. ولولى. هاتى طائلك  
أضرب به نفسى. لا حياء لديك. ذهبت إلى الريتون ماشية. إصرغى.  
أسمى هذا اللحن الطروب. أذنى بمسكنها «الجازند» وبخش فيها  
كالهوى فى الخرائب. تجمع الناس. ضجيجهم فى المارج. المجنونة جانتها  
الحالة يارله. تادى «عمك مسعود» من هناك.

جارة جانت تعالى فى حضى يا حبيبتى. معلنش. العدوا زعلانة  
عنى يا خاله. معلنش. بكركه ترضى. قالت إبنى خاطبة. حسى يا أغنى.  
صلى بسم الله الرحمن الرحيم أنت من يا أخويا. أنا من المستشفى. أهلا  
وسهلا يا أخويا. لا مؤاخدة. عليها باسم الله الرحمن الرحيم أسيا. أجل  
عليه «أسيا». كله من «الأسيا».

«عم مسعود». أهلا وسهلا. «رأفت البشلاوى». أخصائى إجتماعى  
بالمشعى. أهلا وسهلا جرى إليه بيت. جتها الحالة. العصا موجودة. يا  
مهندس مش كده. دى غلبانة. إرجعوسى يا عالم. يارب كفاية بقى. أيرب  
كان بوى. أنا بنى آدم. أيرب حيا فى الآخر. مش كفاية بقى يارب. إتفضل  
يا أئدى برة. إسمك الثلاثى لى سمحت. «مسعود ميخائيل الصميدى»  
الحمل يا بنت. إتفضل عنى المصطبة. جاء الحمل أئدى كانت تتعشى به  
البيت أخصت به يندعى فى مؤخرتى صميدى جينا ولكن رأسه لا يمكن  
أن تكون صلبة. فهى لا تحتمل ضربة واحدة بالكعب لتفتت إلى ذرات مر

الرمال. غنى مواويلك يا «عم مسعود». أسمع الخواجا «رأفت البشلاوى»  
أغانيلك الفولكلورية. ليغود بها إلى شقته ويشتد بالقطاء. يحللها ويدوسها.  
هات الفراع من رأسك. وقطب «حكمت» المتضخم. وصمام الميثرال الثالث.  
ويكارة «ليرا» التى ضاعت بمبدل رأس. لأقدمهم هدية رأس الستة  
للدكتورة وداد. لتدرس وتحلل وتكتب مقالها السادس للمجلة الطبية  
الأميركية. ذى أميركان ميديكال مجازين. لا ترو شيئا. هات أقدامك  
فقط أضعها فى ملقى. أقدمها لهم جاءكم الخواجا بأثر تاريخى.  
تحفة والله العظيم وكلمة العذرا محمد. تأملنى يا رداى وأنت يا  
«ضحى» يا حكيمة. يا رغبة النظرات. هذه أقدام «مسعود الصميدى»  
مشتقة. مشتقة. مشتقة. أحاديث يا عنى القمم طريفة. عميقة. واسعة.  
هاتوا المساطر وأدوات القياس. بحسب مساحة الأحاديث. ونقوعاتها. سلك  
طبقة السوداء الميتة. كمية ما غريت من تراب وعرق وأضواء وحصى.  
طبق كل قوانين الرياضيات. لتصل إلى المسافة التى سارها الفصول التى  
هاجر خلالها من «جهينة» فى أنفى الجنوب.. إلى هنا فى «عزبة الورد»  
المزوى بالصعيد والبصاق والمخاط.

الخواجا مرهق ويستأذن. بمثلا الملق كتابة فهل تأخذ لهم عينة من  
الدموع المجمعة. قال :  
- هل ستأخذها معك يا أستاذ ؟

لا. طبعاً. أنت لا تدري شيئا عن «العلاقة المهمة». لسنا أصدقاء.  
أنت «عميل» وأنا أخصائى اجتماعى. مهمتى أن أساعدك لتتمكن من  
مساعدة نفسك. وحل مشاكلك معتمدا على نفسك فقط. لقد بصرتك  
بالخطر. وعليك أنت أن تأخذ القرار. هكذا ينضى العلم. وبهذا تقول  
قوانينه.

منهرياً

- تعال بها فى أى وقت. هناك خبر عن الاستقبال بأن لها سريراً

وإذن دخول جاهر، سيرتبه الطبيب الترتيبى مجرد وصولها. إسأل على التمرجية «منيرة». وستجد لديها كل الورق.

قال:

- ولكن... أصل...

تردد ولم يكمل. تهدل شاربه فى دلة. قلت أنه يمنع نفسه من التسول. مصى الخواجا وضع العيون لى نفسه والتبعة فوق رأسه. تشار سنير رأفت. جود باي، أوريوار.

أشار الخواجة.

- ناكسى.

٤

صحيفة المواقف لمواظف طاهر الليل

كورت «منيرة» ورقة اليوم الثلاثين من الشهر بقيت ورقة آخر أيام العام. تحدثت «كوثر» بالتليفون. قالت

كل سنة رأيت طبيب. هل تم لتأخفى فى التسمه؟

وعدها بذلك. فلتها باستقبال العام الجديد فى جنة الكريز، سبعا من نهر الكوثر. فى تليفون آخر، طلب صديق آخر أن أشرف عمله. اعتذرت بأننى مرتبط بعمله آخرى. جاءت الدكتور «وداد» فى يدها أوراق. قالت:

- هل تؤدى لى خدمة؟

تحت أمره

وضعت الأوراق على سطح المكتب الزجاجى. قالت

- هذه مقالة سأرسلها للأميركان مبيدكال معازين. وقد رجعتها مرارا، ولكن أخشى أن تكون هناك خطأ مطبعية قد قانت على. هل تلقى عليها نظرة؟

أرأيت موافقا شكرتني تركت المقال على مكتبي. استدارت فى

طريق الخروج الأرداف مبعة على عشرة. نسبة لا بأس بها. متى ترى بسمة حقيقية لهذا الكائن المزعج؟ ما جدرى كل هذه الأفكار، أيسلك حقا اهتمامها بالعلم؟ ليست هذه هى المشكلة. ولكنها لا تهتم بشئ آخر غير النعم. وهنا مرصع وهى عند الباب:

- على فكرة، هل زرت «حكمت مسعود الصعدي»؟

قلت وأنا أقيس تكرور صدرها، مزيج الثياب:

- نعم، ووجدتها بالذات بأحصارها اليوم.

- هل أطع أن تؤودنى بالبحث الاجتماعى لمالتها؟

- أرجو هذا.

ها هى الأقدام المشقة فى الملف ولا شئ آخر فكعلى عيونك ليكروسكوبية بها ولتراجع المقلدة. برغم الخبرة المحدودة، فانها تتوصل إلى نتائج باهرة. لا تستطيع أن تشكر إهتمامها بعملها. أين تكمن ثاجيتها الحقيقية؟ انتهيت. أين ملف حكمت لىكتب؟ سطور سطور حبر أزرق كثير، صعدة هابط، متلو. حروف، ألف وياء وتون مصطلحات قدم حقيقة تدق أهلا «ضحى». يا صباح الأرداف الغريبة.

قالت.

- الدكتورة «وداد» فى العيادة تسأل عنك.

وحيدل فى العرفة، التوثر يشحها الملف على الكتبه. راديو ترانزستور فى يدها

قالت

- حدثت غارة على دهنور اليوم.

نظرت إليها مستفهم. يا بنت الكلب غصى البصر. وقري نظرات النجور، وإلا غضب معينها الا تعلمين فوائد الإحمار؟ قلت لنفسى ما المانع؟ سألتها:

- هل مات أحد؟

- قال الراديو : ثلاثة قتلى وعشرة جرحى.

أغلقت الملف. كان الجو مشحوناً بمشجرات خفية. قلت مرة أخرى. ما

المانع؟

قلت لها

- غارتان في يوم واحد. هنا كثير.

نظرت وحشة. قالت :

- ولكنها غارة واحدة فقط. متى وقعت الثانية وأين؟

وسمت يدي فوق يدها المستندة على المكتب قلت :

- إنها تحدث الآن. هناك عيبك تسيان نارا حارقة. نابالم. قليل.

الله.

بتهمك معنّاح. قالت

ولكن دفاعك ثرى جيد.

ترسيتها في حلقة التدي الأيسر. تأرخت. جرت مسرعة. قالت بصوت

ذائب:

- أنت وحش..

وصلت إلى باب الغرفة. قالت باهتمام مرحية :

- الدكتور انتظرك في العيادة.

\*\*\*

مرفته بشاربه العضى. أقدامه. المشقة العارية. على باب العيادة

كان يجلس. قام. سلم على. قلت :

- هل جئت بحكمت؟

لهث بشدة. وجهه مرهق. قال بصوت خفيض :

- نعم يا أندي.

- لماذا لم تأت أمس؟

هو كتفه كأنه لا يجد إجابة. قال بعد لحظة :

- ليبنى جنت بها أمس. كانت ليلة الله لا يعيدها بصوت من النوم

على صوت «ليرا». وهي تصرخ. قالت : قرص يا بنت ثروح للعدرا العدرا

جاءتني في المنام ذلوقتي. وجدتها ترقد فوق البيت المريضة. تكاد نخنقها.

والبيت تصرخ بصوت عثيم. قامت من فوقها وأخذت تقذفها بالطوب

وكيزان الصفيح ومقشة قديمة. وكل ما وجدته تحت بصرها. قتت. أمسكت

«ليزا» قيديها بالحبل. شربتها بالخبرواتة حتى كنت يداي أقيسها في ركن

بعيد في باحة الفلار. لكن «حكمت» حالتها تأخرت جدا. بقيت طول الليل

سهران. خشيت أن يفتكرها الرب دون أن يكون أحد يحوارها في الصباح

جنت بها

صمت. عاد يلهث. دخلت إلى العيادة. كانت راقدة مقطوعة

الأنفاس. السماعة الباردة تتحرك فوق صدرها الطنلي الأملس. ضلوعها

بارزة وصدرها يرتفع وينخفض كمرج البحر في يوم عاصف. وهذا الفحيح

صوت تنفسها آخذ يلهث الهواء الذي أنفسه. قلبى المذبذب يا يحمل. ولكن

كنى عن هذا الزحير المزلّم. «لها» ملء العالم فكيف يعجز فلبك الطفل عن

استنشاقه يا وردتي؟ ومن ذا سوف يهشم كالتشمس كل صباح؟ جاءت

«ضحى» بجهار رسم القلب. نقلوها على عربة إلى حجرة الأشعة. عاد هو

معنى إلى مكتبى. جلس على المقعد مترددا.

دخلت الطيبة بعد ساعة. ملامحها جامدة. قالت بصوتها النحاسي .

- كيف جنت بها؟

وقف. قال بصوت مرتعش :

- راكبة والمسيح الحى راكبة على عربة كارو أكرمتا الراد شلبى بها

لم يأخذ سوى خمسة تعريفة ثمن أكلة الحصان.

قالت مقاطعة، ويبدو.

- أنت رجل غيبى، جاهل. كيف تترصدنا لكل هذه الاحتراقات وهي تعاني من بكمة خطيرة، لماذا لم تحضرها في تاكسي؟  
قال بدهشة -

- تاكسي، هاريت يا ست هانم . أصل .. أصل.

بتأفف قالت :

- الهنت ماتت..

لم يقل شيئاً، نظرت فقط صامت، إبهنت حينئذ.. إنقلبنا إلى رماد.

رماد تخم

- ماتت . تاكسي.

كان صوت بكائه بأذى من خارج الحجرة. مهنات عجزت متتابعة  
تاكسي يا عم مسعود تى. إيه. إكس. آى. T.A.X.I. رأسى خال من كل  
شئ. فكرت لى أن الهكاه قد يكون مناسباً. وتشيج الرجل مزيج. جلست  
فى خلف المنضدة تكتب شيئاً دخلت ضحى بالأوراق هاجمتى بنفخة  
مقنعة. لم أكن مستعد. كانت نظرائى ثابتة لى الفرع لم استطع أن  
أحولها. أعتزمت نظرائها طريق عيني المركزة على المراع. شبكت نظرتها  
بنظرى. كنت متوقفاً أو مدهولاً. تكلمت عيناها طويلاً. ضاع العلم  
والقاموس الذى يحمل طلسم انفترات T.A.X.I. تى. إيه. إكس. آى.  
فتحت الزرار الأول من معطفا الأبيض. فستان محبوبك. ضيق. يقسو على  
نهادين مترعبي، رضعتهما أمام بصرى.

رفعت العبيبة رأسها من على الأوراق.. قالت

- ما هذا؟ إذن لدخول. لا داعى له. بلى كلية لا نريد زيادة فى  
إحصائيات الموتى فى القسم. إكتبرها حالة استقبال فقط.

مضت الحكيمة فكرت فى أن التماسيح قلاً نهر النيل برغم كل  
التكذبات. وما رأيتك فى قصيدة رثاء من النوع الجزل؟ وأنت يا طيبتى.

إليك موضوعاً للبحث لن يكلف مجهوداً . «التركيب الكيميائى للمروج  
التماسيح». قالت :

- من حسن الحظ أنتى تمكنت من تصوير قلبها قبل الوفاة وأجريت  
لها رسم قلب وكل التحاليل. أسفت لوفاتها. كل من اسكن أن تزودنا  
بمعلومات بأدوة.

بعد لحظة :

- الجليل مصيبة كبرى. رجل كاللور. أرجو أن تزودنى بالبحث  
الاجتماعى. ساكب المقال هذا الأسبوع. وسأذكر بالطبع مجهودك العلمى.  
« هزت رأسى. أين السوط؟

إحلمى ملائمتك يا بنت الكلب. إيكى مرة واحدة يدمع حقيقى.  
سأصريك حتى تطرد الدموع من عينيك فأشربها. أشرب ملعها أدوية  
أنذاك يهدأ القلب وتهبط كل الرغبات الشريرة».

- هل تسمعى يا أستاذ «رأمت»؟

- بالتأكيد يا أقتدم.. سأنتهيه اليوم.

\*\*\*

أصبحت أنوار العام الجديد. استقبلت لحظة الميلاد بين حتى انكسر.  
مكيف نيت فيها الشوب. طعم الروسكى هريب. حليط من الليرول  
واللورمالين بعد الكأس الثمينة كان مالها مركز الملوحة كدموع التماسيح.  
قالت حيات الكريز.

- ما هذه الأفكار العربية يا حبيبى. هل ذقت دموع التماسيح حتى  
تعرف طعمها؟

هابى بيوير. هابى بيرث دالى. فى السكر تزعق الأصوات. والعام  
القادم تكويى أما يا «ضحى». أريد ورشا لهند الثمرة الطائفة. والا اتمتها  
حكومتها ولديها أفكار بلشوية كصديقا رأفت. «سيسيج فى نهر الكوثر

ويسى كل هنا «موهبة أنت وأيم الله، تليغ يوتية وأنت بوطن أمك»  
واقترح أن ترشح نفسك لمجلس الأمة في أقرب فرصة، «موافق»، «ميسم»  
إلى حسن الامام دورا في قلبه الجديد، «ميروك»، «وفد أغس»، (أد  
بايع نسي للجهادية يا جدعان) (يا عدرا لحقيا يا عدرا) نهر النيل على  
بالتماسيح، «شرب كاسا يا ضحى في صحة صديقتنا رامت»، وفي  
صحتك»، (ألا فتر) حشرت صحة في الأهرام، ستصدر ملحقا إعلانا  
عن منظمة فتح، أريدك أن تكتب لى موضوعا إثنائ من ذلك النوع الذى  
كنت تكتبه فى أيام «السوس الثانوية»، «يا عدرا.. إنا غلالة»  
(عصبا عسى ما كان يا عدرا) «حيالك سر بالزم هذه النيلة».

«كأس أخرى من دمع التماسيح»

- «حيالك سر بالزم يا حبيبى.. تعال أقدمك لصديقتى دليلى»، أنها  
تلى أن شارب هير بوى فوند أجعل من شاربك، «عصبا عسى ما كان»  
يا عاده، متديل بأويه وغلاوتك يارنا يسوع»،  
- «أريد أن أسألك سؤالا يا حبيبتى»

نعم

جسدها بارد ولكن مسورة البندقية ساخنة، «الصعراء دى غالا  
قوى يا أبو رياض، دى كلت خمه ياما».

- «لماذا لم تسأل سؤالا».

- تذكرت، «هل لديك يا كوثرنى قيش وتشبيد».

«يسى إيه؟»

- صفة الحلة الجبائية .. السوابق.

أوه.. لا.. لا.. لا.. سى ثرو

- أطاهرة الدين أنت يا حبيبتى؟ أرى ذلك الدهل الطاهر

«وجعى من عقلى.. إشفى أبوى.. إشفى حكمت.. داخا غلالة يا عدرا..  
ملاية حالى.. غلالة وحياة ربا يسوع»

- «أوه.. لا تكن وقحا.. هل تريد أن تعزنى فى الحفلة؟»

- الويسكى مقشوش بدموع التماسيح.

«أوه.. أنت سكران»

- «لا تريدن أن أعريك فى الحفلة فأين إذن أعريك؟»

- «تصرف بأدب».

- أرى ذلك الطاهر.

- «صوتك معانا يا أبونا غبريال..».

- رأفت هل جئت؟

- «صوتك معانا يا أبونا غبريال.. صوتك معانا يا أبونا رأفت.. يا

أبونا رأفت يا يشلاوى، أنت رحت لين؟».

«ألا تعلمين أن بنتى ماتت اليوم؟».

- «أنت مجنون».

- «كان اسمها حكمت؟».

(الواحد منا يعيش ويموت يأكل بالكاد عشرة كيلو لحمه ويمكن أقل،

ودى وأكله ييجى نص مليون كيلو لحمه، دا غير الدم)

«وشيعونها الآن فى كنيسة القديس مرقس»، «أنتسمعين الأجراس

ياحبيبتى»

اصرتك معانا يا أبونا رأفت، صوتك معانا يا أبونا رياض، صوتك

معانا، داخا غلالة، والمسيح الحى غلايد»

- السلام عليكم.

- «وات إه ذات؟ What is That؟ إلى أين تلعب؟».

- الكنيسة بمنى ماتت ولابد أن تكون هناك».

«وأنت»

والوداع يا بهر نكوثر . هذه قبعتى وهذا هو الباب. مات الخواجا  
لأن ابنته ماتت أما هذه البهقة ملكى تسبح فيها. لتأسبح»

- «سوفاج. فلاح. وسج».

- «يلعن أبى اللى حلقك».

عندما وصلت إلى مرفقان عابدة. كان أول حبط من فجر العام  
الجديد يولد هناك عند الأفق. تشقته بعنق دلفب إلى عربة الورد

مصروع طائر

السهم المهاجر

« هكذا ينسى جهنم بلا حطب ... »

لهفة ما بعد الأوان

١

إلى شاطئ البحر قادتني قدمي. كان ذلك في مهبط الليل. قلت أن  
هدير الأمواج سيمسح الباء بلا ريب. ألصقت مطبق. أصواء والليلو»  
تحدث بكارة الظلام فكرت أن أعود فأجلس في شرفته. أحافى صحيح  
الراقصين، وذكرى لقاء كالحلم يستكن طيفه في مقدمتها المظلة على البحر  
الهواء جاف كما ينبقى لجلال الصحراء. الشاسع حولى. قلت أن شهيد الخريف  
في «عرس مطروح» متعة للذين يريدون التأمل ولكن فيم؟ - ابتسم مرطف  
الاستعلامات بسمة خارجة لثروها من تحت المكوى، قال .

- جا. تلك مكالة قاهرة، بحثا هناك، لم تجدك على الشاطئ.

- كنت بالهلهل..

هذا ما حسنا.. طلبوا أن تنتظر في المساء. الثامنة والنصف!

{١٩٧١}



بالتعديد، كنت أعرف أنها هي، توترت طاقته أنها الرومانية،  
اختلجت شفتها، ومع ذلك سألت :

- من ؟

مدام «عايدة» مراد

نقلت حظراتي، «فتحت رثعي» استنقث الهواء، قالت مقارب  
سامي الفسرية أنها الثامنة والنصف، رأى التليفون طويلاً رفع مرطف  
الاستعلامات الساعة.

- الأستاذ «حسي» «مخرج يا أندم» أبلغته بالموعد ولكنه اعتذر  
عن تلقى المكافأة.

على الطرف الآخر ألفت الساعة، أضلعت سيجارتي في عصب. ثم  
تلك، أعلم أنها لن تيكى، ربما قالت أن لنهاية كاليدية، ولا جديد. ست  
مقدمة المراجعة قديمى، ما - دأبى - قلت أنه شرب شمس النهار فلماذا يعتقد  
جسدى اللب؟ حمل الجزر المراجعة ومضى. إستندت إلى عمود حامل  
للضوء. أطفأ سيم البحر أو أعراف الشدب، والثاني، كما كانت تعمل.  
تزم شفتيها الرقبتين تمنع في عت، نظمت الأول والثاني..

- «عايدة».. كفى ههنا.

تحطفت السيجارة نفسها

- تشاغل عني بسيجارتك؟

- وهل أستطيع؟

تسرى عن نفسك وجردى، ثبيلة أنا الى هذا الحد؟

أحبط يدي حصرها، أضغطها إلى أقبل جانب رثعها الملبس  
يتسبل إلى غيرها، ذلك الأريج التفاد، خليط من التمر حنة والعل يعمل  
نسيم ليلة صيف. تدغم كلماتنا لاشك أن هناك خطأ ما يرتكبه عندما لا  
نؤرج لأحاسيسنا هي وهج عبيها إكتشفت تلك الحقيقة كأحد أبطال  
«المراثين» الكبار قطعت أكثر من عشر سنوات في نفس واحد

محملاً بالفرح والأسى وجانب الأمهات، واجهت عبيها لصانيتين  
الزرقاوين كسطح بحيرة ساكن، يوج أسفه بتيارات دافئة دوامات تشد،  
تُغرق. غفلت في اللحظة الأولى عن المايه اليكفى الذى يحتضن جسدها،  
وأبصار لم أنتبه وأنا أعيب في عبق عبيها عشر سنوات مرة واحدة إلا أن  
نظرة الفراغ التي كانت تُطل منها شابهها بعض القلق، بعد أنها كانت  
أمامى، هي ينصها، شاهد على أن الحضور على زهرة في فراغ الصحراء،  
أمل ممكن التحقيق وأن إحياء ميت الأعلام معجزة لا تحتاج إلى مسيح  
جديد والبنية إستعدتها مئات المرات. ما حدث بأذن تفصيله بأصغرها  
بأنفها، برسة العين واحتلاج الشفة، واحتراز الرموش بالتسحاب الإحمرار  
من أسفل الشفة الى الوجنتين. فكل ملامح الوجه. هي هذه النقطة من بحر  
الرمال، حيث أقف الآن، على مبعده من ميس «الليد» بغمس وأربعين  
خطوة في اتجاه الشمال الشرقى في الرمال كنت مدبرتنا، ففكر لي أن أبحث.  
دأبت قدم على قدمي، صحت :

فتبع بأصابع هل أنت أعشى؟

في اللحظة التالية كانت ملامحي الملوثة بالرمل تواجه عبيها لبرهة  
قلت ، يا لطافة الكلام، حصار... وأعشى أيضاً. تناول شرابك واسبح في  
بحر العيون ألف ليلة بألف يوم، تلوح، ترهقك الدوامات، ماذا يكون الجوى  
غير ذلك؟ إشتق بحر الصمت والوحدة المحيطان بك عن حورية. ولكن  
مهلاً نظرة العين فيها شيء جديد قديم، لحظتها بدأ الجوى من الزمن بأقصى  
سرعة، بدلاً كنت في الحراق الصحابة، ولكن ما أسرع الجوى في مقلة  
عبيها، وحولك الشمس والبحر وحيرة الأعوام، وما الذي شل ذراعيك  
فجئنا عن الاحتضان، ثقاء الجالسين حولنا، أم شيء ما، هناك في بحر  
العيون، وعند لحظة انتبه، منع ذراعيك أن تواملا السباحة. ولكنها هي،  
هي نفسها، يشهد بذلك كل شيء مويها بالتصبط لا أذكر ما قلت، أهله بكلام  
وأحمله.

قصة غير مفهومة بالإسم. «حايمة» جسدت نظراتها وتعبثت.  
رفضت ألا أن تجلس. قالت

- أقيم لي «ريم» حفلى الماء إلى هنا

دعوتها إلى عطلتي. جلست في كبرياء الملائكة. وإلى متى بظارديما  
اندل، حيرة الأيام السابقة تطل. وأول ما رأت العين دجلة رواج تشع في  
صوم الشمس. قلت إن هذا طبيعي وقد يكون بلا معنى. أما الجسم فإن  
الرمز لم يتحرك بعد بصحاته عديم مشدود وباعم، من مادة التشوة صمغ  
رأيتة كثيراً في دريان الحب القديم. قبلت كل مساحة فيه، فهل يذكر الشعاع  
الوالهة، لم أنه غادر كالأحلام التي قوسنها صرعة أخط العائرة

- كيف أنت؟

ضاحكة قالت.

- كما ترى.

- ازدوت قصة، وأصبحت جنواً رسمياً

سحبت مشفتى، جفت جسديا. احتضنها القعد، احتست بعض من  
وجاعة المرطبات، ألقتها على الأرض بأعمال. قالت  
- تتقن الكلام كالمادة...

إبتسمت. قلب إنها متبدأ الهجوم فكيف تواجه في زحام لمعاينة،  
قارص الكلمات بيد أن القلب ينشد العزاء ولو بمادح الأكم.  
- تدينين بهجوم خاطف.

جلعت «اليومية» من فوق رأسها. انسدت شعرها على جانبي وجهها.  
نزلتها متعللاً غرسه في شعرها الطويل. بدأت في تشييطه. قالت  
- ولكن الانتصار على رجل عسكري مثلك مشكلة

فحصت حقي بالكلام. هربت ببصري إلى البحر. انكسر المشط في  
عزارة شعرها. إشتريت لها واحداً من صبي مار. قالت

- ماذا تفعل هنا؟ أجازة؟

- تقريبا

- تتحدث الصحف من جهة مشتعلة بالنيران مع المدور.  
بهط. قلت

- أجازتي طويلة.. أحلت على الاستبداد.

توقفت يدها السارحة بالمشط، سألت باهتمام:

- ... تركت الجيش مهانياً؟

- هم.

- والسبب؟

- النكسة.

لم تسأل عن تفاصيل، انقبض قلبي. خشيت أن تنبش طيري المرح..  
صحتت طويلاً. عدت بعدها دون رضى. أخذت سيجارة من علتي، أشعلتها،  
- قلت إن تلك كلها عوارض الزمن الجديد. فهل تنجح لعين يوماً أن تفضي  
سرك المطوي، في ذلك الملف بإدارة كاتم أسرار الخريبة. حيث تكمن سطود  
قليلة تقتلك بالخزي. لمضى بهال الغراب على كل شيء. ويحال إلى  
الاستبداد لسلوكه العسكري المعيب أثناء الحرب. ومن السهل أن تقول:  
«لست وحدي، فلماذا تلوم النفس». ولكن الأحرف تنهمر كإطارق. برقت  
كل الأحلام، حتى هذا الحلم المهاجر الذي عاد من عمق الماضي. قلت:  
ماذا فعلت بك الأيام؟

ضحكت، وكان الجرسون قد أتى بالقهوة:

- أوه.. كثيراً جداً. لم نلتق منذ سنوات.

- عشرة، وربما أحد عشر عاماً

إبتسمت، عدت أسأل عما فعلت بها الأيام.

- الحكى صعب.

- مجرد عشرين.

اعتدلت في جلستها، حَسَتْ رشفة القهوة. قالت .

- ستة من الحزن العميق بعد فراغنا غمزات قاسية من الزميلات والزملاء في الجامعة لحظة تحد مفاجئة سررات دراسة عديدة. ليسانس حقوق بشدير جيد سنة ١٩٦١، الإدارة القانونية بمؤسسة تجارية. شعارات صلبة «لازواج من الذين يكفون في شراء المعش بالتقسيط - لا بأس من تجارب شابة». «اليبحث عن مستقبل باهر بأقل جهد». سكرتارية رئيس مجلس الإدارة سلام تكلام أولا، ثم نظرة منه فاهتامة متى إهتمام دعائي بصحة ضغوط وبروستاتا وجلطة دعوة للتزفة. طب كالرطل رغم أن وزنه ١ كيلو ومحيط كرشه متر ونصف. وراج ماهر شهر عمل في باريس الصيف بين «بيروت» و«سان موريتز»، وهذا العام ومرسى مطروح، مشاركة للوطن في أعباء الحرب مع العدو. سيارة خنقة يجد لكشها فيها مكانا، رومين من خاصة بي ا

استصمت لموردا وأنا أتابع حديثها قلت أن شوطانا تلبس كلبا، فأين هذا الكاتب الذي يحسب الحياة بدفاتر الزاد والمصرف. من شاعرية الزمن الذي مضى، وهذا التقدم في العمر قد زاده فتنة ولكن أين مراعاة إهتمام الحياة، رمادا دس الزمن في عقلها وكان من مادة الحلم صنع. لعلمها في نحو الثلاثين. . قانت وهي غصى :

- أشكر لك ضيافتك

استيقيت بلها :

- ألا تفكرين في رؤيتي ثانية؟

باستهانة قانت

- دعها للظروف .

- نتمش مع البلة.

- لتكن غدا

وزوجك

صحكت ..

- ألق لجنة وجبة. الوزارة تقترب منه بسرعة.

مضت كعروية ظهرت من غنى الظلام هذا الأمر حليا لا يصدق بيد ان لحظة ندم طاعت بالقلب. لابد أن شيئا ما قد مات، متى يفرغ القلب من شواغله ليرثيه، يلوف عليه محزون دمه الخبيث، وأذن هذه «عاهدة» - الحب والشوق والشعر وبواكير القبلات. كيف لم تذبح لأحاسيسك في زحام الحياة. متى فرحت آخر مرة؟ متى بلغت ذروة النشوة؟ نصيبا؟ من متى اغتال شاعرية احياة بهذا القسوة؟ في ذلك الزمن كانت لمحبة النقط وأظن أن قطها السيامي كان اسمه؟ اسمه؟ لا أمل.. اندثرت بعض الملامح، وقلت لنفسي أنني سأظل حتما لأوراق الماصي القديم، أستنطقه أن يهوج بسره انطوى، أن يطلق من النقمم بهيج الأحلام، ولكن أين هي الآن؟ في شقة أم بالسيدة؟ أم بشقتي في شارع النيل؟ وسط القبار والعكبيوت وذكريات لليلة أصبحت غناء للصراخ فما أشهى المواطن التي تغلب بها ما كان أرقها وأعنفها. كانت تحسن أكتابه، غرلها جيك كان رقبها وساخنا. وشذا ما خلق القلب لكلمة أو رتوة

في المساء كان العشاء... يذكر الرمل كل شيء ويذكر البحر. في ذلك التراس الخافت الأخواء. بدت في عستان سهريه الأنيق فتنة تدعو للصلاة والجنون، وأحاطها القلب، بترانيم وثنية صامتة، وعند القباب الطويل في بحر الميون عُدْتُ بنظرة مريدة مستكنة هناك عند نقطة الفيد من الميون. قلتُ أن الزمن لا يكمل عن ترك آثاره الخزينة، مهما غابت عن العين العاصفة وأذن فإن شيئا ما يلا شهوة الحياة بالمرارة كما يبدو كيانى المحتضن دليلا على السعادة، وهو حزمة من السقوط الصيف في قبضة اللاشيء.. هذا مرحها معتلا قلت أنها تحاول أن تتشفى.. وهي تشرب أيضا. طلبت النبيد. قلت.

- ما أصبح حزني على مراقبنا فيما تلا ذلك من أزمان  
زمت شعبيها الجسيتين، فكادت لحظة جتون تدفعني لالتهاهما.  
قالت .

- أكره العراء المتأخر فهو يجديد حزن بهت  
- أتكلم جاداً..

بهيسة، ورمود عين

- ولكنك سلكوتنا وعشقت ألها الآخر  
- ما زلت تحبين الشعر، بيد أن أجمل ألمها أنت..  
أشملت سيجارتها بقداحة قاهرة، أظفاتها بدفقة دحان خرجت من  
شفتيها المزومتين

- هلا ما كنت تقول في الزمان الماضي، ولكن ذلك لم يملك أن  
يرفض الزواج مني  
- ولكني لم أرفض الحب  
ضحكت وقالت

- تعود إلى تلك المعادلة الصعبة. كنت طموحاً وتلك هي الحقيقة..  
«نعم. فكيف إنهار كل شيء بكلمات باثرة ترقد الآن كشاهد قهرك  
في مكتب كاتم الأسرار».

- ليس الظنوح حراماً.. ولكني كنت شديداً طامشاً..

هزت رأسها كأن شيئاً لم يعد بهم.. وقالت :

- لقد أصبحت فيلسوفاً، أو على الأقل بالسببة لي، وكثيراً ما رددت  
شعرائك الحب شيء والزواج شيء آخر لا رواج من الذين يشقون لعفش  
بالتقسيم. الزواج عملية حسابية قد تصعد بك إلى قمة البرج وقد تحسف  
بك الأرض إلى وحل الاستغاثة والحياة بالتفريط..

- ٢٦ -

تشاغلتي بعد حبّات اللؤلؤ في عقدتها، لم يفتقد صبرها نغمة الرمن  
للماضي. ولكن ترى ما ملأه من سرود الذكريات؟

- لا ذكرين أسوأ أقوالى..

بدعوة قالت :

- بن أصدقها

- تسالت قسوة إلى رقتك

ضحكت، وقالت بعد لحظة صمت .

- فكرت أن أفعل مثلك وأترك الجامعة كما فعلت، والتحق بكلية  
الحريّة بحثاً عن دراسة سهلة، وعمل مضمون وترق لا يحتاج إلا بعض  
الدهلولة ولكن من المؤسف أنها لا تقبل النساء!

غبت طويلاً وراء كلماتها، وقلت أنه كان من الممكن أن يحدث شيء  
أفضل. وأين ذهبت أمومتها القياصة؟  
- عندي أولاد؟.

هزت رأسها نكفية، قالت

- إذا تجاهلت الأمراض، فإن الكرش موجود، وهو حائل طبيعي  
كأنه..

لقباً صمت متوتر، قلت أن العناب ترصد مسهرتها، كما ترصدت  
حبيبة الأمل في طريقى. وكانت الأنشودة ذات صباح في «العريش». وفي  
الصحف يتحدثون كثيراً عن «النكسة» و «حزيران وما جرى فيه» فهل  
يكشف المرققون يوماً مأساتي الصغيرة وسط هذا الطوفان من الفواجع،  
وتأمل كيف أن القلب منذ لحظة كان ينشد السيان، وما هو يبحث عن ذاكر  
له فيما يلي من أزمان لمن يفهم هذه الأماز المعبرة

أحاهد «البوستيش» وجهها بهالة من السواد اللامع، وقد ثبتت  
«الأي ليار» يد مدرّبة. أم بقية المساحيق فكانت مرزعة لتصبح لوحة.

ما أجملها على حائط قصر لاهر، ويكن ديمومة الثقل تنشد بكارة الطبيعة  
بلا غطاء... وتغنن نرقص قالت :

- أسرك ما فلتة عن زوجي ؟!

كانت تحتفظ بساعة بيننا، قاومت محاولتي لاحتصارها، قلت  
- لا أدري، لكنك كنت تشدين الأمومة.

يرج باحت التكلف :

آه . تلك الأحلام القديمة.. اخترنا جسم الولد.. والبيت.

- الولد « أشرف » ..

والبيت « سهير »

- راتهمتي بأنى أبحث عن أسماء سيمائية.

انتهت الرقصة، فى التراس قالت .

- «مملوح» هو الذى اتهمك بهذا ؟

تُرجه الصنات بأحكام مدرب، ترى هل تقصدها حقاً فيهم الماضى  
كهجوم الصيف ذاك فى مرقعك الذى تركته لتتفرج على «مورج» فى  
سوق غرة رخيصة الثمن جداً، هكنا قانونا، ولكنها كبدتك كل شيء. قالت .

ألا تذكر «مملوح» ..

- أذكره طبعاً.

- هزأتى طويلا بعد ضحكك لى، بيد أنه كان قاسيا .

وذلك الكائن الحاد، يطار ذلك شبهة فى كل مكان، صديق الطفولة  
راستشراب الحلم، وشريك السكن الواحد على عهد الطلبة فى الجامعة. أين  
هو الآن؟ مقابلة «التريومف» قبل عام كانت صدفة رقاسية سلمت  
بختور وسلم بشوق ديمى، هزى تدافقه بيد أنه أبى أن يد الحبال لينعقل  
التريق، استمع بلهول إلى ما حدث . ثم قال :

- سمعنا إشاعات كثيرة عما حدث فى الحرب، ولكن الحقيقة أبشع  
من كل شيء.

قلت . غلطة لا تستعصى على الغفران لو شئت

أعتر وجهه الجامد شعرة قصير وجهه ضخم كما يهوى لمن كان أبوه  
من متغنى الإصلاح الزراعى . قال

- إذا كانت تلك غلطة لماذا تكون الجرمية.

سكت، قلت بعد لحظة

- أنا ضابط صغير، مسئوليتى محدودة لو لم أقصر لما تعير  
الأمر .

ضحك قائلا :

- كلام جميل.. ولكن واجبك كان أن تموت حيث أنت.

- ليس الموت سهلا كما تتصور .

صمت طويلا.. قال :

ربما كان هذا صحيحا، بيد أن لشجاعة ليست عبيرة إلى هنا  
الهدوء.

قلت ببأس

- مجرد كلام..

ضحك طويلا

- أسئلة واضحة. أقدامك تحركت تجاه «مورج» ومن الطبيعي

أن تتقن العدو لكى تصل إلى الضفة الغربية قبل وصولها.

ترك الكنسة على المائدة، وورقة نقد ثمن ما شرب، وعابت قسمة  
العلاقة فى الظلام .

قالت .

- هروء.. أين كنت ؟

- أبين «ممدوح» الآن؟

- لا أدري. تعلم أنه لم يُكْمَل دراسته. دخل السجن في العام  
الغالي لتتركه الكنبه، ولم يقادره إلا بعد سنوات؟

صمتت مفكرة.. وقالت بعد لحظة

- قابلت أخيه في العام الماضي، وأظن أنها قالت أنه في «الأردن».

الأردن؟

- آو.. مع المقاومة.

.. لم أود.. طال الصمت، كان وجهه الرئى يطل على المائدة

قالت -

- ما رأيك في أن ننشئ على البحر؟

٢

أهداء الشعر القديم

على نفس هذه الأرض مشبها، ممن يستخير الزمن ما يحفظ من  
مشاهد كان ذلك قبل عام. وشمس سبتمبر حبيبه، وربما في اليوم الثاني أو  
الثالث، جليث كفيها، ضغطت عليه، قاوم لحظة ثم استقر. تحدثنا كثيرا عن  
الماضي، لقاءات حذيقة الأورمان والقناطر الخيرية، رياراتها الأولى بشقتنا،  
وكاهات «ممدوح» التي لا تنتهي دعواته للمسرح والمسيما ومرة ضبوط  
مشروع ثلثة، فأنسحب خجلاً، بما كان أرقه يومذاك، وربما في اليوم  
السابع، رفعت رأسها إلى ظلام الشاطئ وعُدت كما الماضي قامة -  
أعيب من شفتيها. ووقف عندما أحاطتني بذراعيها وضغطتني إليها، تفجر  
اناصي كما لو كان أجمل ما سأعيش. لفنا الصمت ونحن نتقدم، تركنا  
والثبدي، و«المينا» خلفنا، صاح صوت من الظلام.

- من هذا؟

ارتعد السكون، لمحت مكان مسبحي فوجدته فارغاً.. قلت :

- ٢٦٤

- من أنت؟

- تقديماً..

صوته عجوز، قامته ضئيلة مُحْبِية، قلت :

- كنا ننشئ.. ماذا تفعل هنا؟

تقدمنا ساكناً، قال :

- حطكنا حين كدت أنام..

تيماء سامتين، إلتصقت بي خائفة، أحطت حصرها بذراعي، تدفقت  
إلي من مس جسدها رغبة جارقة في القويان، همت أن تتكلم، لثمت  
شفتيها في عتمة القمر ظهر شبح خيمة كبيرة أشعل الرجل عود تقاب،  
ودخل

- لحظة حتى أضى الفانوس.

عندما دخلنا أحراراً، وجدنا أنعمنا داخل الخيمة، وسائل متعددة  
الأكوان، دعانا للجلوس. قال

هنت أن أحداً لن يأتي، تأخر الوقت.

تسألت بمعجب

- أيأتي أحد هنا.. يا عم؟

- «عمارة» كثيرون. هنتكما من رباتي.

قالت «عابدة»

- ألا تعرف زياتك..

ضحك، بدا في الضوء عجراً جلاً. قال :

- آو، انظر على القذ، والمسح واهن، والذين يأنون كثير..

- وماذا يفعلون

مد يده كشف عن ثلاثة بي ركن المكان.. قال

- لدينا كل شيء. بيوة ومرطبات. ر. و.

تعلقت عيني بجوزة في ركن المكان قلت مشيراً إليها

- و و -

ضحك وقد

- نعم.. ماذا تريدان.

تهامست معها.. قننت قليلاً.. أشعل الرجل الفحم في بء فخاري،  
تصاعد أريج عالي، خلعت حياض، القته بعيداً.. أعطس ظهرها، قالت  
العثمان بكاد يحنتني.. إمتح السوتة من فضلك..

ارجمت يدي وأنا أسحب السوتة إلى أسفل نصف فتحة، أشق  
العثمان عن جسدها الشهى انحنيت.. قبلته كالزمن الماضي.. قالت :  
- لا.. الرجل بالياب.

أبتست :

- ولكنه عجوز... وشبه أخصي وأصم.

دخل الرجل، انهلك في حمله.. كان هدير البحر يأتي من الخارج،  
تسامت يومها.. أين تعلمت كل هذا.. بيد أن السؤال طار فجأة، ليس  
الجواب عسيراً أبهجرك هنا أن تتصور كيف مضت حياة امرأة مثنها،  
بالطبع لا؟ ولكن مواجهة ذلك تبدو مؤلمة.. بيد أن شيئاً لم يثبت على  
حاله؟ أين «حسني» الرمن القديم؟ وأين «عائدة»؟ وأين «ممدوح»؟ آه  
كالصرير الذي لا يكف عن الإيلام.. فمتى نعلمه وسنريح؟ كيف إبعثونا  
إلى هذا المصير المفجع.. يوماً قال : نحن لا نسعى إلى وجهة، بل إلى  
رسالة، هزأت رأس العهم.. قال : ودين ذلك حياة من النفس والتشريد  
والعنانة، حدث أمر رأس العهم، قال بشك : لا لمعل قبيحاً لأخسنا، وقد لا  
شاهد ثمرة تضحيتنا.. بيد أن المستقبل لما تؤمن به ولو كنّا عظاماً معتقة.  
فما كان أفرأه وأبسطه في مقابلة «التريومف» تلك قال : بدأت بالحياة  
وانتهيت بها ولا جديد في الأمر.. مع أنفاس المعذب بهت الأفكار، وكعب  
ضرس العقل عن نثر الأكام فبنا وجهه الغائب كاريكاتوري الملامح، والرجل

كالبحر صامت، وطريقتهما في سحب الأنفاس أكدت أنها لم تكن المرة  
الأولى، ولكن لا تذكر صفو الليلة بالأم لا مبرد لها، نحن بقايا ذلك الزمن  
القديم، وليس هو.. من يحيى الموتى ويبحث العظام وهي رميم؟ غنت،  
«مرت على بيت الحيايب».. صحت من يفس «أيها الراقدون تحت القراب»..  
قطعت العنا..

قالت الجو خائق.

قال الرجل :

- أأعد لكما جلسة بالخارج؟

سحب بطانية وعدلاً من الوسائد.. انهلك في مرشها على مائدة من  
الحمة، قالت بصوت مخدر : السوتيان خنقني، فككت المشبك، تركته مدلى  
على ظهرها العاري، ملابسها التحتية خضراء.. لونا المعضل، وكانت حقلاً  
بكراً يعلم بأنبات الزهور ويمتلئ بالخصب، فكيف يحصى هذا الجمال كله بلا  
عيب.. ملأ الصفاء عينيها، سبحت فيها مطوفاً بالبحار الصافية، لم تعد  
الملاحمة عسيرة كما كانت، لحظة بحثت عن مرقدي على شاطئ البحر على  
مشهدنا، رعدت ذلك الملاح الماهر.. يستجيب النهر لسباحتي، تهدأ أمواجي  
يستسلم في عبادة صامدة لصلاتي المنهدجة، في الخلاء تأمت على رسادة،  
رحمت رأسها تتأمل السماء، قلت ما أسعد النجوم بسوحة هذى العيون..  
قالت :

أحب البحر في سبتمبر.. في الفجر تفتلن السماء بأسراب السمان  
المهاجر ما أجملها  
قال الرجل :

- يأتيها بالبرق.. أتم بعد لحظة صمت لا تزأحذاني صحتي لا  
تحتمل السهر.. قبل أن تلها، إدخال الأشياء إلى الحمة  
أعطانا ظهراً ومضى، قلت :  
- والنقود؟





والجمع. وأسوار الآخرين، حتى كل هذا كان مجرد أصداء. نلشعر القديم،  
وبعض أطباء الحلم.

ونحن ملتصقان قاما، تمسك أقدامنا بالمياه، غشي ولا غشي قلت .  
- هل أنت نادمة؟

شدت يدها التي تحيط بحصري، قيلت ما طائفة من قدامي، كتنفى .  
قالت :

أبدا. وأنت؟

طوكتها، ربت في مهبط البحر وجهها، فبا في ديمومة من القيل،  
قالت ورأسها على كتفى.

- فكرت مرة بعد اختراقنا أن أذهب إليك. أعطيك نفسي. ليكون  
لي مثلك ولد.

قلت أن رغبته في الأمومة لم تنثر أبدا.. بعد لحظة نالت .

- كنت إيسى الوحيد.. ولكنه عاق..

قبضتها أكلت

ومرت نصلك، وممرت أسد أيضا..

ضحكتنا.. كان السمان المهاجر يملأ سماء النجف. ونحن نفسى في  
الطريق.

## ٣ زالسبح الخسبي

كان هذا منذ ثلاثة شهور فقط، فكيف هان على القلب أن يهجرها،  
وكيف تصم الأذن عن صوتها المتأدى بالهففة، وقد أنهت كل شيء. ستقول :  
دمر حياتي في البداية يدمرها في النهاية، شعرة بيضاء تسدل إلى  
سوالف السمان المهاجر فلا سماء البحر ييسر هجره الباس أو

كادوا. في شقه شارع النيل تهدت كما كانت في الزمن الماضي، أمادت  
تربيب الشقة، جذوت الديكورات وتغيرت أماكن الحجرات، أنزلت القطار عن  
المكتبة ووسعتها في غروب كل يوم تدخل بالاسطوانات والكسيه ترايدت  
ملابسها حتى أحتلت جديا من الدولاب. تظهر الطعام وتتبدله معى في  
أغلب الأيام، لم تدر شيئا، فكل شيء كان يبدو مفهوما، يوما قالت .  
- سأطلب الطلاق.

كانت جالسة على مقعد في الشرفة وأصابعي تتحرك بأمر التريكو  
في سرعة ألقيت الجريدة. سحيت مقعدا، تقلمت نحوها، قالت

- إيسى جاكته البيجاما..

- الجوارح

- لا تخرج إلى الشرفة وأنت عرفان..

- ليست جاكته البيجاما بإدعان

تسألت بتردد :

- وهل يوافق؟

بعد لحظة صمت قالت .

- سأصفعه بالحقيقة كلها إذا إعترض.

ترددت لحظة ثم قلت :

- ولكنه يستطيع الإصرار بكه.

باسهانة قالت : لا يهم.

- وزينا بي.

توقفت يدها المتحركة بأمر التريكو قالت :

- بهجوز، ولكن هذا لا يهم..

طافت بالقلب مخاوف، حسيت معاشي بذلك، قلت

- ألا يمكن أن تستعين به أولا.. قبل أن

أدارت ظهرها للذيل، واجهني صفاؤنا كله، كان لميمس النوم الخفيف يضم جسدها الرقيق وخطوطه تنتهد بهذه داخذه، كورت شعرها إلى الخلف، نظارة طبية أنيقة تكسر على نظرتها ابتسامة المستفهمة، قلت بإغراء :  
- يومه، بتوصية منك أن يسهل لي العمل في التصدير والاستيراد.

قالت باشمزاز لم تطع في إختائه:

- لا، لا داعي لهذا..

قلت إن الموضوع كان مفاجئا، ولملأى لم أحسن عرضه، ولو تم لأطمأنت على الماضي والمستقبل، وبوسع المال الوفير دائما أن يخفى العموب، حتى لو كانت تلك الكلمات المحتمة في مكتب كاتم الأسرار عادت إلى عملها في صمت. قلت : ما أسعد أن يظل كل شيء على حاله الآن، تأتي وتدع. يتحمل زوجها مسئولياتها كاملة. وأضمن أنها لي بأكملها، ٧ يشاركني فيها أحدا، حتى ذو الكرشي المهول.

مع لحظات الفسق الأولى، وقعت تقبس البومر، شكت مقدمته بالديابيس، انحنت تقبس الظول، هممت بتطويها. زاعت حتى، دق الجرس وكانت بجرار الباب هزت لتفتحه فوجئت بضابط صديق إرتبك كالأصا، قال:

- أليست هذه شقة «الرائد حسنى»

نعم تفصل .

دخل بتردد، استقبلته بترحاب. قدمته لها. قبل أن أكمل التقديم قلت برهبة مندعة:

- تزوجت أيها الغادر دون أن تدمر أحدا..

قالت بلهافة

- تزوجنا في «موسى مطروح».. ولعلك أيضا لم تكن هنا

خضع «الكتاب» وضعه على المنضدة، قال :

- ولكن الإنسان في حاجة إلى فرح، موسيقانا مدعومة ثقيلة، إنصحت بخفة، عادت وقد ارتدت رويأ فارق لميمس النوم وصمت شعرها تدفع أمامها عربة شاي صغيرة، في الشرفة جلستا، لمحدثنا طويلا إنحنى على، همس

- زوجك لطيفة ومشفقة.. ولكنك غادر لأنك لم تعرفنا بها .

قلت

- إنها قريبتي، وقد تزوجنا منذ فترة قليلة

أحدث طويلا من الجبهة، «الديفرسوار» «والكلبو ١٩» ، «المعدية» «الجزيرة المصرية»، روى طويلا عن الشاوش «سعدان» ضحككت «عابدة» سألته تفاصيل لكنه إلتمز بجانب الحشر، لم أتكلم. كان حديثه ينشر جسدي، هممت أن أسأله عن بعض الأصدقاء من «دمتي»، ولكني جعلت. روى أكثر من فكاهة. قلت إنه شاب رقيق، يدلل تكسر أواخر كلماته فمى أين أتى بهذه الثقة كلها

شرب كأسا واحدة، وقل

- كفاية . الله يرحم أيام زمان، سأسافر في القجر (واشار إلى رأسه وأكمل) ولابد أن يبقى هذا صاحبا، وإلا أطايرته دانات عمك «ديان» العمراء

إرذعت يدي بالكأس ضحككت عابدة بمرح. إمتزجت ضحككتها الطفلة، بنهقهاته الرقيقة الخشنة، شاركتها الضحك مروة، قال بعد لحظة ألا تعكر في العودة إلى الجيش..

قلت بدفعة :

ولكن هذا غير ممكن

- أظن أنه يمكن ببعض المحاولات الجادة .

- قد يعرضون ا

- أنت لم تحاول ولا مرة..

ثم بعد لحظة .

- من الطبيعي أن يزوروا عليك مرة ومرة. ولكن الإنجاح مفيد.. وإذا تحقق هذا فاستعادة الثقة المفقودة تتطلب مجهودا يجب أن تبذله.  
تابعت «عائدة» المبالشة باهتمام جدي. أسهمت فيها سائلة عن التفاصيل.

هممت أن أبعدها عن المناقشة، ولكنه إهتم بأسئلتها وأجاب بإفصاح.  
قلت : والأكاذيب التي أخرجوني بسببها.

قال بابتسامة مخرجة ..

- تحتاج إلى روح جديدة، لا بد من مواجهة الخطأ، الأمر لا يتطلب إلا بعض الشجاعة وهي ليست عسيرة .

- أذكر في عمل تجاري.

- نعم عسكريون، وظيفتها أن تقاوم، وبالقات في هذه الظروف، يفكر التجار في أن يهاجروا، فهل يهمل فكر نحن في أي اتجاه..

قالت بعد انصرافه

- فكرة طيبة.. حاول أن تنفذها.

ثم أرد... قالت ،

برسما أن نهي كل شيء من جديد، ربما كان وسولا جاء يجس

النهي؟

ثم وهي تراجع ظلام الشارع :

كروحت هذه الحياة وأصبح في حياة أخرى والطريق أمامت ملئ بالإمكانات.

ثم بعد لحظة صمت

- لا بد من هذا. «أشرف» في الطريق.. وربما «سهير»..

- هه.

تدوت الصرخة قبل أن أستمها. ما كنتُ بدئمة

- كيف حدث هذا، ظننتك احتطت للأمر .

خبت فرحتها، تجسعت نُذُر التوتر في الجو، وفي الخارج كان الظلام مطبقا إلا من ضوء أزرق تشعه مصابيح الطريق. قالت

- فعلت ذلك في الشهر الأول فقط، ثم أوقفت أي احتياطات.

- ولكن..؟

أحاطت وجهي بكفيتها، كنت مطرقا حذر عينيها، وصعنت نظارتها على المنضدة. رصت رأسي، واجهتني عينها، غبت فيهما لحظة، هناك في أقصى العمق كانت عكازة هم قديم تتحرك.  
قالت .

- هنا حلم عمره عشرة أعوام وأنا سعيدة لأنه تحقق.

ضمت رأسي إلى صدرها أرحت رأسي المثلث في لبونة ثديها  
قالت .

أنت طفل كبير.. ومع ذلك سيكون لك أسرة وأولاد وبنات، وعلى أن أقول مسترولتكم جميعا.. فليمتني الله

.....

أيمكن أن يحدث هذا.. من عجيب؟ . الرمل والصحراء ومياه البحر، ومتى ينطق هذا الصمت المحيط بك، وكل شيء يبدو قابلا للحل فماذا لا تقدم؟. الطلاق . وهي أدري بطروقه العودة للجيش : بمكة مع بعض التحمل. تفصل انهار القديم ومحرق إلى الأبد تلك الورقة المودعة بمكتب كاتم الأسرار..

بعدها بأيام قال صوتها في التليفون

- قلت لزوجي كل شيء، ثار بقدر ما تسمح به العجظة، طلب أن أتخلص من الجيش مقابل أن يعتبر للوضوح منتهيا؟

- وماذا قلت؟

- رقصت عينا سيد من أحبا

- ولكن

قال أن لأطب.. الأصدقاء.. كثيرون مكثت أبصق في وجهه

كانت فرحة لم تنتظر أي إجابة. قالت كأنها تذكرت أمرا.

على فكرة، عاد «ممدوح» من السفر في أجارة قصيرة

- عال..

- سأوردهم اليوم، أليفك مانع أن ندعوه إلى العشاء لحدنا؟

ترددت قليلا. قلت

- يمكن بعد ثلاثة أيام..

«ذهب في الموعد لا وب، فلم يبقنا أحدا.. فماذا قالت وماذا

قال؟» وكيف فسرت رفضك الرد على مكالماتها، وإلى أين ينتهي بنا

الهروب؟

.....

قال موظف الاستعلامات :

- وصلت للنام في الثامنة والنصف.. وأهبطها الرماله

هزرت رأسي. تقلمت في اتجاه الباب. جلست وحيدا. حاول

«نهارمان» أن يجاذبني الحديث، كان نصت داخلي يتكلم.. مصي شطر

من الفيل.. انتقلت إلى الشرفة مرة ثانية. إحدى خادم مربي بصيصة قصبة

أدعى، قال يوقظني من شرودي.

- بركة للـ

تحسها بكسل، وضعت بعض النقود على الصينية كانت بركة

عرا...

- «أشرف» و «سهير» ماما، لا ضرورة لحضورك، قام زوجي

بالواجب «عائدة» صبحكت مروراً وبلا صوت. كان البحر يروج على البعد

إنتهى الأمر لا حزن ولا فرح ولا شيء. من يشتري اليأس ولو كان باسماً

إذن لأصبعنا من الأعياء. مات «أشرف» و ماتت «سهير». أجهضت

نفسها أو أجهضها الوحش. هكذا يصي جسدك بلا عشب، والضمف مرضي

قد يكون روائيا. ترى ماذا تقول الوجه إذا ما التقت مرة أخرى، والبحر

هادئ لا يقول شيئا، لا يهس التسميم بكلمة.. وتأمل حجر الزاوية داخلك

بالإلادة إلى أين ومن أين؟

- من هناك..

أهلا كيف أنت «يا عم عمر»

بدأ شبحه مختفيا في التهمة وكان القمر يدور مبشريا، قاذي إلى

الحبسة. أشرت إليه بدأ الفصل في صمت. وهو يتاولني القافة طاحت بالنفس

ذكرى أمومتها الفياضة.

- ألا تذكرني «يا عم عمر»؟

- كثيرون يأتون ويذهبون.

- ولكنني قصيت لطفة هنا في الخريف الماضي.. وكانت معي

زوجتي

- كثيرون يأتون ويذهبون.

- وأنت ألا تذهب؟

قال وهو يستلك العتبة

- لا.. أنا هنا من زمن طويل.

- متى؟

- سنوات لا تحبها الناكرة. جاء كثيرون ومضوا. شاهدت «روميل»

ورثته في صغاه ورأيت «رتشي» و «مونجيري» وكان سميما كالعجل

ضحك ضحكة قصيرة.

- لماذا تعيش بعيدا عن العمران؟

أشار إلى الخرب قتلا ،

- كنت أحرس حقول الألفام قبل تسويرها ، ثم طابت لي الإقامة.

كان جلابه رقعا ملونة ، تأملته قى عجب ، قلت :

- وكيف تعيش؟

أشار إلى موجودات الخيمة إشارة عامة ثم قال :

- وفي الخريف نصيد السمك المهاجر . يعود لشبك محصلا به ،

ونشويه لمن يريد!

- فقط..

- وتترك بي أحيانا نساء عقيمات فيرزهن الله بنينا بسميتهم

باسمى لذلك ينتشر في كل الأنحاء..

قلت..

- هل تداوى العقم؟

- بركتي لا تخيب.

خرجت إلى باب الخيمة.. كان القمر ساطعا يكشف مساحة عريضة

من الصحراء.. وعلى البعد كان حقل الألفام مسورا. وعلى يابه لاقطة سوداء

صغيرة غابت ورائها نظرتي الشاردة وقتا طويلا. أسراب السمك تقف

مستريحة من عناء الهجرة على الشاطئ.. والبحر هادئ وساكن.. قلت :

- أتم تشاهد يوما جنديا هاربا من الحرب يا «عم عمار».

- أود.. كثيرون. ومرة قتل الكابتن سبعة جنود حاولوا الهرب.

- قتلهم؟

- آء قال إنهم سيطلقون الصفر.

لنا الصمت لحظة. فرش لي بطانية في العراق. قال :

- سأذهب لأنام.. تعرف ما ستفعل..

امتدت اللحظة طويلة.. طويلة.

قمت. مشيت بخطوات سريعة قبل أن أصل باب الحقل قلت : ليست

الشجاعة عميرة إلى هذا الحد..

سعت صوته يتنادى ولم أحرف إلى أي اتجاه تشير يده.. وهل كان

يطلب مني أعود أو أن أتقدم. قلت :

- ليست الشجاعة عميرة إلى هذا الحد..

دلفت عبر المسلك المشائك بخطى ثابتة. قرأت اللاقطة وحقل ألفام..

خطر الموت.

كان الفجر يولد. وأسراب السمك المهاجر تبدأ رحلتها إلى الجنوب.

## الفهرس

- ١ - الحب والصن ..... [١٩٦٤] ..... ١١
- ٢ - جنرالات .. بلا جنود ..... [١٩٦٥] ..... ٢١
- ٣ - الأيمان على مائدة القنام ..... [١٩٦٩] ..... ٣٥
- ٤ - أختافات أعلام ..... [١٩٦٩] ..... ٤٩
- ٥ - بيان مشترك ضد الزمن ..... [١٩٦٩] ..... ٦٩
- ٦ - ثلاث مشاقق متنبأ الصنع ..... [١٩٧٠] ..... ٩٩
- ٧ - القفرة في شارع كتيف الزحام ..... [١٩٧٠] ..... ١٢١
- ٨ - ضحككات من زمن الموت غيلة ..... [١٩٧٠] ..... ١٥٥
- ٩ - بقافة ورد على الضريح ..... [١٩٦٩] ..... ١٨٩
- ١٠ - نصف كوب من دموع التماسيح ..... [١٩٧١] ..... ٢٠٩
- ١١ - مصرع طائر السمعان المهاجر ..... [١٩٧١] ..... ٢٥٣

## كتب المؤلف

### ١- القفورة العربية

الطبعة الأولى - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٧٢. (نقد)

الطبعة الثانية - دار المستنبل العربي القاهرة ١٩٨٢. (نقد)

### ٢ - حكايات من مصر

الطبعة الأولى : دار الوطن العربي بيروت ١٩٧٤. (نقد)

### ٣- التهجئة المصرية وأسلوب القفاوطة

الطبعة الأولى: دار بن ظنون بيروت ١٩٧٩. (نقد)

الطبعة الثانية: مطبوعات الثقافة الوطنية القاهرة ١٩٨٠. (نقد)

### ٤ - مجموعة شهادات ووثائق لحكمة تاريخ زماننا (رواية).

الطبعة الأولى : دار بن رشد بيروت ١٩٨٠. (نقد)

### ٥ - فلسطين (الأرض والمقاومة) [بالاشتراك مع خيرية قاسمية وحسن مكناش].

الطبعة الأولى : دار الفنى العربي. بيروت ١٩٨٠. (نقد)

الطبعة الثانية : دار الفنى العربي. القاهرة ١٩٨١. (نقد)

## ٦ - معاكمة فزاد صراج الدين (دراسة ووثائق)

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي. القاهرة ١٩٨٣.

الطبعة الثانية : دراسة المؤلف التي قدم بها لصوص للحاكم، وقد هـ  
مستقلة بعنوان [البرجوانية المصرية وأسلوب المفاوضة] دار التنوير،  
١٩٨٢.

## ٧ - هوامش المقرئى : (المجموعة الثمانية من وحكايات من مصر).

الطبعة الأولى : دار القاهرة - القاهرة ١٩٨٣. (نقد)

## ٨ - رجال مصر دابق (قصة الفتح العثماني لمصر والشام).

الطبعة الأولى : دار الفنى العربى، بيروت ١٩٨٣. (نقد)

## ٩ - مقفرون وعسكر : إصرامات وشهادات وكهاوي عن حالة المنفلطين فى عبدالناسر والسادات.

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي. القاهرة ١٩٨٦.

## ١٠ - الكارثة التي تهددتنا : (مراعات تاريخية ضد أهلية البرجوانية المصر لقادة المناصر وصنع المستقبل).

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي. القاهرة ١٩٨٧.

الطبعة الثانية : دار عبون الدار البيضاء ١٩٨٨.

## ١١ - تهاويج جريح (خفاطر وذكريات).

الطبعة الأولى : مكتبة مديبولي القاهرة ١٩٨٨.

## ١٢ - حكايات من دفتر الوطن.

الطبعة الأولى : كتاب الأمانى ١٩٩١.

## تحت الطبع للمؤلف

## ١ - أليون وثائق : (قاهرة العنف الجنائى والسياسى فى مصر - نشرت سلسلة بجلة ٢٣ يوليو - لندن ١٩٧٩).

## ٢ - المرتسمة والأفندي : (قصة غرام الأميرة فتحية ورياض أفندي غالى).

## ٣ - مأساة شكرى مصطفى الحقبلي.

## ٤ - أسطورة لرج الله الخلو : (وثائق التحقيق فى قضية تعذيبه وقتله مع دراسة عن حملة عهد الناصر ضد الشبهوية).

## ٥ - اغتيال مصطفى خميس : (الصدام الأول بين البروليتاريا والعسكرتاريا).

## ٦ - الصحابة المصرية فى معركة الديفراطية : (١٩٥٠ - ١٩٥٤).

## ٧ - صك المؤامرة : (قصة وعد بلفور - بالاشتراك مع جميل عطية إبراهيم).

## ٨ - مذكرات هرايى باشا وأوراله : (محقق وتوثيق - ثلاث مجلدات).

## ٩ - عهد الرحمن الجبري... الانعكاس المصرية فى عصر اللومبة.

## تعريف بالمؤلف:

- ولد في أكتوبر ١٩٢٩ بقرية «بشلاء» إحدى قرى محافظة البقلمية بمصر.
- حصل على بكالوريوس في الخدمة الاجتماعية عام ١٩٦١، وعمل لمدة خمس سنوات، رئيساً لعدد من الوحدات الاجتماعية في قرى محافظة القليوبية، إلى أن فصل من عمله عام ١٩٦٦، بسبب آرائه السياسية.
- اعتقل لأول مرة في أكتوبر ١٩٦٦، بسبب سلسلة مقالات كتبها في مجلة «الحرية» اللبنانية، وأعيد اعتقاله في مارس ١٩٦٨، وقبض عليه فيما بعد على ذمة قضايا لم تقدم للمحاكمة في سنوات ١٩٧٥، و١٩٨١، وكان بين الذين قبض عليهم في حملة سبتمبر ١٩٨١.
- بدأ ينشر مقالاته في الصحف عام ١٩٥٦، ومنذ ١٩٦٢ بدأ ينشر كتاباته في الصحف المصرية والعربية بانتظام. وفي عام ١٩٧٩ عمل بجريدة «الجمهورية» إلى أن فصل منها عام ١٩٧٧، أثناء دروبه من مطاردة الشرطة بسبب اتهامه بالمشاركة في التحريض على انتفاضة الطعام في ١٨ و ١٩ يناير، وظل موصولا عنها مدة عشر سنوات.
- شارك في تأسيس الإصدار الثاني لجريدة «الأمال» عام ١٩٨٢، ثم أصبح مديراً لتحريرها عام ١٩٨٦، إلى أن استقال في مايو ١٩٨٨. وشارك في تأسيس ورأس تحرير «الثقافة الوطنية» - ١٩٨٠ - و«كتاب الأمال» (١٩٨٢) «الصحفيون» و«البسار» (١٩٩٠).
- صدر له ١٢ كتاباً في التاريخ والفكر السياسي والاجتماعي، والأدب. وله ثلث الطبع - ١٠ كتب أخرى.